مساجد صعدة
و
برنامج الإسناد

بسم الله الرحمن الرحيم

مساجد صعدة

تاريخها وعمارتها ومعالمها

ويليه

برنامج الإسناد المسلسل بالعلماء الصعديين

جمع وتأليف

عبد الرقيب بن مطهر بن محمد حجر

ختم الله له بالحسنى

مكتبة الجامع الكبير بصنعاء

al-Jāmʿ al-Kabīr Library in Sanaʿa

مكتبة الجامع الكبير بصنعاء

حارة (حي) الجامع الكبير، صنعاء القديمة، صنعاء، اليمن
هاتف: 889 280 1 967+
جوال: 888 333 779 967+

الموقع الإلكتروني:
www.jklsanaa.com
البريد الإلكتروني:
jklsanaa@gmail.com

مساجد صعدة وبرنامج الإسناد

عبد الرقيب حجر (مؤلف)

231 صفحة، (تأليفات 1)

17×24

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية:

(459)

لسنة 1444هـ الموافق 2022م

الآراء التي يتضمنها الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مكتبة الجامع الكبير بصنعاء

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من **مكتبة الجامع الكبير بصنعاء**

الطبعة الأولى

1444هـ-2022م

المحتويات

مساجد صعدة 9
إهداء..... 11
المقدمة 13
مسجد الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام 15
مسجد بردس 18
فائدة: 20
مسجد بُرْقُطة..... 20
مسجد بـــركَات برحبان 21
مسجد التوت 25
جامع الإمام الهادي بصعدة..... 27
(رواية تأسيسه للجامع)..... 29
(تكميل بناية الجامع المقدس ومبايعة ولده الإمام الناصر)..... 31
(الحافظ ابن رميح النخعي المروزي) 34
(وصول الشيخ الحافظ زيد بن الحسن البيهقي الزيدي)..... 36
(اجتماع العلماء لمبايعة المنصور بالله في الجامع المقدس)..... 37
(عجيبة عن ذي الفقار والدعامة من وقت الهادي)..... 39
(زيادة الإمام المهدي في الجامع المقدس) 41
(نص المؤرخ ابن أبي الرجال حول الجامع والتعليق عليه)..... 43
(بناية الجامع المقدس على يد شمس الدين بن الإمام) 46
(خبر بناء سور مدينة صعدة)..... 50
(وصف بناية الجامع في أيامنا وما جرى من تجديدات) 51
(مقدم الجامع المقدس)..... 52
(محراب الجامع ومنبره) 54
(منازل طلبة العلم)..... 60
(المدرسة العلمية) 60
(مكتبة الجامع) 62
(المحكامة) 62
(صفة مؤخر الجامع)..... 64
(المشاهد والقباب يماني الجامع المقدس)..... 65

(دليل الزائر للمشاهد اليحيوية) 71
(الساحة الموجودة بين المشهدين) 77
(حائط الشهداء) 79
مسجد جعفر 87
مسجد حسنِ 87
مسجد جُوْحَل 88
مسجد حائط المظفر 90
مسجد الحاكم 90
(فائدة في ذكر من تسمى بحاكم المسلمين بصعدة) 91
مسجد الحجار 95
مسجد بنيِ حِمرة 95
مسجد الخَيْقَري 96
مسجد الداعي 96
(فائدة تاريخية عن دروب صعدة) 97
مسجد دبَهْ 99
(العلاَمة البحيبح وسند فقه الزيدية الجملي) 101
مسجد ذعفان 105
مسجد الذهب 105
مسجد الذويد 106
مساجد رحبان 113
مسجد زيدان 113
مسجد زيد 116
مسجد الساحة 117
مسجد سحبان 117
مسجد السلفة 117
مسجد السنّارة 118
مسجد الشّمْري 120
مسجد شِيبَان 120
مسجد صُبيح 122
مسجد الصدقة 128
مسجد الصرحة 128
مسجد الصما 133
مسجد سوق الصوغ 133

مسجد الطاي 134
مسجد ظبِي بن محمد 135
مسجد العِبدي 135
مسجد العرز 135
مسجد العلاَبي 136
مسجد علَيّان 137
(استطَراد الرسالة الناصرة في اكتساب العلم الشريف) 141
مسجد سوق العنب 151
مسجد غرِب الدرب 151
مسجد الغُرَيّب 151
مسجد فليته 153
مسجد القشاش 157
مسجد القصر 157
مسجد قعلان 157
مسجد القفلة 158
مسجد القلوة 158
مسجد القماط 158
مسجد القَمْلَة 159
مسجد الكرك 159
مسجد المذاهبي 159
(نص مقامة المساجد الصعدية) 160
مسجد المستشفى 172
مسجد مشبعة 173
مسجد المشهد والجبانة 173
مسجد معاذ بن جبل 174
مسجد المعلاة 175
مسجد المنصور 175
مسجد الناصر 178
مسجد النجار 180
مسجد النّزاري 180
مسجد النَور 183
مسجد الهيري 183
مسجد اليَابس 184

برنامج الإسناد المسلسل بالعلماء الصعديين 187
المقدمة 189
(إسناد قراءة مسلسلة بالشيوخ والعلماء الصعديين) 190
الإسناد المسلسل بالصعديين 191
(1) 191
الإسناد المسلسل بالصعديين 195
(2) 195
(سند قراءة والد الإمام عز الدين) 196
(سند قراءة الدواري شيخ الإمام عز الدين) 197
الإسناد المسلسل بالصعديين 201
(3) 201
فصل في سند قراءة السيد داود بن الهادي 201
فصل في سند قراءة والد القاضي أحمد بن يحيى حابس 204
الإسناد المسلسل بالصعديين 205
(4) 205
الإسناد المسلسل بالصعديين 209
(5) 209
فصل في سند قراءة سيدنا يحيى بن حسين سهيل 209
فصل في سند قراءة المولى مجد الدين المؤيدي 213
فصل في خاتمة هذا البرنامج..... 219

مساجد صعدة

إهداء

إن كان ثمة من إهداء للكتاب

فهو إلى روح العلامة النبراس أبي الفضل القاضي

صلاح بن أحمد فليته رحمه الله تعالى

ذي المحاسن الباهرة والمفاخر المشتهرة في التعليم والتدريس

والذب عن علوم أهل البيت

والذي جاء في وصفه بقلم المولى العلامة الكبير علي بن محمد العجري ما نصه:

«هو سيدنا العلامة، البدر الطالع، ولي آل محمد،

الذكي المحقق، واللوذعي المدقق،

بحر العلم المتدفق،

ضياء الدين، والخيرة من شيعة آل طه وياسين».

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ذي العزة القاهرة، والآلاء الفاخرة، والعظمة والجلال والمن والإفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأمينه وصفيه، أدى الأمانة، ونصح الأمة، وعبد الله حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وعليهم رحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإنه لما طلب مني القيام باستلام أرشيف الوقف بمحروس مدينة صعدة أواخر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وألف، بقصد إعادة تنظيم وترتيب بصائره ووثائقه ومسوداته، كان مني الاستجابة الصادقة والامتثال، وقد تهيأ لي بحمد الله من خلال هذا العمل الإطلاع على الجم الهائل من الفوائد التاريخية عن تاريخ المدينة، وأهلها وبيوتها، ومعالمها ومساجدها، وأسواقها وعمائرها، والتي ما كنت لأحصل على تلك الفوائد المكنونة في غير هذا المكان، فتوجهت أفكاري لتقيدها وتدوينها، ومن ثمَّ العمل على نشر ما هو صالح للنشر منها، وتحريرها في كتب مستقلة وأبحاث تاريخية، ستصدر إن شاء الله في حينها. من ذلك جمع هذا الكتاب المفيد في بابه إن شاء الله، والذي يتضمن ذكر مساجد المدينة المحروسة مدينة الإمام الهادي إلى الحق **يحيى بن الحسين بن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم** طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، وتبيين عامرها وموفيها، وتحقيق ما جاء في كتب التواريخ عنها، وأشهر المفيدين للعلوم فيها من علماء البلاد الصعدية وغيرهم من الواردين إليها، فهي البقعة المباركة الطيبة، والبلدة المؤسسة بنيانها على التقوى والأعمال الصالحة المقربة، والحوزة الطالعة في أفقها نجوم الهداية وأنوارها، المشرقة في قطرها شموس الدراية وأقمارها، أفاض الله عليها مواد حفظه وحراسته، وأسبل عليها

شآبيب حمايته وكلايته. ويعجبني في ذلك قول أحد أدباء المدينة الصعدية وهو الفقيه الأديب محمد بن علي الهبي من قصيدة له قال فيها:

يجدد ذكر «صعدة» لي غراما بها ويزيح من نفسي شجاها
بلاد بوركت وزكت فكم من إمام في مشاهدها ثواها
بها ما شئت من دين ودنيا فلا ترحل إلى بلد سواها

وكيف لا يكون ذلك، ومعدنها وأساسها هو إمام الأئمة ورأسها، فلم تزل محمية به وبسائر العترة المطهرة عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، إذ هم السفن المنجية من الغرق، وهم عند كل بدعة يكاد بها الإسلام الذابون عنه المعلنون للحق فاعتبروا يا أولى الأبصار وتوكلوا على الله. فاستعنت بالله وسألته التوفيق وإخلاص النية وقبول العمل إن شاء الله، ففي الخبر عن **سيد البشر**: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعد موته أو ولد صالح يدعو له» أو كما قال. فالله أسأل أن ينفع به الجميع، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون من الثلاث المذكورة في الحديث النبوي، إنه ولي ذلك والقادر عليه، مصليا على نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

وهذا أوان الشروع، وبالله الثقة وعليه الإعتماد.

مسجد الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام

من المساجد العامرة في الضيْعَة من أعمال الصحن بالغرب الجنوبي من صعدة، ونسبته إلى الإمام المتوكل على الله الرحمن **أحمد بن سليمان بن محمد** بن المطهر بن علي **بن** الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهم السلام. وهو قديم العمارة، وكان المسجد صغيرا إلى أن جدّدت عمارته بالبناية الاسمنتية بتعاون من أهالي الضيعة والحاج الميسر **نوح بن أحمد بن محمد** مرق إلى أضعاف ما كان عليه، مع بناء صومعة وملاحق للمسجد. وكان تمام تلك العمارة في سنة 1404هـ وكان المتولي في أيامه خطبة الجمعة فيه السيد العلامة الولي صارم الدين **إبراهيم بن علي بن عبد الله بن حسين الشهاري** المتوفى سنة 1421هـ.

وهذا الإمام **أحمد بن سليمان** عليه السلام المنسوب إليه تسمية هذا المسجد من أئمة الآل الكرام القائمين بفريضة الجهاد، والناشرين ألوية العلوم في عصره، وكانت وفاته في شهر ربيع الثاني سنة 566 ست وستين وخمسمائة، ومشهده بحيدان مغارب صعدة من بلاد خولان مشهور مزور، ومما يناسب المقام هذه القصيدة من نظم هذا الإمام الجليل في الوعظ والزهد ومطلعها:

دعيني أبكي عبرتي ما بداليا ... وأبكي ذنوبي اليوم إن كنت باكيا
لعلّ البُكا يشفي من الوجد بعضه ... إذا لم يكن للكل من ذاك شافيا
وأشفي غليلاً في فؤادي بالبكا ... وإن قال جهّال من الناس ما ليا
ولن يسلم المحزون من غصة القضا ... إذا كانت الأحزان تبقى كما هيا
فقد مات همامٌ لوعظ إمامه ... وصادف قلباً للمواعظ واعيا
وليس عجيباً أن بكيت ولو دماً ... وأذهب دمعي من بكائي الأماقيا
وقُدْماً بكى قبلي رجال تذكروا ... رسوماً عفت عن أهلها ومغانيا
فلِمْ لا إذاً أبكي على ما جنت يدي ... من الذنب لما أن تحققتُ دائيا
فهل من مداوٍ للذنوب من الملا ... فلم ألق للذنب العظيم مداويا

وهـــل لقـــروح في فـــؤادي مـــرهمٌ تـــداوي غلـــيلاً كامنـــاً في فؤاديـــا
ولـيس لـذنبي مـن دواء سـوى البكـا وتوبـــة ذي صـــدق وعفـــو إلاهيـــا
هبينـي نسـيت المـوت والبعـث فتنـة ومـا كـان مـن علـم الغيـوب ورائيـا
ألم اعتـــبر نفســـي ونقصـــان قـــوتي ولم أك للمـــوت المشـــاهد ناســـيا
وكنـــت امـــرء ذا قـــوة في شـــبيتي فأصـــبح مخضـــر الشـــبيبة ذاويـــا
وبـــدلت نقصـــاناً بـــدا في جـــوارحي وجـــاء نـــذير الشـــيب للـــنفس ناعيـــا
فيـــا عجبـــاً مـــن غافـــل غـــير عاقـــل يجـــدّد مـــن دنيـــاه مـــا صـــار باليـــا
ويعمـــر مـــا قـــد خـــرّب الـــدهر قبلـــه يجـــــدد تســـــويفاً لـــــه وأمانيـــــا
ومـــن هـــرمٍ يـــزداد ضـــعفاً وقلـــة وآمالـــــه يرمـــــي بهـــــن المراميـــــا
رأيت (معين الملـك) قـد صـار خاربـاً فـــأورثني ســـقماً وأوهـــى عظاميـــا
و(بينون) و(البيضـاء) بـادت وهكـذا (براقشـــها) والقصـــر قـــد كـــان عاليـــا
و(غمدان) والسوداء و(البون) عطلت منازلهـــا والكـــل قـــد صـــار خاليـــا
وفي (هـــرم) مـــا يهـــرم الطفـــل ذكـــره وفي (كمنـــا) مـــا كـــان للنـــاس باديـــا[1]
و(صرواح) أو (روثان) للنـاس عـبرة أبـــاد الـــردى أســـفاله والأعاليـــا[2]
وفي كـــــل أرض مـــــثلهن مـــــآثر تزهّـــد في الـــدنيا وتنفـــي الـــدواعيا
فيـــا ربّ قَيْـــلٍ كـــان فـــيهن مـــترف وذي نـخوة قد كـان في النـاس ساميا
مضـــى ومضـــت أموالـــه ورجالـــه وقـــد كـــان موجـــوداً فأصـــبح خاليـــا
فكيف يطيب العيش لـــلمرء بـــعدهم ويصـــبح جـــو الـــدهر للمـــرء صـــافيا

***

فيـــا أيهـــا المغـــرور أقصـــر عـــن الهـــوى وأقبـــل إلى التقـــوى ولا تـــك لاهيـــا

(1) هرم وكمنا: من المدن الأثرية في مديرية الحزم من أعمال الجوف.
(2) روثان: مدينة أثرية في منطقة الغائط ما بين الجوف ومأرب. وصرواح مدينة أثرية مشهورة في مأرب.

وكـــن جاهـــداً في طاعـــة الله ربنـــا تفـز بالـذي تهـوى ولا تـك عاصـيا
كفـى بـالبلاء والمـوت للنـاس زاجـراً وبالشـيب عـن فعـل المظـالم ناهيـا
فطـوبى لمـن يعطـى الشـهادة تحفـة ومـن كـان مهـدياً ومـن كـان هاديـا
ولـولا الترجـي للشـهادة والهـدى وأضـحي إلى الـرحمن والـدين داعيـا
وإعـــزاز ديـــن الله بعـــد خمولـــه لأشـــبع غرثانـــاً وأكســـو عاريـــا
وأنصـــر مظلومـــاً وأقمـــع ظالمـــاً وأنقـــذ ملهوفـــاً وأفنـــي معاديـــا
لمـا كنـت بـين النـاس أنظـر فعلهـم ومـا كنـت للجهـال يومـاً مـدانيا
وأغـدو لمـن عـادى الإلـه معاديـاً وأضـحي لمـن والى الإلـه مواليـا
لمـا سرت إلا في طريـق ابـن أدهـم وكنـت لعمـرو بـن العبيـد مواسـيا
وكـابن خثـيم والجنيـد أخـي التقـى فـما كـان مـنهم واحـد متوانيـا
ويمّمت أرضـاً لا أرى النـاس عنـدها وكنـت لأصـناف الوحـوش مواخيـا
وقلـت لأولادي وأهـلي وأخـوتي وأهـل ودادي اليـوم أن لا تلاقيـا

قلت: والضيعة التي مسجد الإمام **أحمد بن سليمان** قائم عليها هي ضيعة الإمام الهادي إلى الحق **يحيى بن الحسين** أوقفها في أواخر القرن الثالث الهجري، وبالتحديد سنة 291 إحدى وتسعين ومائتين. وهي وقفية مشهورة، رأيتها منقولة بخطوط علمائنا في حوامي عدة من الكتب رضوان الله عليهم ذُكِر في نسختها: «أنه تصدق بجميع هذه الضيعة بجميع حدودها وحقولها، وسيولها وبيارها، ومشاربها ومرافقها، كلها وعامرها وغامرها، وكل حق هو لها ومنها، صدقة موقوفة محرمة حبساً لله أبدا مؤبدا، لا تباع ولا توهب، ولا تنتقل ولا ترتهن، ولا تتلف بوجه من وجوه التلف حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين: على ولد **القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل** بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ذكرهم وأنثاهم، وعلى أولادهم وعلى أولاد أولادهم ما تناسلوا، ومن قدم إليهم من صالحي ولد **أبي طالب**، أو من مهاجري المسلمين مهاجراً إلى الله وإلى رسوله وإلى أولى الأمر منهم، مجاهداً محتسباً، فهو داخل معهم في هذه الصدقة».. وجاء في حدود تلك الضيعة ما

لفظه: «حد هذه الضيعة الحداب بينها وبين نسَرين والرونة قبلةً، والحد الثاني المناشي بينها وبين ضياع اليرسميين يمانياً، والحد الثالث ساقية مخالد والقبور شرقياً، والحد الرابع أرض عبد الله بن العباس النجاري والتحميل إلى أرض آل عبد الملك إلى حد غول سحمان والحداب غربياً».

انتهى ما أردنا نقله بخصوص هذه الوصية المؤكدة.

مسجد بَرْدَس

ويعرف حالياً بمسجد القصر من المساجد العامرة قرب باب المنصورة (وحاليا قرب باب السلام) باب مدينة صعدة الغربي.

وأصل عمارته قديمة وحكي في كتابة موجودة في محرابه أنه عمر بعناية الأمير **أحمد بن محمد بن الحسين الحمزي**، والأغلب أنه ممن جدد عمارة المسجد لما سيأتي لاحقا، قال المؤرخ العلامة القاضي **عبد الرحمن بن حسين بن إسماعيل سهيل** المتوفى سنة 1359هـ في كتابه **بغية الأماني والأمل** ما لفظه: «بردس هو مسجد قصر صعدة المشهور بقصر مطهر، وهو إلى الآن مسجد عامر عظيم، وأما القصر فقد صار كأمس الدابر، وكان محل الدول السابقين وموضع ملكهم وحبسهم بصعدة، وبردس: اسم لبعض الترك وأظنه الذي عمره فنسب إليه والله أعلم».

قلت: هذا كلام العلامة النحرير **ابن سهيل** رحمه الله وهو مؤرخ صعدة في القرن الرابع عشر، وهو ناقل حسبما اتضح لي عن السيد العلامة **الحسن بن صلاح الداعي** المتوفى سنة 1120 في كتابه **شرح الدامغة الكبرى**، لكن الذي حفظته بصائر الوقف أن مسجد بردس المذكور كان معمورا ويحمل ذات الاسم قبل وجود الأتراك في اليمن بمئات السنين، إذ اطلعت على وقفية للمسجد المذكور تحكي ما ذكرناه، ومؤرخ بصيرة تلك الوقفية عام 765 خمس وستين وسبعمائة، أي في أيام دولة الإمام العابد **المهدي علي بن محمد** رضوان الله عليه وسلامه، وأغلب مساجد صعدة القديمة القائمة إلى الآن إنما أصل عمارتها كانت في عصر هذا الإمام وولده الناصر **صلاح الدين**، فقد كانت أيام دولتهما زاهية، عامرة بالعلم، مشهورة بالعلماء الأعلام المحققين في شتى العلوم، وسيأتي التنبيه والإلماح لذلك في ثنايا هذا الكتاب إن شاء

الله.

وبردس: ضبط بفتح الباء المهملة وسكون الراء ثم الدال مفتوحة ثم سين مهملة، وقد ورد ذكر المسجد في أبيات للقاضي العلامة الأديب **إسماعيل بن محمد بن قاسم العبدي** المتوفى بصعدة سنة 1150هـ وقد توقف في حبس القصر المذكور أياماً لحادثة مذكورة في **شرح الدامغة**، فكتب يستعطف والي صعدة يومئذ السيد **علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد** بهذه الأبيات:

أيا صاحب المجد الرفيع المؤسس ترفّق بنا واستبق منّا ونفِّسِ
فكم مسجدٍ أوحشته بعقابنا وإن كنت قد آنست محراب بَرْدَس

وقصر مطهر المذكور كان على مقربة من باب المنصورة، والباني له في عشر الأربعين وتسعمائة كما وجدته في وثائق الوقف هو السيد المقام رئيس بني الزهراء المطهر بن الإمام **شرف الدين**، وعلى مقربة من ذلك ومن مسجد بردس كان يقع: (قصر المنصورة) جهة القبلة وكان بمثابة قصر الأمارة بمدينة صعدة، وهو من عمائر الإمام العابد المهدي لدين الله **علي بن محمد** المتوفى سنة 774هـ، وقد أفاد السيد **الهادي بن إبراهيم الوزير** في بعض كتبه أن بناء الإمام له كان في عنفوان حربه للأشراف الحمزات في عشر الخمسين وسبعمائة، وأنه انفق في بنائه الأموال الجزيلة، وهو المعقل الذي عناه القاضي العلامة **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته عن المساجد الصعدية، الآتي إيرادها إن شاء الله إذ يقول على لسان مسجد بردس: «فإن بي من ركة الحال وضعفه، ما يكِل الواصفون عن وصفه، وقد ضرب بيني وبينكم بباب، وسترت عن الناظر بحجاب، على أني في عهدة تحق لمن قام بها الإجلال والاحترام، ولي حق الجوار والقرب من المعقل الذي تزينت به الأيام:

دار الحويرث حبذا من معقل يعنو الخورنق خاضعاً لجلاله

انتهى وللمسجد وقف حكاه في المسودة.

ومن محاسن الحاج الفاضل **عبد الله بن مهدي العريمي السعدي** رحمه الله إعادة سقف المسجد بعد تهدمه، وذلك على نفقة أهل الخير في تاريخ نحو سنة 1386هـ، حكى ذلك في أوراق الوقف.

فائدة:

وكان فيما يظهر على مقربة من المسجد مدرسة علمية، إذ وقفت في إحدى بصائر الوقف على ما لفظه: «وقف وأبد وسبل مولانا الأمير بهرام بيك[3] ما شراه له وكيله المذكور بطنها[4] بجميع ما اشتمل عليه ويدخل حقوقه تبعاً بعد قبضه له وصار يملكه وتحت يده حينئذ لله تعالى وفي سبيله وابتغاء مرضاته ورجاء ثوابه ولما وعد به المتصدقين من عباده على مسجد الله الذي عمره أيده الله تعالى المدرسة المشهورة المأنوسة المعمورة بمحروسة المنصورة بصعدة، يصلح الوقف المذكور من غلاته، وما فضل من ذلك كان لما يريد في حياة المدرسة، لا يباع الوقف ولا يبطل بوجه، فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم» إلخ.. ومؤرخ ذلك شهر شعبان سنة سبع وستين وتسعمائة انتهى بلفظه.

قلت: ومثل هذه العبارات منقوبة في حجر من البلق موجودة في صرحة مسجد بردس إلى يومنا هذا.

مسجد بُرْقُطة

من المساجد العامرة في حارة الدرب وسط صعدة.

وهذا الدرب هو المسمى بدرب الجديد، وللمسجد المذكور وقف حكاه في المسودة، ولم أقف في وثائق الوقف إلى من تكون نسبته إلا أن بعض المطلعين أفاد: أن عامره هي الحرة برقطة بنت محمد والله أعلم بصحة ذلك.

قلت: ولا زال المسجد قائماً على بنايته وهو خاص بالنساء، وحدوده حفظا لعرصته ومكانه ما يلي: يحده من الشرق والشمال بيت **عبد الرحمن صالح مشحم**، ومن الغرب بيت **محمد بن أحسن صبره**، ومن الجنوب شارع صغير.

---

(3) بهرام بيك: هو أحد متولين الأتراك.

(4) ووكيله الذي عناه هنا، هو القاضي صلاح بن حسن بن محمد الدواري.

مسجد بَــرَكَات برحبان

من المساجد العامرة خارج صعدة يقع شمالي وادي رحبان مقابل قرية بير الطحم، يقطع بينهما الوادي الأعظم، وقد يسمى مسجد البركات بالألف واللام كما يوجد في وثائق الوقف، وهو منسوب إلى الضيعة التي عُمِر فيها ضيعة بير بركات.

وهو من أفضل المساجد عمارة وبركة، وفيه رغبة للعبادة. وله وقف طائل في نواحي عديدة من بلاد صعدة حكاها في المسودة، وقد تعرض للإهمال فترة من الزمن وتهدم سقفه وكان كما قيل من خشب العرعر، فكان إصلاحه عام 1398هـ أيام نيابة السيد **محمد بن علي الوادعي** على الأوقاف، وللمسجد بئر قديمة مطوية بالأحجار هي أعجوبة الناظر. وقد حكى القاضي حاكم المسلمين بصعدة العلامة وجيه الدين **عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران** في وثيقة اطلعت عليها أن العامر للمسجد المذكور هو السيد الأوحد الأمجد الأمير **عز الدين بن الإمام أمير المؤمنين يحيى شرف الدين بن شمس الدين**.

قلت: وهذا هو الصحيح وذلك في حدود سنة خمس وأربعين وتسعمائة أيام ولايته على مدينة صعدة من قبل والده عليه السلام، ويوجد شرقي المسجد آثار عمارة لقصر الأمير **عز الدين** المذكور، ويسمى دار النعيم، قال القائل في ذلك:

الــدار في بــير النعــيم فارحم عبيدك يا رحـيم
وأقِلْــهُ عــما قــد جنــى واجعله في (دار النعيم)

وعلى مقربة من المسجد ناحية الغرب منه تقع ضيعة (بير رطبات) بالراء المضمومة وبعد الطاء موحدة تحتية ثم ألف وتاء، وهي فيما مضى إحدى المتنزهات لمدينة صعدة، قال القاضي العلامة المؤرخ **أحمد بن صالح بن أبي الرجال** وهو يترجم للسيد العلامة المجتهد الصلاحي **صلاح بن أحمد بن المهدي** بن محمد بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي المتوفى سنة 1044 شارح **الفصول والهداية** ما لفظه: «ولقد رأيته في بعض الأيام خارجاً إلى بعض المتنزهات بصعدة، فسمعت الرّهج وقعقعة المراجعة مع حركة الخيل من محل بعيد، فوقفت لأنظر، فخرج في نحو خمسة وثلاثين فارساً إلى متنزة بير رطبات، وهم يتراجعون في الطريق بالأبيات، ومنهم من ينشد صاحبه الشعر ويستنشده، وكان هذا دأبه، وكان كلفاً بالعلم، كان إذا سافر فأوّل

ما تضرب خيمة الكتب، فإذا ضربت دخل إليها ونشر الكتب والخدم يصلحون الخيم الأخرى» انتهى ما أردنا نقله من كتاب **مطلع البدور**.

قلت: وكانت ولاية الأمير **عز الدين بن الإمام شرف الدين** على صعدة وجهاتها من أواخر سنة 941 إحدى وأربعين وتسعمائة وذلك بعد فتحها من قبل والده الإمام **شرف الدين** بنحو عام واحد، واستمر على ولايته فيها حتى أسره الأتراك بقيادة **ازدمر باشا** بجهات الظاهر رمضان عام 954هـ وكان قد خرج من صعدة للتجهز على طائفة من **الأتراك** خرجت إلى تلك الجهات، وبعد قبضه أرسل إلى الأبواب السلطانية، ولكنه لم يصل بل توفي رحمه الله بينبع وهو في الطريق بذات السنة المذكورة عن تسع وثلاثين سنة من مولده. وفي أيام ولايته كانت عمارة جامع الإمام الهادي، وبناء سور مدينة صعدة، وبناء قصر مطهر داخل المدينة، ومنها بناية دار الدواميم[5] من محاسن الأمير **عز الدين** المذكور وإصلاحات أخرى مذكورة في محلها، وكان أميرا جليلا، مشهورا بالإقدام، وهو الذي مدحه صنوه العلامة الكبير سيدي **عبد الله بن الإمام شرف الدين** بالقصيدة الطنانة التي أولها:

خَطَرَتْ فَقُل للغُصن صلِّ على النبى ... وبدتْ فقالت للشموس تَحَجَّبى
وسموطها دارت على لبّاتِها ... وزهت فقلنا للنُّجوم تغيّبى
شمس تقول لمقلة الرائى لها ... من قبل مرآها إذهبى لا تذهبى
لاحت لنا كالبدر ثم تبرقعت ... فرأيت بدراً حلّ قلب العقرب
وبخدّها خال أراه عمها ... حسناً وناسبها بلون أجنبى

والقصيدة مشهورة في كتب التواريخ، وقد تركنا مجمل أبياتها.

***

وقد حظي المسجد في الآونة الأخيرة بداية من سنة 1411 إحدى عشر وأربعمائة وألف بحلقات الدرس والإحياء من قبل شيخنا المولى العلامة **الحسن بن محمد بن**

(5) وكانت هذا الدار من الدور الواسعة ذات المطابق والمحابس.

أحمد الفيشي اليوسفي الهادوي[6]، وقرأ عليه جماعة من الطلبة كاتب الأحرف واحد منهم في عدة من الكتب، **كبيان ابن مظفر**، وكتاب **الإعتصام**، **والشافي للمنصور بالله**، **وشرح الغاية** للمولى **الحسين بن القاسم**، وكتاب رسائل العدل والتوحيد، وكتاب **الكشاف للزمخشري**، وفي كتب الفرائض والنحو وغيرها مما أغفل. وشيخنا المذكور من أهل التحقيق في العلوم، مائل إلى الخمول متقشف لا يحب الظهور، وله أدب غض قد جمع في ديوان مستقل، نورد من ذلك ما قاله رضوان الله عليه في مناسبة إحدى الاحتفالات ناصحا ومذكرا:

ترقـــرق إشراق مـــن البســـمات ... ولألأ ضـــوء الأنـــس في القســـمات
لذكرى لهـا التـاريخ سـجل صـفحة ... تفـيض بـما فيهـا مـن النشـرات
طوت ما طوت في طيهـا مـن فـواتح ... لتـتلى مـدى الأيـام والسـنوات
أعاجيبهـا مـن كـل فـن تسـربت ... حثيثـاً تبـاري الـريح في الخطـوات
هلـم إلى كشـف الحقيقـة كـي تـرى ... عنـاوين بـالتطوير منبثقـات
فيـا أيهـا الإخـوان هيـا بنـا إلى ... إخـاء صـحيح محكـم الحلقـات
لنجمـع في تـدعيم كـل فضـيلة ... ومجـد وفخـر سـامقات الشـرفات
ونجتـاز في كـل المراحـل صـعبها ... بجـد وإخـلاص وحسـن ثبـات
ونكـدح في إنتـاج خـيرات أرضـنا ... لنغنـى عـن الإمـلاق والصـدقات
ونطلـع مـن أبناءنـا كـل صـالح ... بعيـد عـن الفحشـاء والكبـوات
لزامـاً علينـا أن نجـدد دارسـاً ... محتـه يـد التخريـب والنكسـات
نعـم ولنـا يـا إخـوة المجـد في الثـرى ... دفـين أَهَلْنـا فوقـه الصـخرات
نفـيس عزيـز لا يقـدر قـدره ... وكنـز ثمـين مصـدر البركـات
دفنـاه في أقصـى النجـوم تعمـدا ... عـلى حـين سـابقنا ذوي الغفـلات

(6) ولكاتب الأحرف كتاب مفرد في ترجمته سماه: سلوة الحزن في ترجمة العلامة الحسن.

عرفنا به الرحمن جل جلاله ودين الهدى والفضل والزلفات
عرجنا به بين الملائك في السما نزاحمهم في أرفع الدرجات
ولولاه ما خروا لمولاه سجدا لمن خصه بالسر والنفحات
ولولاه كنا في الحضيض ولم نكن نطالع للأنوار والقربات
ولولاه لم نشهد مع الله بل نرى أضل من الأنعام في النعرات
ولولاه ما كانت طلائع جيشنا ملائكة الرحمن في الحملات
ولم نك في الهيجاء كالطود حسرا نطيل سيوف الحق بالخطوات
ولم ترعب الأعداء منا صوارماً بكل زعاف الموت منطليات
ولم نمتلك إيوان كسرى وقيصر ونقهر أهل الأرض بالعزمات
ملكنا به الدنيا عرفنا به الفضا حللنا به الفردوس في الغرفات
ألا أنه الزلفى إلا أنه العلى ألا إنه جالي صدى الشبهات
ألا إنه قطب المكارم والتقى ونور صراط الحق والتحفات
سعادتنا في كل شيء ومنتهى مكارمنا واليانع الثمرات
ألا إنه علْمُ الهدى علَمُ البها وهادي النهى في حالك الظلمات(7)
فيا لفقيد العز بعد انقباضه لقينا عظيم النقص والأزمات
ويا ضيعة الإسلام إن لم يعد بنا ملاك السنا والمجد والبركات
فيا عين جودي بالدموع وبالدما ويا قلب لا تبرح من الحسرات
عسى ولعل الله يهدي رعاتنا فيولونه التصميم في اللفتات
وصلى إلهي ما تألق بارق على المصطفى والآل خير هداة

***

(7) يشير شيخنا رحمه الله إلى علوم أهل البيت عليهم السلام.

مسجد التوت

من المساجد العامرة في حارة التوت في الجهة الشمالية الغربية من صعدة.

وهو قديم العمارة إذ اشتهر فيه بالإقراء والتدريس منتصف القرن الثامن الشيخ العالم المحدث الحافظ جمال الدين **علي بن إبراهيم بن عطية بن محمد النجراني** المتوفى نحو سنة 780هـ، وصنوه العلامة المحقق في علوم القرآن والعربية الشيخ نظام الدين **إسماعيل بن إبراهيم النجراني** المتوفى سنة 794 صاحب كتاب **(الأسرار الشافية في شرح الكافية) لابن الحاجب**. وعلى هذين الأخوين العالمين أخذ جملة وافرة من علماء صعدة وغيرهم ممن وفد من البلدان اليمنية، كالسيد الإمام **علي بن محمد بن أبي القاسم** مصنف **تجريد الكشاف**، والفقيه **يوسف بن أحمد بن عثمان** مؤلف **الثمرات**، والعلامة النحوي الضليع **علي بن محمد بن سليمان هطيل** شارح **مقدمة ابن طاهر** بالشروح الثلاثة، وغيرهم.

ولم أقف في مطالعاتي على نسبة المسجد إلى من تكون، ولا متى كانت عمارته على جهة التحديد، والذي يظهر من خلال التتبع أنه هو ومسجد دبه الآتي قريبا من أقدم المساجد الصعدية، وأن أصل عمارتهما كانتا قبل القرن السادس الهجري والله أعلم. وقد حكى في إحدى وثائق الوقف المطلع عليها أن للفقيه **يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم المتميز** عمارة في مسجد التوت. وفي وثيقة أخرى مؤرخة شهر صفر سنة 938هـ جاء ما لفظه: «الزيادة المباركة التي زيدت في الجامع المبارك المنسوب إلى التوت المسمى بمسجد التوت، وشهرته بمدينة صعدة ظاهرة وهي الزيادة التي زيدت في المسجد من جانبه الغربي» إلخ كلامه. ورأيت في بيان لأوقاف ووصايا الفقهاء آل المتميز أن هذه الزيادة من عمارة والده الفقيه محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم المتميز، وأن له أموال وقفها على مسجد التوت هو وأحفاده من بعده وعلى مسجد بير الشريفة برحبان، ولايتها في الصالح من آل المتميز **الجامع لهم حي الفقيه الفاضل العلامة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم المتميز**، وهو المترجم له في تاريخ مطلع البدور ومما جاء في نعته ما لفظه: «كان من عباد الله الصالحين، وأهل التقوى والخشوع، مدرسا بصعدة، وقلّ ما دخل أحد من الطلبة في أيامه إلا ودرس عليه» انتهى كلامه **فهو أحد المفيدين بمسجد التوت، وتاريخ وفاته في شهر رجب سنة سبع وثلاثين وألف**، كما أرخته في كتابي عن التراجم، وقبره بالقرضين،

وله أولاد وأحفاده علماء فضلاء وهم ممن أحيوا هذا المسجد بالعلم في أيامهم، وخاتمة عقدهم في العصر الأخير سيدنا العلامة الفاضل الولي محمد بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم بن أبي القاسم المتميز الصعدي المتوفى شعبان عام 1398 ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف.

ومن الأعلام الذين اشتهروا بالتدريس في مسجد التوت أثناء القرن الرابع عشر عدة من العلماء أجلهم: السيد العلامة جمال الآل الأكرمين **علي بن عبد الله بن حسين الشهاري** المتوفى سنة 1376هـ، والعلامة المحقق شرف الأعلام **الحسن بن محمد سهيل** المتوفى سنة 1387هـ وغيرهم الكثير. وقد هدم المسجد كما أفادني بعض الإخوان في أيامنا، وأعيدت عمارته في سنة 1410 بسعاية الفقيه العلامة **إسماعيل بن إسحاق المتميز**[8]، وعلى نفقة الحاج **عبد الله بن صالح الصعيدي** وآخرين مناصفة بتكلفة مليون ريال وثمانمائة ألف ريال يمني، وهو بنايته الحالية عمره الله بالتقوى وأبقى.

***

وبالجملة فهو من المساجد التي اشتهر فيها إحياء العلم الشريف وإرتياد الطلبة له طيلة قرون عديدة، وممن اشتهر بالعبادة فيه والتدريس أيضا القاضي العلامة **عز الدين محمد بن يحيى بن محمد مرغم**، المذكور في كتاب **مآثر الأبرار**، وكان من أعيان العلماء المعاصرين لأيام الإمام **عز الدين بن الحسن** عليه السلام، وكذلك ولده القاضي العلامة عماد الدين **يحيى بن محمد مرغم** المتوفى كما وقفت على شاهد قبره سنة 909هـ، ومن نظم هذا القاضي **عماد الدين** هذه الأبيات:

عفتْ عن رسوم الأكرمين الأكارم ... وحلّ محل المكرمات المآثم
تغيرت الدنيا فكل فضيلة ... خلت وخلا عنها الورى والمكارم
تساوى زمان السوء أهلاً وطبعه ... وسُوْقَته والعالمون القماقم
فما الفخر إلا أن تكون منافقاً ... لتنفق أو نكساً خبيثاً تظالم
فأعلى الورى بالكذب والغدر معلم ... وعالمهم من بالدنيات عالم

(8) توفي هذا العلامة في أيامنا هذه سنة 1442هـ، وهو أحد الملازمين لمسجد التوت.

يبيـــع بفلـــس دينـــه وعلومـــه ولا يتقـــى نقصـــاً وإن لام لائـــم
يـرى نبلـه الفـوز الـذي لـيس مثلـه يقـول ألم تسـمع بـما قـال قـادم
وقائلـةٍ مـا الجـود قلـت لهـا الغنـى ومـا الـدين والـدنيا فقلـت الـدراهم
تـداوي جـراح المـرء بعـد اعتلالـه فـما هـي في التحقيـق إلا المـراهم
يصـلي لهـا صـدقاً ويخطـب خاشـعاً لـتحصيلها مـن أجلهـا وهـو صـائم
أضـيع الحيـا والـدين والمجـد والتقـى وقـص لهـا مـن أجنحتهـا القـوادم
وبتّت عرى الإحسان بين الـورى معـا وزال التغـاضي واسـتحلت محـارم
فـما الغُـرْم إلا أن يفـوا بعهـودهم ومـا الغُـنْم إلا الغـدر فهـو المغـانم
ذئـاب علـيهم مـن ثيـاب ملابـس عـلى كـل شر قـد لـوين العمائـم
رؤوس شـياطين عليهـا عمائـم وأعنـاق صـلٍّ والخـداع الـتمائم

وقد راجعه أديب زمانه وشاعر قطره وأوانه القاضي البليغ **موسى بن يحيى بن بهران** المتوفى سنة 933 بقصيدة فائقة على نفس الوزن والقافية، موجودة في ديوانه المطبوع، تركناها اختصارا، فالله المستعان.

جامع الإما م الهادي بصعدة

وهو من أقدس جوامع اليمن وأقدمها وأجلها وأشرفها، إذ عامره وواضع بنايته الأولى في عشر التسعين ومائتين هجرية هو الإمام الهادي إلى الحق المبين **يحيى بن الحسين بن القاسم** بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد بنى عليه السلام جامعه المذكور في إحدى ساحات قبيلة بني سعد بن سعد الخولانية، **وذلك في أطراف ما يسمى في كتب التواريخ بـ«قرية الغيل»**، فالقرية المذكورة هي موقع مدينة صعدة الحالية، واسم الغيل يشملها هي ووادي البقلات والمسلحقات جهة الشرق منها، حسبما حققناه بالنصوص التاريخية والشواهد في غير هذا الكتاب. وكان عليه السلام أول وصوله إلى صعدة قد أقام في صعدة القديمة التي كانت في أحضان جبل تلمص، حسبما ذلك معروف في سيرته، والتي كانت مناصفة

بين الإكيليين رؤساء الربيعة بن سعد بن خولان وبين اليرسميين، ولم يسكنها إلا بعد أن أرسى قواعد الإخاء والألفة بين هذه الأطراف المتنازعة قبل وصوله، **من الربيعيين واليرسميين والسعديين وإخوتهم بني فطيمة سكنة حقل صعدة** وذلك أول قدومه عليهم لستة أيام خلون من صفر سنة أربع وثمانين ومائتين، قال مؤلف سيرته عليه السلام: «وكان بينهم فتنة عظيمة، قد فني فيها الرجال، وذهبت فيها الأموال قال: «فلما قرب يحيى بن الحسين من البلد ضرب مضاربه قريبا منها، وأمرنا بالنزول فيها، فنزلنا، وخرج الناس إليه طوعا، لم يكره أحدا إلى خروج إليه، ولم يرسل لأحد يستقبله، فخرج إليه أهل صعدة الذين كانت بينهم الفتنة، وهم سعد والربيعة، والتقوا بأجمعهم إليه وسلموا عليه، فسلم عليهم وأمرهم أن يسلم بعضهم على بعض، ثم ابتدأ فخطب خطبة عظيمة بليغة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكرهم بالله، ووعظهم بمواعظ كثيرة، فرأيت الناس وبهم رجة، وهم يبكون مما سمعوا من كلامه ومواعظه، ويضجون كما يضج الحجاج عند بيت الله الحرام، ثم أمر بمصحف، فاستحلف بعضهم لبعض بترك الفتنة والعداوة، فحلفوا على ذلك، ثم أحلفهم هو لنفسه على الطاعة له والمناصرة والقيام بأمر الله والمعاضدة، فبايعوه في موضعه ذلك، واختلط الفريقان جميعا وكثروا، ودخلوا بأجمعهم صعدة كأن لم يكن بينهم فتنة، وكأنهم إخوة.

قال: فما رأيت يوما قط أحسن من ذلك اليوم، ولا أيسر أمرا، لما كان قد تناهى إلينا مما كان بين سعد والربيعة من قتل الرجال، وذهاب الأموال، وكنت أمرهم لا يتفق أبدا ولا يصلح، فلما رأيت سرعة اتفاقهم وصلاح أمرهم علمت أن ذلك هيبة أعطاها الله تبارك وتعالى يحيى بن الحسين عليه السلام. قال: ولقد خبرني جماعة من أهل صعدة منهم الحسن بن علي وعبد الله بن الحسين الفطيميان، ومحمد بن حجاج، وعلي بن صباح، ومحمد بن أبي الزبير اليرسميون وجماعة غيرهم من أهل اليمن: أن قواد آل يعفر كانت تأتيهم فتحاول الصلح بينهم فلا يقدرون على ذلك، ولقد أخبرني بعضهم أن قائدا لآل يعفر كان معه ألوف من العسكر، أتاهم فأراد الصلح فيما بينهم، وإنهم ليقتتلون وهو واقف ما له فيهم حيلة، حتى وقع بينهم عشرون قتيلا ما استوى له الصلح بينهم» انتهى.

(رواية تأسيسه للجامع)

وقد حكى القاضي العلامة المحدث حاكم المسلمين بصعدة تقي الدين **عبد الله بن محمد بن عبد الله** بن حمزة بن أبي النجم الصعدي المتوفى بها سنة 647هـ في كتابه **(درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية)** رواية في تأسيس الجامع، وذلك أن الإمام **الهادي يحيى بن الحسين** عليه السلام ركب ذات يوم على دابته وهو يومئذٍ بمدينة صعدة التي هي تحت الحصن المسمّى تلمص، إذ رأى عليه السلام نوراً ساطعاً، فسار نحوه حتى بلغ ذلك المكان، فلم ير شيئاً فالتفت فإذا النور خلفه، فرجع فسار شيئاً قليلاً فلم ير شيئاً، فالتفت فإذا النور خلفه، فتحرى عليه السلام موضع ذلك النور بجهده، ثم خط المسجد حرسه الله تعالى، وتوفي رضي الله عنه وعمارة المسجد مقدار نصف قامة الرجل، وما جمع فيه عليه السلام بنفسه سوى جمعةٍ واحدة» قال: «ثم أمر يعني الإمام **المرتضى** عليه السلام بحفر قبره في مؤخر مسجده الجامع بلا فصل». قلت: وبتأسيسه عليه السلام للجامع في هذا المكان انتقلت مدينة صعدة حول جامعه تدريجيا، وهجرت المدينة القديمة الواقعة تحت حصن تلمص، لحروب تتابعت عليها وفتن، يقول العلامة **ابن أبي النجم** المذكور:

«ولما تظاهرت الناس بالبركة في مشهده وجامعه بنوا الدور بجواره، وبالغوا فيها بالأثمان العظيمة، وتبادر إلى الحلول هناك صلحاء أهل البلاد من أولاد الهادي عليه السلام وغيرهم من أهل صعدة، حتى إن الدار هنالك لا توجد بدون ألف دينارٍ هادوي، وبركته ظاهرة» انتهى المراد نقله.

(حصن تلمص التاريخي)

وهو نسبة إلى جبل تلمص الواقع في ناحية الجنوب بغرب من مدينة صعدة الحالية بمسافة حوالي 5 كيلو مترات، وكانت مدينة صعدة أيام وصول الإمام الهادي عليه السلام تقع في أحضان هذا الجبل والحصن، جهة الشمال والشرق منهما، ممتدة إلى الجبجب ودرب اليرسميين(9)، حسبما تحكيه كتب التواريخ.

وتلمص بفتح التاء المثناه واللام وتشديد الميم المضمومة ثم صاد مهملة وللحصن

(9) درب اليرسميين هذا مما سكنه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، حسبما جاء في سيرته.

المذكور شهرة في كتب التاريخ، وأول من بناه في الجاهلية هو **يعلى بن عمرو بن زيد** أخو **ربيعة بن سعد بن خولان**، إذ قال **الحسن بن أحمد الهمداني** في كتابه **الإكليل** عند ذكره: «وهو صاحب حصن تلمص بصعدة. وممن سكنه في الجاهلية **نوال بن عتيك** مولى **سيف بن ذي يزن**»، وفي كتاب **مآثر الأبرار** للعلامة **الزحيف** أخبار لهذا الحصن مستوفاه، أعرضنا عن ذكرها مراعاة للاختصار.

وفي **تاريخ مدينة صنعاء للرازي** ما موجزه:

«قال **الحسن بن يعقوب الهمداني** أن المساجد المحدثة في الإسلام التي بنيت على مبارك الناقة ناقة **رسول الله** صلى الله عليه وآله: مسجد جامع صنعاء، والجند، وصعدة القديم» إلخ، ولعل ذلك المسجد كان على مقربة من المدينة القديمة، وقد اندرس ولم يعد له أثرا، وفي إحدى وثائق الوقف أن في الضيعة شمال غرب مدينة صعدة القديمة مسجد باسم الإمام الهادي، بل ذكر مثل ذلك السيد **أحمد بن محمد الشرفي** في تاريخه **اللآلي المضيئة** أثناء سيرة الإمام **أحمد بن سليمان** عليه السلام. ومشاكلةً لذلك فقد ذكر المؤرخون أن للإمام الهادي عليه السلام خمسة مساجد معروفة في اليمن، غير مسجده الجامع المقدس بصعدة، كلها تعرف باسمه، وقد جمعها بعض العلماء[10] في هذه الأبيات فقال:

مساجد الهادي إلى الحق خمسة ... مباركة مشهورة الـيُمْن في اليمن
لـ(ثاة) رداع ثم في (سمح) آنس ... وفي (منكث) أيضا له جامع حسن
وفي (بيت بوس) ثم في بيت حضرهم ... فجوزي بأسنى المن من واسع المنن

أما «ثاه» فقرية في الغرب الشمالي من رداع، وأما «سمح» فمن قرى بلاد آنس، و«منكث» قرية في الجنوب الغربي من يريم، و«بيت بوس» جنوبي صنعاء معروفة، وأراد بـ«بيت حضرهم» جبل حضور مغارب صنعاء[11].

***

(10) هو الفقيه حسين بن حسن العنسي، هكذا وقفت عليه في بعض المجاميع.
(11) وذكر في السيرة الهادوية أنه عمر مسجدا أيضا في خيوان.

(تكميل بناية الجامع المقدس ومبايعة ولده الإمام الناصر)

ولما توفي الإمام الهادي عليه أفضل السلام والتحية مؤسس الجامع المقدس بصعدة وواضع بنايته الأولى في آخر سنة ثمان وتسعين ومائتين، كان الجامع حسب رواية القاضي حاكم المسلمين بصعدة **ابن أبي النجم** إلى نصف قامة الرجل، أما في رواية علامة الشيعة في وقته **أحمد بن موسى الطبري** المتوفى نحو سنة 350هـ فقد ألمح بما يفيد أن الجامع بني في أيام الإمام الهادي وبعناية ولده المرتضى جبريل أهل الأرض **محمد بن الهادي** عليهما السلام، قال:

«حدثني قوم من الطبريين أن الإمام يعني الهادي إلى الحق حدثهم عندما بنى المسجد فكتب فيه: هذا مما أمر بعمله الإمام **المرتضى**، قال لهم: الاسم الذي كتبته في قبلة المسجد وجدته في بعض الكتب، وهو يومي لهم إلى كتاب الجفر، على نحو ما سمعوا من الهادي عليه السلام» انتهى بلفظه من كتاب **المنير**[12]، قلت: وهو الأرجح عندي وتشهد به أيضا كتب التواريخ والسير، فقد ذكر بعض المؤرخين أن قرية الغيل كانت هجرة للإمام الهادي عليه السلام في أخريات أيامه، وذكر أيضا نقلا عن سيرة الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي ما يفيد أن الإمام الناصر كان له منزلا في قرية الغيل في بداية دعوته، وكلما خرج للجهاد من صعدة إلى جهات اليمن عاد إليه، وكذلك صنوه الإمام المرتضى كان يودعه في خروجاته تلك إلى الخانق أو إلى أسل جنوبي صعدة، ويعود إلى دار له بقرية الغيل، وهذا يفيد ما أشار إليه العلامة الطبري رحمه الله، وقد ظل الحال على ما ذكرنا في سكونهما بقرية الغيل قرب جامع والدهما إلى أن توفي الإمام المرتضى، **فكان من الإمام الناصر عليه السلام عمارة حصنه المشهور بدرب الناصر، وهو درب كبير مستقل عن قرية الغيل وعن صعدة القديمة، في الوسط ما بينهما**، بل قال السيد الهادي بن إبراهيم في بعض كتبه أنه دون الميل من صعدة الحالية ناحية الغرب، وبالجملة فقد اجتهد أولاده في إكمال ما أسسه والدهم الإمام الهادي عليه السلام من الجامع المقدس في بعض مرافقه، وبالأخص ولده

(12) ومثله ذكر ابن المجاور في كتابه المعروف بالمستبصر، وسوف يأتي هذا النقل عنه برمته في أثناء ترجمة مسجد الداعي (مؤلف).

الإمام **الناصر**، إذ من الواضح أن له يد في تمام بناء الجامع المبارك، لاعتبارات عديدة، منها نسبة المنبر إليه كما سيأتي بيانه، على أنه قد ذكر أغلب المؤرخين أن اجتماع عامة الناس ووجوه خولان وحصول البيعة منهم للإمام الناصر **أحمد بن الإمام الهادي** إلى الحق إنما كانت في شهر صفر سنة إحدى وثلاثمائة، في جامع والده، وممن ذكر ذلك الشهيد **حميد المحلي في الحدائق الوردية** عند ذكر بيعته عليه السلام فقال ما لفظه: «ولما بويع له بالخلافة يوم الجمعة في مسجد الهادي إلى الحق الذي فيه قبره، ركب إلى صعدة القديمة في ذلك اليوم، واجتمع إليه خلق كثير من الناس، قيل: إنهم كانوا فيما بين صعدة والغيل، وأنشد **إبراهيم بن محمد التميمي** في ذلك اليوم قصيدة أولها:

عادات قلبك يوم البين أن يَعَجِبا ... وأن تراجع فيه الشوق والطربا

وخرج منها إلى المدح فقال:

قوم أبوهم رسول الله حسبهم ... بأن يكون لهم دون الأنام أبا
من ذا يفاخر أبناء النبي ومن ... هذا يداني إلى أنسابهم نسبا
قوم إذا افتخر الأقوام واجتهدوا ... رأيت كل فخار منهم اكتسبا
لولا الإله تلافانا بدينهم ... لما فتئنا عكوفا نعبد الصلبا
أقام جبريل في أبياتهم حقباً ... يتلو من الله في حافاتها الكتبا
أنتم أناس وجدنا الله صيركم ... لنا إليه إذا لذْنا به سببا
لا يدفع السوء والبلوى بغيركم ... عنا ولا ينجز الوعد الذي كتبا
وأنتم حزبه من دون غيركم ... ومن يكن حزبه منكم فقد غلبا
لا يصلح الدين والدنيا بغيركم ... ولا يقال لمن سامى بكم كذبا
من عابكم حسدا عاب الإله ومن ... عاب الإله فقد أودى وقد عطبا
ومن يكن سلمكم يسلم بسلمكم ... ومن يحاربكم جهلا فقد حربا
لم يفرض الله أجرا غير حبكم ... لجدكم خاتم الرسل الذي انتخبا
حتى الصلاة عليكم والدعاء لكم ... فرض على كل من صلى ومن خطبا

قلت: والظاهر أن أصل بناية الجامع المقدس الذي اختطه الإمام **الهادي** في أيامه كانت جهة الشرق من مشهده الآن عليه السلام، تبدأ غربا من قريب الصومعة الصغرى المعروفة في أيامنا، وتنتهي شرقا بجدار المؤخر الشرقي حاليا، هذا ما أفهمته عبارات العلامة **ابن أبي النجم** في كتاب **درر الأحاديث النبوية** إذ يقول: «إن الإمام **المرتضى** أمر بحفر قبر والده الإمام الهادي في مؤخر مسجده الجامع بلا فصل»، وفي موضع آخر ذكر ما يشير إلى أن قبره كان غربي الجامع، ومثل ذلك ورد في كتاب **الحدائق الوردية** للشهيد **حميد المحلي** علامة الشيعة الكرام في وقته عند ذكره موضع دفن الإمام **الهادي** عليه السلام إذ ورد في نسخة قديمة من **الحدائق** ما لفظه:

«ودفن في غربي المسجد الجامع بصعدة» انتهى. قال الفقيه العلامة المؤرخ **بدر الدين محمد بن علي بن فند الصعدي** المعروف **بالزحيف** المتوفى سنة 920هـ بعد نقله ما تقدم: «هكذا في **الحدائق الوردية**، ولعل صفة المسجد قد كانت مغايرة لصفته الآن، لأن قبة الهادي عليه السلام في هذا التأريخ يماني الجامع» انتهى وسيأتي في أثناء الكتاب مزيد توضيح لذلك من نقولات عديدة إن شاء الله.

***

ومما ينبغي معرفته في هذا السياق أن مدينة صعدة في أيام الإمام الناصر أحمد **بن الإمام الهادي** عليهما السلام وأوائل القرن الرابع الهجري كانت من معاقل الإسلام وحواضر العلم والأدب، ولذلك لاذ إليها في ظل ولايته عليه السلام الجلة من العلماء والشعراء وسواهم من الأعيان والتجار الصنعانيين وغيرهم هرباً من أوار فتنة القرامطة أتباع **علي بن الفضل** التي كانت قد عمت معظم الجهات اليمنية، ومن أشهر من وردها في تلك الأيام: الشيخ العالم النسابة أبو **نصر الحنبصي**، وتلميذه **الحسن بن أحمد الهمداني** مؤلف **صفة الجزيرة**، وكتاب **الإكليل** المعروف **بابن الحائك**، وجرت بينه وبين شعراء صعدة ذلك الحين ملاحاة ومهاجاة، قد ذكرت في كتب التواريخ.

وكان قاضي المسلمين بصعدة في تلك الأيام هو العالم المحدث الحافظ أبو جعفر **محمد بن سليمان الكوفي**، قال المولى عماد الدين يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله: هو صاحب الإمام الأعظم الهادي إلى الحق الأقوم، وجامع كتابه المنتخب والفنون، وجامع سيرته الهادوية وقاضيه، وله من المؤلفات كتاب **براهين النبي صلى الله عليه وآله وسلم،**

ومناقب أمير المؤمنين انتهى كلامه، وفي الطبقات وغيرها أن ما ألفه وجمعه من كتاب المناقب فيه الشهادة بفضل علمه في الفقه وأصول الملة، وبعلمه بطرق الاستدلال على الحق، **وكان ممن سمع عن محدث العراق محمد بن منصور المرادي، وخرج مع الإمام علي بن زيد بالكوفة**، ثم اختار الهجرة من العراق إلى إمام الأئمة الهادي إلى الحق، قال: واختيار الإمام الهادي له لولاية قضاء المسلمين في بلدته وحضرته وكذلك ولديه المرتضى والناصر يدل على أنه واحد الزيدية وعالم العلماء في عصره ومصره وغير مصره، انتهى. قلت: والظاهر أن وفاته بصعدة فقد ذكر أنه عمي أخريات أيامه، وكان موجودا بها سنة 316هـ. وممن ورد عليه للسماع بصعدة: الشيخ أبو عمران **موسى بن عيسى الكشاني**، ذكره في **أخبار أصفهان**، وسمع عليه أيضا الشيخ العالم **محمد بن أبي الفتح بن يوسف شيخ الضهري** الآتي قريبا.

***

ومما ورد إلى صعدة أيضا في تلك المدة:

(الحافظ ابن رميح النخعي المروزي)

وهو الشيخ المحدث الحافظ **أحمد بن محمد بن رميح بن وكيع أبو سعيد النخعي المروزي**، أحد ثقات محدثي الشيعة صاحب التصانيف المفيدة والمحاسن العديدة، وهو شيخ الحاكم **أبو عبد الله النيسابوري**، وقد أكثر الرواية عنه، قال **السمعاني**: وكان **ابن رميح** أقام بصعدة من بلاد اليمن زمانا طويلا، ثم ورد بغداد حدود سنة خمسين وثلاثمائة، وخرج منها إلى نيسابور، فأقام بها ثلاث سنين، ثم عاد إلى بغداد فسكنها مديدة، ثم استدعاه أمير المؤمنين أمير صعدة، فخرج صحبة الحاج إلى مكة، فلما قضى حجه أدركه أجله بالجحفة، ودفن هناك، قال الحاكم **أبو عبد الله** الحافظ: هو ثقة مأمون، توفي بالجحفة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، انتهى. وفي **تاريخ دمشق** للحافظ **ابن عساكر** ما لفظه: قرأت على **أبي القاسم الشحامي** عن **أبي بكر البيهقي**، أنا أبو عبد الله الحافظ قال: **أحمد بن محمد بن رميح** بن وكيع النخعي، أبو سعيد الحافظ الثقة المأمون، ولادته بالشرمقان، ومنشؤه بمرو، ومستقره كان باليمن عند السادة الصعدية، ولذلك يقال له الزيدي، وفي **لسان الميزان** أثناء ترجمته: وضعفه **أبو نعيم وأبو زرعة الكشي**، وقد حدث عنه **الدارقطني** انتهى وإنما ضعفه من ضعفه لأنه كان

زيدي المذهب تظاهر به انتهى كلام **ابن حجر**.

ومن أشهر العلماء المتولين للخطابة وإمامة محراب الجامع قبل الخمسمائة من الأعوام:

الشيخ العلامة المسند **الحسن بن أحمد بن يوسف الضهري** بالضاد، وهو أحد رواة كتاب الإمام **الهادي** عليه السلام المسمى **بالأحكام في معرفة الحلال والحرام**، قال مترجموه: والضهري هو إمام جامع الهادي في أيامه، وكان موجودا على قيد الحياة سنة 372هـ، ومنهم السيد العالم الكبير الحافظ لعلوم آل محمد **عبد الله بن المختار القاسم بن الناصر بن الإمام الهادي** توفي بعد سنة 390هـ، ومنهم السيد الشريف العالم **محسن بن الإمام المنتصر محمد بن المختار بن الناصر بن الإمام الهادي** إلى الحق، قام بالخطابة في الجامع المقدس نحوا من عشرين سنة، وكان موجودا سنة 420هـ. ومما ذكرته كتب التواريخ والتراجم أيضا في تلك الفترة: (حادثة الخطبة للصلحيين بصعدة) وذلك أنه لما كان في سنة ثلاث وستين وأربعمائة خطب الفقيه جعفر بن حسن الشّمري بصعدة للصليحيين على منبر الهادي عليه السلام، فنهض أمير زمانه وهو الشريف الأجل الهمام المعروف بالشريف الفاضل **القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم العياني** بنفسه، ولم يرض بنائب غيره حتّى دخل صعدة، فقبض على **الشمري** ورجع به إلى شهارة، فسجنه فيها إلى سنة سبعين وأربعمائة؛ فقيل في امتداح الشريف بذلك هذه الأبيات:

قُدْنا من الجبل المنيع جيادَنا ... أرن الأعِنّة كالصخور صِلادما
فمضين شعثاً كالعِشار بوادناً ... وسلكن شرقاً كالظباء سواهِما
يتبعن أشمط هاشمٍ وهُمامَها ... نجلَ الأئمة ذا المهابة قاسِما
الماجد الورع التقيَّ الزاهد الـ ... ـبرَّ الكميَّ الأريحيَّ العالِما
يقصدن هجرة جدِّه الهادي بها ... أكرِمْ بها وبه إليها قادِما
متغضباً لما طغت واستعملت ... سكانُ صعدة رأيَها المتقادما
ودعا المخلع فوق منبر جدّنا ... قُدْنا إليه المأقَطَ المتلاحما
فرجعن بالأسرى وكنّ مُرادنا ... دُون الغنائم والإياب غنائما

(وصول الشيخ الحافظ زيد بن الحسن البيهقي الزيدي)

وفي أيام الإمام المتوكل على الله **أحمد بن سليمان** عليه السلام كان خطيب وإمام الجامع المقدس كما تذكره كتب التواريخ والتراجم هو القاضي العالم الإمام الأجل **إسحاق بن أحمد بن محمد** بن أحمد بن عبد الملك بن عبد الباعث الصعدي المتوفى بها عام 555 هـ عن سن عالية، المقبور في رأس الميدان غربي باب المنصورة بصعدة، وهو مشهور مزور، والدعاء عنده مستجاب، وله ترجمة في الطبقات وغيرها.

وفي أيامهما وصل إلى مدينة صعدة من بلاد خراسان في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة الشيخ الإمام الزاهد الحافظ فخر الدين **زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أحمد بن عبد الله الخراساني البيهقي**، هكذا ذكره في **المطلع** قال: واشتهر بنسبته إلى جده فالموجود في الكتب **زيد بن الحسن البيهقي البروقني** ويقال **البروقاني**، وهو إمام في العلوم كبير، شيخ الحفاظ، إمام المعقول والمنقول، كثير العبادة، واسع الهمة، وكان قدومه إلى اليمن في جمادى الأولى سنة 541هـ، وقد ترجم له الجلة من علمائنا، قال السيد الإمام **صارم الدين الوزير** وقد ذكره في جملة حفاظ الأخبار ونقلة علوم الآثار من محدثي الشيعة الثقاة ما لفظه: «ومنهم **زيد بن الحسن الخراساني البيهقي الزيدي**، شرف الأمّة، حافظ الآثار، ناقل علوم الأئمة الأطهار، وهو الذي يذكر في إسناد **مجموع زيد بن علي** عليه السلام، وصَل من بلده لزيارة قبر **الهادي** عليه السلام، وعقد مجلساً لإملاء فضائل العترة بالمشهد المقدس بصعدة، وكان يملي في كل خميس وجمعة مدّة سنتين ونصف فما أعاد حديثاً، وسمع منه الإمام المتوكل على الله **أحمد بن سليمان** عليه السلام، والقاضي العلامة **جعفر بن أحمد بن عبد السلام الأبناوي البهلولي** وغيرهما، واستجازوا منه، وهو الذي يذكره أهل التعاليق في صفة صلاة التسبيح، وليس **بالبيهقي الشافعي** كما توهمه بعض الناس» انتهى كلامه.

قلت: وممن أخذ عن شيخ الإسلام **البيهقي** المذكور أثناء إقامته بصعدة القاضي العلامة **سليمان بن محمد شاور** المتوفى سنة 558هـ، وقبره بمجز شامي صعدة، وكذلك القاضي العلامة أبو محمد **عبد الله بن حمزة بن إبراهيم** بن حمزة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن حمزة بن علي بن إسحاق بن أبي النجم الحميري الصعدي،

وصنوه القاضي العلامة **محمد بن حمزة بن أبي النجم**، وهما أول من ذُكِرا في كتب التواريخ من أهل هذا البيت، المعمور بالعلم وتولي رتبة القضاء بصعدة في القرون السالفة واللاحقة حتى منتصف القرن الثامن الهجري، وقد ذكر القاضي في تاريخه أن هذه الوظيفة كانت إليهم من أيام الخليفة **عمر بن الخطاب**، وفي ذلك يقول أحد الأدباء يمدحهم:

هم نجوم القضاة قدما لعمري عمر قد أقام بشهود
والحريري في المقامات أثنى فيهم في كتابه المشهود

ومن الأحداث التي لها صلة بما نحن بصدده:

(اجتماع العلماء لمبايعة المنصور بالله في الجامع المقدس)

وفي ذلك يقول الشيخ العالم الأديب **أبو فراس بن دعثم بن أبي عمرو الصنعاني** مصنف **السيرة المنصورية** سيرة الإمام البحر الخضم المنصور بالله **عبد الله بن حمزة بن سليمان** عليه وعلى آبائه السلام والرضوان، المتوفى سنة 614هـ يذكر بيعة الإمام عليه السلام واجتماع العلماء ما لفظه:

«فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول من شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد امتلأ الجامع الشريف بصعدة مسجد الهادي إلى الحق عليه السلام، وغص بالعلماء والفضلاء والمسلمين، قام الأمير الكبير شمس الدين (**يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى**) خطيباً في الناس، فقال: يا جميع المسلمين، إنا قد أطلنا خبرة هذا الإمام وشهدنا بفضله، وأنه أحق الناس بهذا المقام وأولاهم، وقد تعيينت علينا وعليكم الفريضة، ولزمت الحجة، فهلموا فبايعوا الإمام، واستبقوا إلى شرف هذا المقام، فقد ارتضيناه إمامًا لما كملت فيه الخصال، فماذا بعد الحق إلا الضلال. وها نحن مبايعون ولأمره طايعون، ثم تقدم ومدّ يده فبايعه الإمام عليه السلام على **كتاب الله** وسنة **رسوله محمد** صلى الله عليه وعلى آله، والأمر بالمعروف الأكبر والنهي عن الفحشاء والمنكر، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، وإقتفاء سيرة الأئمة من آبائهم الطاهرين. ثم تقدم بعده صنوه بدر الدين الأمير الكبير داعي أمير المؤمنين **محمد بن**

أحمد، فبايع على ما جرت به بيعة أخيه، ثم تقدم بعدهما كبار الشرفاء، وأفاضل العلماء، والقضاة والفقهاء، فبايعوا، ثم تقدم سائر المسلمين وأهل الدين فبايعوا كافة على ما بايع عليه الأميران، ثم ارتقى الإمام عليه السلام المنبر، فخطب الناس، وأبلغ في الوعظ حتى صاروا يبكون من وعظه، وصلى بهم الجمعة» انتهى بلفظه وحروفه.
وكان قد سبق هذه المبايعة في الجامع المقدس اجتماع لمدة أربعة أشهر في هجرة معين جنوبي مدينة صعدة، وهي من الأيام المشهودة، وقد تطرق لذكرها وما جرى فيها من مذاكرة العلوم الشيخ **أبو فراس بن دعثم** وغيره في **السيرة المنصورية**، فلا حاجة للتطويل بها، وإلى ذلك قد أشار الإمام **إبراهيم بن محمد بن أحمد المؤيدي** الملقب بابن حوريه في أبياته التي أرسلها إلى إمام عصره المتوكل على الله **إسماعيل** يحثه على تفقد طلبة العلم بالمشهد اليحيوي بمدينة صعدة وذلك سنة 1081هـ:

أمير المؤمنين فدتك نفسي ... أتتك عروس فكر أي عرس
تذكرك المدارس كيف صارت ... لتدرك شمسها من قبل طمس
فإني قد رأيت العلم أشفى ... أما تشفيه قبل حلول رمس
وتدرك من مدينتا حياة ... فليس الطب قبل خروج نفس
وتحيى من معالمها مَوَاتاً ... بأمر منك في منشور طرس
فأمرك والمهند في سواء ... وعدلك في الورى يضحي
أما كانت ليحيى من قديم ... مهاجر كل شيعي ورسي
وللمنصور يوم (معين) فيها ... مقام عند ربك غير منسي
به قامت جهابذة كبار ... بدعوته وفيها كل نطس
وما زالت لعلم الآل فيها ... جبال شامخات ليس ترسي
ووقت أبي الحسين بها مئات ... أبوك لهم وسيطة عقد درس
فلو عيناك تنظر كيف صارت ... مدارسها دوارس مثل أمسي
ومن فيها من الطلاب يمسي ... يفكر كيف في تحصيل فلس
لأن حقوقهم صارت نهاباً ... وحظهم من الصدقات منسي

فهل يرضى إلهك مثل هذا وقد ولاك ربي كل نفسي
وحاشى أن تغاضى مثل هذا وأن ترضى بتطفيف وبخس

وفي هجرة معين المذكورة بناية الجامع المنصوري وهو إحدى المساجد التي عمرها وبناها الإمام المنصور بالله **عبد الله بن حمزة** عليه السلام في أيام ولايته على اليمن، وسيأتي بحرف الميم ذكر مسجده المنصوري بصعدة.

(عجيبة عن ذي الفقار والدعامة من وقت الهادي)

نُقلت عن سيرة الإمام الأعظم المهدي لدين الله **محمد بن المتوكل على الله المطهر بن يحيى** المظلل بالغمام المتوفى سنة 729هـ التي كتبها السيد العلامة **الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر** وهذا لفظها:

ومن كراماته يعني الإمام المهدي عليه السلام اختصاصه بذي الفقار من بين سائر الأئمة الأطهار، صار إليه من آل الهادي بني الأشل. وكان السيف المذكور مدفوناً، قيل في دعامة من وقت الهادي عليه السلام. وكان مشهورا مع **الهادي** عليه السلام، وله أشعار فيه موجودة في **الحدائق الوردية**، أخبرني الواثق أن هذا السيف ذو الفقار ربما زاد على السيوف في الطول المعتاد بأربع أصابع، وليس بالعريض، وكان في متنه ما يشبه العمود الذي في الخنجر، وكان في إحدى صفحتيه تسع فقرات، وفي الأخرى ثمان فقرات، وهي حفر ملوزة، لو حط في إحداهما لوزة لجاءت مكانها من غير زيادة ولا نقصان، وهذه الحفر مطليات ذهباً، قال: وما كان الإمام يكاد يفارقه، وكان في بعض مواطن الجهاد، وكان الذي يحمله للإمام الشيخ **منصور بن حاجب** وكان بالقرب من الإمام والحرب مبتعدة فانْتَوَل الإمام السيف من الشيخ **منصور** وسلَّه، فوجد فيه قطراً من دم أخضر، فعجبوا من ذلك، فقال الإمام: ربما أنه جاهد به من جاهد ممن علم الله سبحانه، قال **الواثق**: قال له **منصور** أشهد علي بهذه الشهادة. قال: وله عليه السلام شعر من قصيدة كبيرة ذكر فيها ذا الفقار، منه قوله:

أنا ابن مطهر وأبي علي وجدي أحمد مجد تساما
وفي يمناي والفقرات عضب حسام ثم حسبكه حساما

وبقي هذا السيف مع الإمام **المهدي** إلى أن توفي قدس الله روحه.

وكان قد بلغ السلطان المجاهد خبر السيف، فكان مغرماً به فاجتهد في صيرورته إليه، فخدع بعض الناس ابن الإمام: **أحمد بن الإمام المهدي محمد** بن المطهر[13] وقال له: إن السلطان يحب أن ينظر إلى السيف، وإنه يحصل لك بذلك مرادك، فاستصحبه ونزل به إلى السلطان المجاهد وهو **علي بن داود بن يوسف** فقبض عليه المجاهد وأمر لولد الإمام بشيء من الحطام ألف دينار معدودة، وقال: لو علمنا أنه ذو الفقار لأنفقنا فيه اللجين والنضار، ولكن يأخذ الشريف ما تصدقنا به، فبقي ابن الإمام بين إقدام وإحجام، فإن امتنع من قبض الدراهم فالسيف ليس بسالم، فقبضها مغصوبا، وعاد مكروبا، ثم إن السيف ذا الفقار بقي مع المجاهد إلى أن قبض عليه صاحب مصر في مكة، قال السيد **الناصر بن أحمد**: أخبرني الصنو فخر الدين **المطهر بن أحمد** بن أمير المؤمنين قال: كنا في حضرة المجاهد أنا وإخوتي، والقاضي **ابن صقر، وزياد الكاملي،** وجماعة من مماليك السلطان في مدينة الجند، فأخذ بعضهم يتكلم في حديث أهل بعدان وحربهم، فقال السلطان لزياد: يا زياد إحك للشرفاء قضية سيفهم الذي كان أنزله إلينا الشريف **أحمد،** فقال زياد: أنت يا مولاي. فقال السلطان: لما صار إليَّ هذا السيف كنت شاكاً فيه هل هو ذو الفقار؟ فقلت لجارية سرية لي في بعض الأوقات: ناوليني هذا السيف، فقامت وهي على صفه، فعالجت حمله، فما قدرت فانتهرتها، فقمت لأنتوله أنا وأيضاً على صفة، فما استطعت حمله فظننت أنه مربوط إلى شيء فما وجدت شيئاً، فعرفت أنه لأمر، فعدت فاغتسلت لأحمله، فحملته فعرفت أنه ذو الفقار، ثم إني حلَّيته وجعلت عليه جواهر من أحسن ما عندي تساوي مائة ألف دينار، ثم لما حججت إلى بيت الله الحرام وجرى ما جرى عليَّ من صاحب مصر ما أشفقت على شيء سوى السيف، وكان لا يفارقني وجعلته بين قميصي وأنا في جبل عرفات ثاني اثنين أو ثالث وقد تفرقت الجموع ونهبت الخزائن، وأنا منتظر ما يفعل فيَّ، فأقبل عليَّ أهل مصر فرجعت للسيف لأمسكه فما وجدته معي، ولا دريت من سلبه عني انتهى كلامه.

(13) وفي رواية أنه إبراهيم بن الإمام المهدي محمد بن المطهر والله أعلم.

قال السيد العلامة المؤرخ **محمد بن محمد زبارة** الحسني الصنعاني وقد نقل ما نقلناه في التعريف بهذا السيف في بعض كتبه ما لفظه:

وذو الفقار هو بالفتح والكسر سيف **سليمان بن داود**، أهدته له **بلقيس** مع ستة أسياف يمنية، ثم وصل إلى **العاص بن منبه بن الحجاج**، فقتله **علي بن أبي طالب** عليه السلام يوم بدر كافرا، وأخذ سيفه هذا، وفيه قيل: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»، ثم كان مع الإمام النفس الزكية **محمد بن عبد الله بن الحسن** بن الحسن بن علي بن أبي طالب في محاربته لجيش أبي **جعفر المنصور** في سنة 140هـ بالمدينة، ثم أخرج هذا السيف من الحجاز إلى اليمن الإمام **الهادي** إلى الحق **يحيى بن الحسين** وقاتل به، وله فيه أشعار كثيرة، منها ما جاء في سيرته عليه السلام من قوله:

الخيل تشهد لي وكل مثقف ... بالصبر والإبلاء والإقدام
حقاً ويشهد ذو الفقار بأنني ... أرويت حديه نجيع طغام
علاً ونهلا في المواقف كلها ... طلبا بثأر الدين والإسلام
حتى تذكر ذو الفقار مواقفاً ... من ذي الأيادي السيد القمقام
جدي على ذو الفضائل والنهى ... سيف الإله وكاسر الأصنام

قال في **مآثر الأبرار**: ويقال أن الهادي عليه السلام خرج إلى اليمن بثلاثة أشياء: كتاب **الجفر**، وذي الفقار، والهيكل، وهذه الثلاثة لم تجتمع لغيره، ومما وجد بخط الفقيه الأفضل **محمد بن ناجي الحملاني** رحمه الله ما لفظه: في وصية **علي** عليه السلام أن سيفه يدفع إلى قائم حق، وربما تنقل حتى وقع في يد الإمام **المطهر بن يحيى**، انتهى.

(زيادة الإمام المهدي في الجامع المقدس)

وهذه الزيادة للجامع المقدس عمرت في عشر الخمسين وسبعمائة قام بها الإمام العابد المهدي لدين الله **علي بن محمد بن علي بن** منصور بن يحيى بن منصور بن المفضل بن عبد الله المعروف بالحجاج لكثرة حجه بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام الداعي يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق وهي الزيادة والتوسعة الوحيدة التي ذكرت في كتب التواريخ بعد استكمال ولدي الهادي لجامع والدهما عليه السلام، فقد ملك

الأشراف الحمزات لمدينة صعدة بعد وفاة الإمام **عبد الله بن حمزة** نحو مائة وأربعين عاما إلى أن أزالهم منها الإمام المهدي **علي بن محمد**، لم يتخلل ذلك إلا ملك الإمام المهدي الشهيد السعيد **أحمد بن الحسين** عليه السلام مدة يسيرة، وكان ملك الحمزات لصعدة طوال هذه الفترة على صفة، البعض منها إقطاعا من **الرسوليين**، والبعض مشاركة مع ولاتهم عليها، والبعض استقلالا بأنفسهم بإمارتها، إلى أن كان خروجها نهائيا من أيديهم إلى ملك الإمام المهدي لدين الله **علي بن محمد** في نحو سنة 760هـ بعد حروب طائلة.

ففي تلك المدة كانت عمارة هذه الزيادة التي أشار إليها سيدي الجد العلامة **يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم** فيما نقله عنه صاحب كتاب (**غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**) فقال ما لفظه: «ومن مآثر الإمام **علي بن محمد** الزيادة المعروفة في جامع جده الإمام الهادي في صعدة والعمارة على المشاهد المقدسة وإصلاح البئر على يدي القاضي **عبد الله بن الحسن الدواري**» انتهى.

وهذا القاضي العلامة **عبد الله بن الحسن الدواري** هو علامة العلماء، وقاضي قضاة المسلمين، المعروف في وقته بسلطان العلماء، وكان بمثابة الوزير للإمام المهدي لدين الله **علي بن محمد**، ثم لولده الناصر **صلاح الدين**، ثم لحفيده المنصور **علي بن صلاح**، وفي عصر هؤلاء الأئمة الثلاثة عمرت مدينة صعدة العمارة التي لم يسبق لها، وبنيت فيها عدة من المساجد الفاخرة الفريدة في بناياتها وطرازها، وأجرى فيها الإمام الناصر **صلاح الدين** القوانين لتنظيم أسواقها وأوقافها ومصالحها العامة، وهذا كله بعناية هذا القاضي سلطان العلماء في وقته الذي تذكر كتب التواريخ أنه كان يقري العلوم الشرعية بمختلف فنونها في الجامع المقدس جامع الإمام الهادي عليه السلام، وأخذ عنه في ذلك جماعة وافرة، منهم السيد **صلاح بن الجلال**، **والسيد الهادي بن إبراهيم الوزير**، وصنوه الحافظ **محمد بن إبراهيم**، والفقيه **حسين بن أحمد بن ساعد**، وصنوه الفقيه **عبد الله بن أحمد بن ساعد**، قرأ عليه الأخوان المذكوران في الفروع والأصول نحو سبع سنين. ويقول السيد **الهادي بن إبراهيم الوزير** يذكر إحدى قراءاته على شيخه القاضي **عبد الله بن الحسن الدواري** بالجامع المقدس ما لفظه: «كانت قراءتي عليه لكتاب (**الخلاصة**) سنة ثمانين وسبعمائة بمسجد الهادي عليه السلام بصعدة حرسها الله بالأئمة الهادين»، قال: «وكنا بين يديه رحمه الله جماعة من طلبة العلم، يملي

علينا من بحر علمه الفرائدَ المنتقاة، ويمطر علينا من شآبيب فهمه المستقاة، وكان العلم في زمنه كالحديقة المزهرة، ووجوه العلوم الدينية بنور وجهه ضاحكة مستبشرة، وكانت ركائب الطلبة تحدىٰ إلىٰ سوحه من أداني الأرض وأقاصيها، وبلغ في العلم والتعليم وحياطة الدين ما لم يبلغه أحد، جمع بين محاسِن العلم والعمل، ونال من الله سبحانه في المآثر الصَّالحة نهاية السؤل والأمل» انتهىٰ كلامه.

قلت: وكان السيد **الهادي بن إبراهيم** قد أتىٰ علىٰ نظم كتاب **الخلاصة** المذكور وهو للشيخ العلامة الأصولي **أحمد بن الحسن الرصاص** في فن أصول الدين، وذلك في قصيدة رائية من بحر الطويل سماها **لباب المصاصة في نظم الخلاصة**، وفي آخرها تعرض لذكر شيخه القاضي **عبد الله بن الحسن الدواري** فقال:

وهذه خلاصات المسائل لم يكن ... علىَّ عزيز نظمها لك في شعري
هرقت لها كأس الكرىٰ بقراءة ... وبحث وتحقيق علىٰ العالم الصدر
هو القدوة العلامة الحبر إنّه ... ليبهر فضلاً كلّ علامة حبر
وقاضي قضاة المسلمين وسيّد الـ ... أكابر والشمس المضيئة في العصر
مؤيَّدة أقواله بأدلةٍ ... تقوم مقام النصر للعسكر المجر
هدانا إلىٰ سبل الرشاد ولم يزل ... يبيح لنا وفراً يزيد علىٰ الوفر
جزاه إله العرش من فيض علمه ... وتعليمه المشكور من أفضل الأجر

وسيأتي تاريخ وفاة القاضي في موضعه من هذا الكتاب.

(نص المؤرخ ابن أبي الرجال حول الجامع والتعليق عليه)

وقد لخص العلامة المؤرخ الكبير القاضي شهاب الدين **أحمد بن صالح بن أبي الرجال** المتوفىٰ سنة 1092هـ ما أسلفناه من ذكر المراحل التي مر بها بناء الجامع المقدس، فقال ما لفظه: «وأما زيادة المسجد مسجد الهادي عليه السلام في التنبيه بنفَسها وما حولها من المفاسح والعمارة علىٰ المشاهد المقدسة، وأصل[14] البئر وكانت

(14) في تاريخ بني الوزير: وإصلاح البئر.

بئره تنزع منها باليد، فكل هذه المحدثات ولواحقها من الأسباب التي للمسجد المبارك بإشارة الإمام المهدي **علي بن محمد** وولده **الناصر** عليهما السلام، والمتصدي لذلك والمعتني به حي القاضي العلامة فخر الدين **عبد الله بن الحسن الدواري** رحمة الله عليه» قلت انتهى كلام القاضي نقلا عن تاريخه **مطلع البدور** ثم اتضح لي أن القاضي **ابن أبي الرجال** إنما نقل الكلام برمته عن السيد العلامة **ابن الوزير** في تاريخهم المسمى **بالفضائل**.

ثم قال القاضي **أحمد بن صالح بن أبي الرجال** معقبا على ذلك بما لفظه:

«وكان أصل الجامع اليحيوي بصعدة: المؤخر إلى الجانب الشرقي الذي فيه محراب مستقل من عمارة **الناصر بن الهادي**، ثم فعل فيه الإمام **المهدي** ما ذُكر، وكمّل محاسنه الإمام **شرف الدين** بعناية ولده السيد **شمس الدين**، ويسمى الجامع المذكور بذي النورين، أعاد الله من بركاتهم» انتهى كلامه. ومن هذا النقل يتضح جليا ما استشكله العلامة **ابن فند الصعدي** فيما نقله عن **الحدائق الوردية** في أن موضع قبر الإمام **الهادي** كان غربي جامعه، فالعلامة **ابن أبي الرجال** ينص هنا أن موضع أصل الجامع اليحيوي الذي من عمارة الإمام **الهادي** وولديه **المرتضى والناصر**: هو الجانب الشرقي من المؤخر الآن الذي فيه محراب مستقل، وسيأتي التعريف بهذا المحراب، وهذا التحديد معروف المعالم إلى اليوم، فصح بذلك أن يكون قبره عليه السلام غربي الجامع في أيام الشهيد **المحلي**، وقول **ابن أبي النجم** دفن في مؤخر مسجده الجامع، يومي إلى أنه دفن على مقربة من الركن اليماني الغربي من الجامع الأصلي، جمعا بين الروايتين، ثم جاءت زيادة الإمام **المهدي** على الجامع في عشر الخمسين وسبعمائة حسبما تقدم التعريف بها لتمتد غربا من البناية الأصلية، لتجعل من قبره عليه السلام يماني الجامع، كما هو عليه اليوم، فتأمل ذلك فإنه مهم.

***

قلت: ويؤيد ما ذكره **ابن ابي الرجال** أيضا ويثبته ما شاهدناه وغيرنا في الحفريات التي حصلت في أيامنا في الجامع المقدس سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وألف، إذ ظهر محراب للجامع مغمورا في الأرض تحت المحراب الغربي الذي في المؤخر حاليا، المقابل والمسامت لقبر ومشهد الإمام الهادي عليه السلام، وفيه زخرفة عجيبة ونقوش وكتابات تدل على أنها

من وَضْع أهل القرن الثامن الهجري، وأن هذا المحراب من أعمال الزيادة المذكورة للإمام **المهدي**، وينتهي حد هذه الزيادة في الحفريات التي ظهرت على بعد نحو أمتار غربا من المحراب المذكور، وكشفت الحفريات أيضا عن مواثر قديمة تحت الأرض في عمق قامة الرجل، وآثار مواضي وأحواض، شرقي شام قبة الإمام الهادي قريبة من الصومعة الصغرى، ومن خلال التأمل فيها يظهر والله أعلم أنها من وضع وأعمال البناية الأصلية للجامع في القرن الثالث الهجري أو ما بعده، وفي هذه الأعمال المكتشفة بشكل عام تظهر قوة البناية، وجمال الصناعة، وفن الزخرفة التي لا عهد للمتأخرين بها، هذا ما استطعت إضافته في هذا السياق عن تلك الحفريات، وسوف أحرر مشاهدتي عنها في موضع آخر إن شاء الله.

صورة للمحراب المكتشف في الحفريات

(بناية الجامع المقدس على يد شمس الدين بن الإمام)

وأما عن البناية الحالية للجامع المقدس وهي العمارة القائمة حال تحرير هذا الكتاب، فالمفروغ منه تاريخيا أنها كانت في منتصف القرن العاشر الهجري، وبالتحديد عام 947 سبع وأربعين وتسعمائة، إذ ابتدأت في هذا العام عمارة الجامع بعناية الإمام **شرف الدين** على يد ولده الأمير المقام السامي المؤيد بالله **شمس الدين بن الإمام شرف الدين** وذلك إبان وصوله إلى صعدة في التاريخ المتقدم، وكان حينها متولي مدينة صنعاء، فتقدم عن أمر والده لإصلاح أمور جرت في قبائل العصيمات وعذر من بلاد حاشد، فلما تم له ذلك على أحسن حال، تقدم إلى صعدة، ذكر ذلك العلامة **الحسن بن محمد الزريقي** رحمه الله في سيرة الإمام **شرف الدين** ثم قال ما صورته: «فوصل أيده الله يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رجب سنة سبع وأربعين وتسعمائة، والتقى هو وأخوه **عز الدين**، وكان عائدا من نجران. فكان دخولهما مدينة صعدة بكرة ثاني اليوم المذكور مدخلا مباركا، يسر الناظرين ويسوء المنافرين، فقدّما زيارة الإمام **الهادي** عليه السلام، وكان والدهما الإمام **شرف الدين** قد كتب إلى ولده **شمس الدين** بسرعة القفول إلى محل ولايته لأمور دينية مدارها عليه، فلما عرف تعويل والده الإمام على ذلك كان منه من الأعمال الصالحة في مدة وقوفه بمدينة صعدة، وهي أربعة أيام لا غير أن أمر بتوسيع الجامع المقدس جامع والده الإمام **الهادي** من جميع جوانبه بعد أن استحضر العلماء والفضلاء[15] وشاورهم في ذلك واسترجحوه واستحسنوه، واشترى ما يحتاج إليه لتوسيع المسجد ومرافقه بما حوله من الخرابات وغيرها، وأمر بحفر بير مباركة لذلك، وترك لصرف ما يحتاج إليه من ذلك خمسة ألآف أوقية من ماله».

قلت: ووكيله الذي تركه لتصريف هذه الأعمال ومباشرتها هو أحد مشايخ اليمن، اطلعت على اسمه في وثائق الوقف، وقد فات عني تقييده، وأوقف الأمير **شمس الدين** من حر ماله على الجامع المقدس سبع آبار بمزارع الصحن جنوبي صعدة معروفة إلى اليوم بأسمائها، وهي بير غازي، وبير حساك، وبير قرمان، وبير الحنانة، وبير الداخلية، وبير

(15) من أجل العلماء في ذلك الوقت: القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران، والقاضي العلامة علي بن أحمد بن علي حابس الدواري، والسيد محمد بن عز الدين المفتي الكبير، وغيرهم.

جبل، وبير الهادي وتسمى في الأصل بير سالم، حكى ذلك في وثيقة شرعية للوقف، ولعلي أقف على ما نقلت عنها في دفاتري، وأحرر ما فيه فائدة هنا، بحوله وطوله.

قال العلامة **الزريقي** المذكور: «ولما منّ الله سبحانه وتعالى بتمام عمارة الجامع في شهر ربيع سنة خمسين وتسعمائة أنشأ الإمام عليه السلام هذه الأبيات الأربعة ارتجالا بكرة الجمعة سابع عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وأشار إلى القاضي شرف الدين **حسين بن محمد المسوري** بأن يزيد عليها ما يناسبها، فزاد القاضي **شرف الدين** ستة وعشرين بيتا على لسان الإمام، وأما الأبيات الخمسة المتعلقة بالتاريخ أولها: (وتم ذلك دون العام البيت) وآخرها فهي للعبد الفقير إلى عفو الله **حسن بن محمد الزريقي**، ولنذكر ذلك على الترتيب المذكور:

قال الإمام عليه السلام مبتدئا:

الحمد لله تم السؤل والأمل ... بعون ربّ له الإخلاص والعملُ
تقبّل الله يا شمس الهدى حرمًا ... عمرته فيه نور اللطف يشتعلُ
في سوح جدّك هادي الآل سيّدهم ... أبي الأئمة والصمصامة البطلُ
وسوْح أولاده سفن النجاة ومَنْ ... بهديهم وُضّحَت للأمة السبلُ

فقال القاضي **حسين بن محمد** متابعا:

القائمين بحق الله عز ولم ... يردهم فيه لا سهل ولا جبلُ
السالكين إلى العلياء مسالكها ... حتى ارتقوا منزلاً من دونه زحلُ
ودوّخوا الظلم في الآفاق واعتضدوا ... لله سمْر القنا الخطي واعتقلوا
غدوا وراحوا لما يرضى الإله به ... وآثروه وحلوا فيه وارتحلوا
واستسهلوا كل صعب في رضاه ولم ... يعقهم عنه لا وهنٌ ولا وَكَلُ
هم بايعوا الله بالأرواح كي يجدوا ... لديه يوم غدا أرباح ما فعلوا
وعاهدوه على بذل النفوس له ... إذ خوطبوا بحكيم الذكر فامتثلوا
أولئك القوم من ناواهم سفهاً ... فحظه الخسر والمجدود مَنْ وصلوا
وقد قَفَوْنا بحمد الله إثرهم ... مثلا بمثل فلا ميلٌ ولا ملُ

قمنـــا بنيـــةِ صـــدقٍ والإلـــه لنـــا ... عـــون، عليـــه تعـــالى نحـــن نتكـــلُ
بـه استعنا عـلى الخصـم الألـد فلـم ... يسـغ لـه العـل إذ قمنـا ولا النّهـلُ
مـــا إن جنحنـــا إلى مـــا يليـــق بنـــا ... كـلا ولا ردنـا عـن خصـمنا الوجـلُ
فـــنحن أسرة خـــير المرســـلين بنـــا ... يســـتنزل القطـــر أحيانـــا فينهمـــلُ
يا رب يـا رب يـا مـن لا شريـك لـه ... إليـــك وحـــدك يـــا ربـــاه نبتهـــلُ
في أن تكـون لنـا عونـا، فكـل فتـى ... إن لم تكـــن عونـــه لم تغنـــه الحيـــلُ
يـــا رب زدنـــا فقـــد أوليتنـــا منحـــاً ... عن وصفها يقصـر التفصيل والجمـلُ
وجـاز عبـدك شـمس الـدين إن لـه ... مناقبـاً عجـزت عـن شـأوها الأُوُلُ
أحيـا معـالم هـذا الـدين فانفتحـت ... لـه البسـيطة وانحطـت لـه القلـلُ
كذاك: مَنْ صلحت في النـاس سـيرته ... طابـت سريرتـه أو يـأتي الأجـلُ
جازاك ربك يا شـمس الهـدى فلقـد ... أضحى بمشهد يحيى يضـرب المثـلُ
عمرتـــه قاصـــدا الله محتســـباً ... ولم تـــزل بمـــراضي الله تحتفـــلُ

وقال العلامة الزريقي مؤرخا:

فـــتم ذاك لـــدون العـــام تقدمـــه ... مـــن الزمـــان ســـنين قبلـــه أولُ
تسـع المـائين وتسـع الأربعـين ومـا ... عن هجرة المصطفى ذا العـد ينفصـلُ
وكان عزمك يـا ابـن الشـم في رجـب ... على جهـاد مَـنْ استواهم الزلـل[16]
في ثـامن السـبع بعـد الأربعـين فـوا ... فى صعدة الشام منك العارض الهطـلُ
عـادت عـلى سـاكنيها منـك عائـدة ... لهـم عليهـا بميمـون الثنـاء زجَـلُ
أكـرمْ بهـا مـن يـدٍ كنـتَ الجـدير بهـا، ... لهـا الـرواة إلى الآفـاق قـد نقلـوا
وحبـذا الشـأن مـن شـأن سـبقت لـه ... سـبقَ امـرءٍ حبلـه بـالله متّصـلُ
حليـت صـعدة أحـلى حِليـة، فبهـا ... في الخلد يُهـدى إليـك الحِـلْي والحلـلُ
فليهنهـــا فلقـــد أكســـبتها شرفـــاً ... لمثلـه يعملـوا الأخيـار مـا عملـوا

(16) يشير إلى خلاف العصيات وعذر، وخروج الأمير شمس الدين لإصلاح شأنهم.

ولـيهنِ جـيران يحيـى مـا بـه انفـردوا ... من نـعمةٍ، فبهـا لا شـك قـد فُضِـلوا
أقـررت عـين الهـدى والمـؤمنين بهـا ... حتـى لكـل دعـاء صـالح بـذلوا
لا زال سعيك مشـكورا، ولا برحـت ... بفـيض بِـرّك تُحـدى الأنيـق الـذللُ

وقد نظم على وزن وقافية هذه القصيدة المتقدمة شعراء ذلك العصر، فقال الفقيه **محمد بن عبد القادر** لعله **الذماري الهراني** من ضمن أبيات قصيدته:

كسوتَ صعدة يا شمس الهدى حلـلاً ... فزانهـا مـن يـديك الحِـلْي والحلـلُ
تـنزّه المشـهد الهـادي بشـمس هـدى ... سـليل أفضـل مَـن يحفـى وينتعـلُ
وكـان مشـهد يحيـى حولـه جَـزَرٌ ... وعصبةٍ مِن بني كلبٍ لهـم زجـلُ(17)
ومـاؤه كـدرٌ لا يسـتطاب لـه ... نفـس المصـلي إذا مـا قـام يبتهـلُ
فصـار أشرف معمـورٍ وأنزهـه، ... ومسـجدا جامعـاً مـا إنْ لـه مثـلُ

وقد ذكر العلامة **الزريقي** وغيره أن بناء وعمارة الأمير **شمس الدين** للجامع المذكور من ماله الخاص، ولم يتعرض لبيت مال المسلمين، وقد سماه بجامع «**ذي النورين الجامع لكل المحاسن**»، وروي أنه بعد فراغه من بنايته وجد كنزاً مدفوناً؛ يؤيد ذلك ما جاء في أبيات قصيدة الفقيه **محمد بن عبد القادر**:

أفنـى القنـاطير في رضـوان خالقـه ... لم يـثن همتـه جـبنٌ ولا بخـلُ
وبعـدما صرف الأكيـاس محتسـباً ... ومـا تخونـه شـحٌ ولا ملـلُ
أوحى الإله إلى الأرضـين عـن كمـلٍ ... أعطي الرقين، فأعطـت وهـي تمتثـلُ
هـذا جـزاؤك في الـدنيا، ويـوم غـدٍ ... جـزؤاك الفـوز، نِعْـم الفـوز والبـدلُ

وجاء أيضا في قول بعض أهل عصره:

فيـا شـمس أبنـاء الإمـام وبـدرها ... وفارسـها والشعشـعان الغضـنفر
صرفـت قنـاطير النضـار فأصـبحت ... لـك الأرض مـداً بالقنـاطير تزخـر

وقد اطلعت في سيرة الإمام **شرف الدين** وغيرها من المجاميع على أدبيات فاخرة

(17) يشير إلى أن السوق بما فيه المجزرة كان على مقربة من مشهد الإمام الهادي عليه السلام، ولا بد أن ذلك كان جهة الغرب (مؤلف).

في بناء الجامع المقدس في ذلك العصر وغيرها من الإصلاحات بصعدة، هي ما بين نظم فاخر، ونثر عاطر، تركنا جملة ذلك مراعاة للإختصار، من ذلك:

(خبر بناء سور مدينة صعدة)

فقد ذكره العلامة **الحسن بن محمد الزريقي** في حوادث سنة إحدى وأربعين وتسعمائة فقال ما لفظه: ووصل من محروس صنعاء العمار قدر خمسمائة، لأن الإمام أيده الله لما استقر بصعدة استرجح عمارة سور عظيم عليها، وأمر بطلب العمّار من كل جهة، فوصل هؤلاء المذكورون بعناية ولده السيد المقام العالي **شمس الدين بن أمير المؤمنين**، وفي هذا الشهر المذكور يعني ربيع الآخر وقع الشروع في عمارة السور المبارك وهو سور عظيم، ولما وقع الشروع فيه استبعد كثير ممن رآه تمامه في مدة ثلاثة أعوام، وقال كثير من الناس: هذا لا يمكن تمامه إلا في عشرة أعوام فما فوقها، وكان الشروع في ذلك من عند السلفة التي تخرج منها إلى مسجد الإمام **المنصور** عليه السلام، فأعان الله سبحانه على هذا العمل، وبلغ الإمام أيده الله والمسلمين في ذلك قصارى الأمل، ولم تمض ستة أشهر منذ شرع فيه إلا وقد بلغت العمارة إلى باب المنصورة من جهة المغرب، وإلى باب الدار من جهة المشرق وذلك أوائل شهر شوال من السنة المذكورة انتهى.

(وصف بناية الجامع في أيامنا وما جرى من تجديدات)

وعمارة الجامع المقدس أيام تأليف هذا الكتاب عام 1434 أربع وثلاثين وأربعمائة وألف فلا تزال حسبما وضعت أيام الإمام **شرف الدين** عليه السلام، فيكون عمرها من سنة الفراغ من التأسيس عام خمسين وتسعمائة إلى يومنا هذا أربعمائة وأربع وثمانين سنة هجرية حرسها الله وأعلى كيانها. وقد دخل ضمن هذه العمارة بناية الجامع الأصلية والتوسعة التي جعلها الإمام المهدي **علي بن محمد**، ويبلغ مساحة الجامع من الشمال إلى الجنوب (45 مترا)، ومن الشرق إلى الغرب (47مترا)، فتكون المساحة الكلية للجامع (2115 متر مربع) وبالذراع ثلاثة ألف ومائة واثنين وسبعين ذراعا، شملت في ضمنها كل من المقدم، والمؤخر، والجناحين الشرقي والغربي، والصوح الشمسي بينهما في الوسط، ويبلغ ارتفاع جدران الجامع من الأرض إلى السقف نحو تسعة أمتار، وسمك مبنى الجدار الخارجي للجامع متر واحد. وبالجملة فقد كان بناؤه للجامع غاية في الوصف على طراز العمارة الإسلامية في البلاد اليمنية، وقد اعتمد في بنايته على الحجر ا الصلبة التي لا توجد مقطعها إلا على مسافة بعيدة من الجامع، ولا زالت كما هي لم تتأثر بعوامل التعرية. ويبلغ عدد جميع الدعائم في الجامع إلى مائة وأربعة عشر دعامة، منها في المقدم ست وخمسون، وفي الجناح الشرقي خمسة عشر، وفي الجناح الغربي مثلها، وفي المؤخر ثمانية وعشرين. أما أبواب الجامع فهي اثنى عشر بابا، أربعة في الجدار الجنوبي، وإثنان في الجدار الشرقي، وواحد في جدار القبلة، وخمسة في الجدار الغربي.وللجامع صومعتان صغرى وكبرى، وله أيضا مدخلان رئيسيان إحدهما جهة الشرق، والآخر جهة الغرب، وعليهما بوابتان تحملان عقود مفتوحة، وسيأتي تفصيل ما أجملناه.

تنبيه:

وقد تعرض الجامع المقدس المذكور لعله ليلة الأربعاء سادس وعشرين جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وأربعمائة وألف لغارات سلاح الطيران السعودي الإمريكي في عدوانهما الغاشم الحقود على اليمن، وكان المقصود تدمير الجامع المقدس بكامل مرافقه، ظهر ذلك من الاستهداف المباشر له، وعدد الغارات التي شنوها على

محيطه الشرقي الذي دمر بالكامل، ومع ذلك فقد أبطل الله ما أبرموا، وحاط الجامع والمشاهد اليحيوية بعنايته ورعايته فأخطؤوها ، وعدت هذه من الكرامات لهذا المقام اليحيوي المقدس، يريدون أن يطفؤا نور الله بسلاحهم القاتل المدمر ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والأعراب المنافقون.

صورة يظهر فيها جانب من آثار قصف العدوان لمحيط الجامع المقدس

ونأتي على وصف الجامع، فنذكر في البدء وصف وصفة:

(مقدم الجامع المقدس)

وهو باعتبار أربعة أجزاء: المقدم، وجناحاه الشرقي والغربي جهة الجنوب منه، يتوسط هذان الجناحان الصوح الشمسي ويسمى أيضا بهو، يبلغ طول هذا الصوح الشمسي من الشرق إلى الغرب (29مترا) وعرضه (18.5مترا) يتوسطه الصومعة الكبرى للجامع، وهي صومعة عالية آية في الفن المعماري والهندسي، يبلغ طولها من القاعدة إلى منتهاها حوالي 50 مترا، وهي تفوق مآذن كثيرة منتشرة في أنحاء البلاد اليمنية في معمارها وفنها، وتسميتها بالصومعة ـ وإن كان لا يتناسب ـ جريا على عادة

إطلاق أهل صعدة عليها، حيث والصومعة تصغر المئذنة من حيث الإرتفاع، ومن أحسن ما قيل في الصومعة قول الأمير **عبد الله بن أحمد الميكالي** مجنسا:

الله أوصى بـــــــــــالتقى وأولـــوا النهـى أوصـوا معـه

فـــالزم لنفســـك مســـجدا تخلـــو بـــه أو صـــومعه

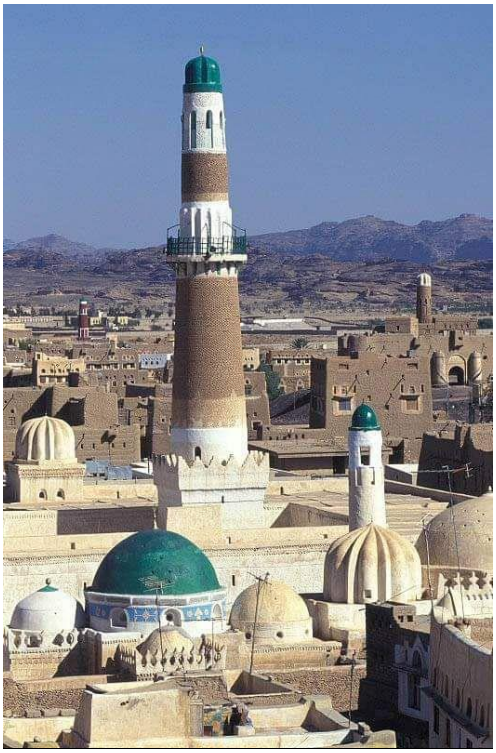

قال الأخ **عبد الله بن الحسين المتميز** في وصفها: وتقوم هذه الصومعة أو المئذنة على قاعدة مربعة مبنية من الحجر طول ضلعها (11.5مترا) وارتفاعها (10 أمتار) تقريبا، ملبسة بالجص مزخرفة بعناصر نباتية وهندسية، وتنتهي هذه القاعدة بشرفات مسننة، ثم ينتصب بعدها قوام الصومعة ببدن أسطواني مبني بالقرميد (الآجر) بارتفاع (40مترا)، وللصومعة مصعد إلى أعلاها عبر سلم حلزوني عدد درجاته (126 درجة) تدور حول

قطب البدن الإسطواني، الذي يقل قطره كلما ارتفع إلى أعلى، قال: ومن محاسن ناظرة الشام أيام الإمام **يحيى بن محمد حميد الدين** وهو السيد العلامة **محمد بن الحسن الوادعي** إصلاح طرابيزي الصومعة، (والطبرايزي) هو شرفة مستديرة قريبة من الثلث الأعلى للصومعة، بارزة صنعت من الخشب والجص، يستطيع الناظر منها والواقف عليها مطالعة مدينة صعدة من مكان مرتفع، وكان في الماضي يؤذن للصلوات الخمس من تلك الشرفة، وهي اليوم موضع المكرفونات، وهي من عمل الأسطى الحاج مسعود الخماسي رحمه الله قال: ومن محاسن ناظرة الشام الوادعي تصلية صوح الصومعة هذا، والصوح الغربي، والصوح اليماني عند المشاهد المقدسة بالأحجار الحبش، وكل ذلك كان عام أربع وستين وثلاثمائة وألف انتهى بتصرف غير مخل إن شاء الله.

(محراب الجامع ومنبره)

ويقدر طول المقدم من الشرق إلى الغرب بـ47 مترا وعرضه 18.5مترا، وفيه المحراب والمنبر، وله بابان (شرقي): نافذ إلى الشارع المسمى قديما بالمطراق وإلى سمسرة النزاري، و(غربي): نافذ إلى صرحة غربية هي من ملحقات الجامع، وفي جداره الشامي يوجد (محراب الجامع) المزخرف بالعناصر النباتية والهندسية والخط الكوفي الذي أعطاه رونقا وحسنا ضافيا، وعلى هذا المحراب قبة مضلعة من الداخل والخارج، يراها الناظر عن بعد. وعلى يمين المحراب يوجد باب القبلة المسمى (باب الخلافة)، يدخل منه الإمام الأعظم يوم الجمعة.

يلي المحراب من شرقيه (منبر الجامع)، وهو منبر قديم يرجع نسبته إلى أيام الإمام الناصر **أحمد بن الإمام الهادي** عليه السلام، ذكر ذلك عدة من المؤرخين، منهم القاضي **ابن أبي الرجال** أثناء ترجمة القاضي **إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث الصعدي** المتوفى بها سنة 555هـ خطيب هذا المنبر في أيامه، ثم قال: «وهذا المنبر موجود الآن في المقدم الذي عمره **شمس الدين** بن الإمام وهو الجامع المسمى بذي النورين، وفيه مكتوب: هذا ما أمر به **أحمد بن يحيى** أن يوضع في المسجد، وقد ذكر ذلك الأمير **الحسين** في كتاب **الشفاء** في باب صلاة الجمعة» انتهى. وقال الأخ **عبد الله بن الحسين المتميز** يصف هذا المنبر: يبلغ ارتفاعه من الأرض (2.5 مترا) وطول قاعدته إلى جهة

الغرب (2.5 مترا) مزخرف بالعناصر الكتابية والهندسية والنباتية، مطلي باللون الأبيض الفضي، والأصفر الذهبي، وكان اتجاهه إلى جهة الجنوب يقطع الصف الأول للمصلين، حسبما ذلك في الجامع الكبير بصنعاء، ثم حوّل ليكون على ما هو عليه اليوم، ونقب فيه ما نصه: «وبعد فإنه اقتضى رأي العلماء الأعلام الذي جعلهم الله حجة للأنام انحراف المنبر وتحويله» كما توجد كتابة في داخل المنبر قال فيها: «غفر الله لمن نقشه ومن آمر بنقشه، **لا إله إلا الله محمد رسول الله**، وقل جاء الحق وزهق الباطل، مما أمر بنقبه الناصر لدين الله **أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى** بن رسول الله».
قلت: ويروي مشايخ العلم بصعدة أن هذا المنبر نقل أثناء تجديد عمارة الجامع المقدس على يد السيد **شمس الدين بن الإمام شرف الدين** إلى مسجد بركات المتقدم ذكره، وبعد الفراغ من ذلك أعيد إلى الجامع المقدس انتهى.

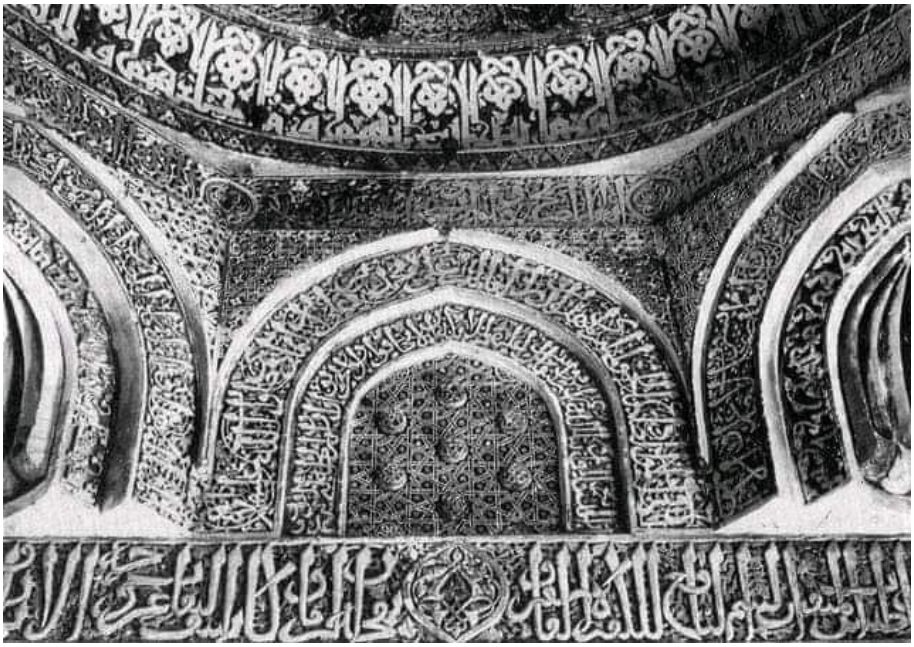

صورة لنقوش جدارية في الجامع المقدس

ويزين جدران الجامع من الداخل: في جميع المقدم والجناحين الشرقي والغربي حلة زخرفية من الجص تجسدت في شريط كتابي مزخرف أرضيته مطلية بالطلاء الأخضر،

والكتابة التي فيها مطلية بالطلاء الذهبي والفضي، وذلك من عمل الأسطى محمد بن فند ويحيى بن علي الهواس، وكان تمام العمل كما حكاه في هذا الطراز لهما يوم الاثنين شهر جمادى الآخرة سنة خمسين وتسعمائة، ويبدأ هذا الشريط الكتابي من (الركن الشرقي اليماني) للجناح الشرقي آخذا مساره على التوائه بين العقود إلى أن ينتهي إلى الجناح الغربي في (الركن الغربي اليماني)، منقوب فيه قصيدة الإمام **شرف الدين** التي تقدم إيرادها والتي مطلعها قوله: الحمد لله تم السؤل والأمل إلخ.

ثم كتب أيضا ما نصه: «أمر بعمارة هذا البيت المعمور، والحرم الشريف المشهور، والجامع المحجوج المزور، كعبة اليمن من مكة إلى عدن التي لم يقدر على مثلها في قادم الزمن وسالف الدهور مولانا الملك الحلاحل النقاب البحر العباب، الذي فاق الأتراب، واستوى عنده التبر والتراب، السيد الوقور، من صلحت بصلاح عنايته جميع الأمور، القائم عن أمر والده أمير المؤمنين بأمر الجمهور، والقطب العلوي الذي عليه فلك الإمامة يدور، إكليل المجد وتاجه وقمر الفضل وسراجه، ودرة التقصار، ونقطة البيكار، الظاهر كرمه وصيته ظهور النهار الخيار ابن الخيار ابن الخيار، المعظم المشكور، الليث الهاصر، والسيف الباتر، والبحر الزاخر، والغيث الماطر، فكل روض من غيث كفه ممطور، صاحب ألوية المفاخر، وساحب أردية المآثر بمجده الأثيل المأثور، المؤيد برب العالمين شمس الدنيا والدين **شمس الدين بن أمير المؤمنين شرف الدين ابن شمس الدين** ابن أمير المؤمنين الذي فضله في كل قطر ودفتر مشهور مسطور، وكان صرفه أيده الله على هذا الجامع، الجامع للمحاسن المسمى بذي النورين لأنه نور على نور من خالص ماله وخزانته وخاصيته من غير نظر منه ولا تعرض لبيت مال المسلمين الواسع الموفور:

فلا زالت شموسك طالعات ... ولا دانيت يا شمس الغروبا

وكانت عمارته أيده الله تعالى مدة ولايته بصنعاء اليمن وأعمالها، والتحمل لأعباء مشاقها وأثقالها، وجولان قلمه في تلك الأقاليم، غوريها ونجديها، وشرقيها وغربيها:

والأمر والنهي والسلاهب والـ ... ـبيض له والعبيد والخدم

والوقعات التي سمعت بها ... تكاد منها الجبال تنفصم

خلد الله سلطانه وأيد وطأته، ومكن من أقطار البسيطة بسطته، وأدام دولته ورفع

أعلام مجده وملكه، وجعل الأرض كلها ملكه، كما جرى في بحر السعادة فلكه، فلقد اجتمع له مع شرف البنوّة، وكرم الأبوة، والإنتصاب لإحياء الدين، وقطع دابر المفسدين، مع سخاء النفس، وصدق الحدس، وذكاء القلب، وسداد الرأي، وجودة الروية، وتوقد الألمعية، وسعة الصدر، ولين العريكة، والتجانف عن التكبر والتجبر بالغلبة، والقرب وعدم البعد بحيث يناله المظلوم، ويلوذ به المهضوم، من غير رادع ولا وازع، وتلك سجية مرضية، وغير ذلك من الشمائل المشهورة، والمزايا المأثورة ما لم يجتمع لغيره ممن تقمص الملك والرعاية، وتردى رداء الخلافة والولاية. وكانت عمارته هذه أيده الله مدة ولاية صنوه السيد المقام الشهير، الذي ليس له في الحماسة ولا في البسالة نظير، العزي عز الدنيا والدين عضد أمير المؤمنين **عز الدين** بن أمير المؤمنين على صعدة وبلادها، وجميع جهاتها شرقا وغرباً، ويمناً وشاماً، وولايتها عن والدهما أمير المؤمنين **شرف الدين** أبو الأملاك الثلاثة الميامين، الذين أشادوا منار الدين، وأحيوا شريعة سيد المرسلين، وأماتوا سنن الجبارين، وطمسوا مآثر الظالمين: الناصر لدين الله الملك الأشهر الأكبر، من شرد الظالمين ودمَّر **المطهر بن أمير المؤمنين**، وشقيقه **المؤيد** المظفر شمس الدنيا والدين بن أمير المؤمنين، وصنوهما المنتصر عز الدنيا والدين **عز الدين** بن أمير المؤمنين[18]:

بهم شرف الإسلام وانتصر الهدى وقامت قناة الدين واشتد كاهله
وأصبح منهم مجده وجلاله وفارسه يوم النزال وراجله

وكان ابتداء عمارة هذه البنية البهية والروضة القدسية الفردوسية السنية، الشرفية الشمسية اليحيوية عام سنة 946[19]، وتمام بدورها المضية عام سنة خمسين وتسعمائة سنة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل التحية وعترته الزكية، الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً. ولما فتح الله على المسلمين بهذا الجامع، الجامع لمحاسن الدنيا والدين، ببركة طلعة مولانا المؤيد شمس الدين، الذي تسلسلت

(18) أما الأخ عبد الله بن حسين المتميز في كتابه عن الجامع المقدس فأضاف هنا ذكر علي بن الإمام شرف الدين بهذه الصيغة: وصنوهما العلامة الأعمل تاج العترة المكلل واسطة عقد الآل المفضل جمال الدنيا والدين المرتضى لدين الله رب العالمين أبي الحسن علي بن أمير المؤمنين وسائر إخوتهم السادة الغر الميامين حفظهم الله أجمعين بما حفظ الذكر المبين، بهم شرف الإسلام إلخ البيت.

(19) كذا في الأصل المنقول عنه، والصواب سنة 947هـ.

إليه من جده **سيد المرسلين** صلى الله عليه وآله وسلم، ثم من أبيه أمير المؤمنين **شرف الدين**، وصرف فيه من الأموال التي تفوق الحصر والتدوين، فتح الله له معادن الأرضين، بالفضة والرقين، حتى قال بعض البلغاء المفلقين:

فيا شمس أبناء الإمام وبدرها ... وفارسها والشعشعان الغضنفر
صرفت قناطير النضار فأصبحت ... لك الأرض مدا بالقناطير تزخر
عمرت الهدى يا ابن الذي شيد الهدى ... وجدك من أضحى له الدين يعمر

ولا غرو لأنه أيده الله شمس الدين **المؤيد بن شرف الدين المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن شمس الدين** بن أمير المؤمنين المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن أمير المؤمنين يوسف الداعي بن أمير المؤمنين يحيى المنصور بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه» انتهى بلفظه منقولا من سيرة الإمام **شرف الدين** التي كتبها العلامة **الزريقي**، وهي نسخة مسودة قديمة، فليعلم ذلك. قال في أول هذا النقل عن السيرة: هذا نظير ما وضعه الفقيه **محمد بن عبد القادر** المذكور ورقم في طراز الجامع المذكور انتهى.

***

أما صفة الجناح الشرقي: فيبلغ طوله يماني المقدم (18.5مترا) وعرضه من الشرق إلى الغرب (9 أمتار)، ونظير ذلك الجناح الغربي طولا وعرضا، وتوجد في الجدار اليماني للجناح الشرقي خزانة كبيرة هي الخزانة الوحيدة للمقدم، تجمع فيها المصاحف القديمة وغيرها من مقتنيات الجامع. وله باب يماني مشترك مع المؤخر نافذ إليه كما سيأتي بيان ذلك، وله نحو ثلاثة منافذ مشرعة على الصوح الشمسي، وله باب شرقي نافذ إلى الشارع وسمسرة النزاري، وهذه السمسرة تسمى (فندق النزاري)، وهي بناية واسعة كثيرة الغرف، وهي تتبع الجامع وإليها تجبى النذورات والصدقات الواردة للجامع من جهات خولان وغيرها، ويسمى القائم عليها (وكيل الهادي)، وخلف هذه السمسرة شرقا يوجد (حائط جامع الهادي الشرقي)، والحائط عند أهالي صعدة هو البستان الذي

يتم تصريف مياة الجامع إليه، ومثله المقاشم عند أهالي مدينة صنعاء.

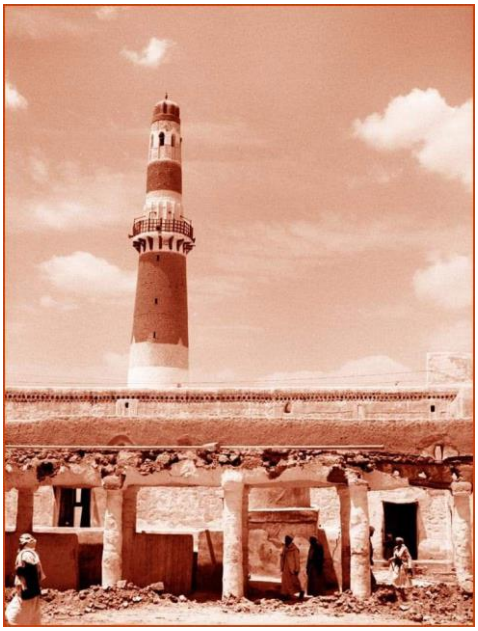

صورة لأحواض البركة القديمة وهي تهدم غربي الجامع المقدس

أما صفة الجناح الغربي، فهو على صفة الجناح الشرقي بالمثل، له باب يماني مشترك مع المؤخر نافذ إليه، وله نحو ثلاثة منافذ مشرعة على الصوح الشمسي، إلا أن له بابان جهة الغرب نافذان إلى البركة والأحواض (الحجرة ودورة المياة الحديثة والمكتبة حاليا)، وهذه هي مرافق الجامع المقدس التي كانت قائمة جهة الغرب، إذ كان المصلي يخرج من هذين البابين ليصل بفاصل طريق (متر ونصف) إلى أحواض شرقية تتبع بركة الجامع الواسعة، وولبركة أحواض في غربيها، وفي يمانيها أيضا أحواض ومصفى كبير للإغتسال وتنقية الأرجل، ومصبانة كانت أيضا لغسيل الأثواب وتطهيرها، يتصل آخر هذا المصفى إلى مقربة من باب المؤخر الغربي وإلى الباب الأخير من الجناح الغربي، ثم إنها ردمت هذه البركة ومضافاتها المذكورة كلها في أيامنا، وذلك في نحو سنة 1419هـ تسع عشرة وأربعمائة وألف، وجعل بدلا عنها حجرة واسعة، مبلطة بحجر المرر، في طرفها اليماني: خزان مائي في بناء مرتفع، وتحته مصفى لتنقية أرجل الخارج من دورة المياة الحديثة.

صورة لأحواض البركة القديمة التي هدمت غربي الجامع المقدس

ومن المرافق غربي الجامع جهة القبلة من البركة والأحواض سابقا:

(منازل طلبة العلم)

وهي غرف مبنية من الطين والآجر في الجهة القبلية، متصلة بمنازل أخرى جهة الغرب كانت تستعمل بعضها كمحكامة ومكتبة للجامع، وهناك أيضا منازل للجامع لا زالت باقية حتى اليوم، منها المنازل التي في الجهة اليمانية من البركة القديمة، وهي التي فوق الليليات حاليا، ومنازل أخرى شرقي قبة الإمام **الغرباني** عند المدخل الشرقي للجامع، وهي جميعا مخصصة لسكن طلبة العلم الوافدين من الجهات للقراءة على مشايخ الجامع المقدس وغيرهم من العلماء المفيدين في مساجد صعدة.

(المدرسة العلمية)

ومن محاسن مولانا الناصر لدين الله **أحمد بن يحيى حميد الدين** أيام سيادته إنشاء مدرسة علمية في الجامع المقدس، وذلك سنة 1351هـ أثناء إقامته بمدينة صعدة التي استمرت مدة سنة وسبعة أشهر وذلك لتسيير أمور الجهاد في حرب نجران، بأمره والده الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين، قال مؤلف رحلته المذكورة وهو السيد

العلامة الأديب **محمد بن عبد الرحمن شرف الدين** التي سماها (**البرق المتألق في رحلة مولانا سيف الإسلام إلى بلاد المشرق وما به ألحق**) ما لفظه: وذلك أن مولانا بحث عن درس العلوم وتحقيقها منطوقها والمفهوم في جامع الإمام الهادي، فلاح له قلة الدرس والتدريس، فأمر بتعيين مدرسين من العلماء العارفين، وإلزام تلاميذ من أولاد السادات وأهل البيوتات من بلاد صعدة، بملازمة القراءة في الجامع المذكور، وإحيائه بكل عمل مبرور، ثم إنه أيده الله رتب أمور المعارف ونظمها على أحسن تنظيم، وأمر لدرس العلم كل ذي فكر سليم، واختار لتدريسهم مدرسين من العلماء المهذبين، وعين لكل أستاذ وتلميذ من أموال الأوقاف راتبا من النقد والحبوب، وقرر أمور إدارة هذه المدرسة وصندوقها، وحث على التحري في المحافظة على جميع حقوقها، وما أحسن قول القاضي العلامة **يحيى بن محمد الإرياني** من جملة قصيدة:

أو ما تراه مذ أقام سموه ... في صعدة تاهت على المعمور
قد كان نور العلم قبل نزوله ... فيها أصيب بوصمة التكوير
نسجت عليه العنكبوت خيوطها ... فغدا يرى كالمربع المهجور
وخبت مصابيح المعارف كلها ... في سوحها وخلت عن التنوير
فأعاد جدته وشاد صروحه ... وأبان عن وضّاحه المستور
وغدا يرى للعلم في عرصاتها ... نورا نصيعا يا له من نور
وتنورت أفكار أهليها لما ... أحيا لهم من مجدها المقبور

وهي قصيدة طويلة، وتم هذا المقصد الحسن في أثناء شهر ربيع الأول وما بعده وزهت به بعد ذلك مدينة صعدة، انتهى كلامه وقد أسندت إدارة هذه المدرسة إلى القاضي العلامة **أحمد بن عبد الواسع بن يحيى الواسعي**، واستمر عليها المدة الطائلة، مع القيام بأوقاف المعارف الراجعة مصارفها للعلم والمتعلمين، وقد انتظمت هذه المدرسة في نظامها ومنهجها على غرار مدارس أخرى أنشأت في دولة الإمام **يحيى بن محمد حميد الدين**، منها المدرسة العلمية بصنعاء المسمى بدار العلوم، وقد تخرج من هذه المدارس العلماء الأفذاذ، وأمدت اليمن في تلك الأيام بالقضاة الأكفاء والعمال أهل الكفاءة على فصل القضايا بين الرعية، وأراحت الرعية من طول النزاع والشجار

بصلح مرضى أو حكم شرعي، وهذه من محاسن الدولة المتوكلية اليمنية.

(مكتبة الجامع)

وهذه المكتبة هي من محاسن ولي العهد حينها سيف الإسلام **أحمد** بن أمير المؤمنين المتوكل على الله **يحيى بن محمد حميد الدين**، قال في البرق المتألق ما لفظه: وكان في مدينة صعدة كتب موقوفة على العلماء والمتعلمين في المدينة المذكورة، وكانت متفرقة غير محصورة، وبعضها قد مزقت أوراقه، وظهر محاقه، فأمر بها فجمعت وعلى حضرته الأحمدية عرضت، فأمر في الحال بترميمها وحباكتها، وعمارة مكتبة في صرح غربي جامع الإمام الهادي لحفظها عن تفرقها وتهالكها، وأمر بنصب حافظ يحفظها، وخصص له أجرة مقابل ذلك، قال: وكانت عمارة هذه المكتبة الشريفة والمحسنة اللطيفة من العمل المشكور من أهل الدين انتهى بتصرف.

(المحكامة)

وهي قديمة غربي الجامع وكانت تخصص للقضاء بين الناس، وقد ذكر هذه المحكامة السيد المؤرخ **الحسن بن صلاح الداعي** في شرح **الدامغة الكبرى**، وأفاد أنه كان يقضي فيها القاضي العلامة **عبد الله بن علي الفهد**، والفقيه العلامة **علي بن قاسم طشي**، وغيرهما من حكام دولة الإمام المتوكل على الله **إسماعيل** بصعدة، وقد استمرت هذه المحكامة والعمل فيها إلى وقت قريب من قيام الثورة، وتحت المحكامة المذكورة يوجد أحد المداخل الرئيسية للجامع وهو المدخل الغربي للجامع، وفتح في أيامنا باب ثالث على مقربة من هذا المدخل المذكور ينفذ منه الداخل للجامع إلى دورة المياة الحديثة.

ومن مرافق الجامع المقدس جهة الغرب (مراحيض قديمة) كانت غربي البركة سابقا، وإليها بير قديمة إلى جهة اليمن منها قليلا، وهي التي حفرت بعناية القاضي **عبد الله بن الحسن الدواري** في القرن الثامن الهجري، وجنوبا منها يوجد حائط الجامع الغربي. وقد هدمت هذه المراحيض في أيامنا كليا، وتم في عرصتها وبدلا عنها بناء دورة مياة حديثة للجامع وذلك سنة 1408 يوافق عام 1987م بتوجيه محافظ اللواء حينها **محمد جار الله شايف**، وبنى أعلى هذه المنشأة المذكورة طابق ثاني فيه فصول وغرف صارت مدرسة علمية فيما بعد، ومكتبة تضم

مخطوطات الجامع، ولا زالت هذه المحسنة باقية حتى اليوم، كما أنه قبل ذلك في عام 1406 يوافق 1986م تم عملية ترميم للجامع المقدس وتجصيص جدرانه من الداخل وتزويده بالإضاءة الكهربائية الحديثة، وذلك بتوجيه محافظ اللواء حينها المقدم السيد **يحيى بن محمد الشامي**، وهذا منقوب في كتابة في جدار مقدم الجامع القبلي يسار المحراب والله الموفق.

ومن المرافق جهة الجنوب من البركة سابقا (الأحواض الليلية):

وإنما سميت بهذا الإسم لأنها تكون عادة مسقوفة، وتحفظ الماء أثناء فصل الشتاء من البرودة الزايدة، وهي ملاصقة لقبة الإمام المهدي **علي بن محمد** من جهة الغرب، وأعلاها منازل لطلبة العلم الوافدين من الجهات للقراءة على مشايخ الجامع المقدس وغيره، ولا زالت هذه المنازل والأحواض حتى يومنا هذا، وهي الواقعة غربي مشاهد القبور[20]، ويتوسط هذه الأحواض وركن المؤخر الغربي اليماني (حجرة صغيرة) مسقوفة، تعد ممر للمصلي من هذه الأحواض إلى الجامع في أيام المطر وغيرها، ولهذه الحجرة خمسة أبواب، (باب) في جدار المؤخر نافذ إليه، و(بابان) قبلي وغربي نافذان إلى البركة قديما ومصفاها، و(باب يماني) نافذ إلى الليليات، و(باب شرقي) نافذ إلى ساحة المشاهد اليحيوية، وفي هذه الحجرة وخارجها يوجد عدة سقايات للماء وسقاية للسليط كان يوضع فيها مخزون السليط المعد لإضاءة الجامع المقدس، قال الأخ **عبد الله بن حسين المتميز**: والواضع لها هو ناظرة الشام السيد العلامة **محمد بن الحسن الوادعي** وبجانب هذه السقاية لوحان صغيران، منقوب في أحدهما أبيات شعرية هي قوله:

هـذي السـقاية مـن مـآثر مـن لـه	**في نيـل أهـل الفضـل أعـلى مقصـد**
العـالم العلـم التقـي أخـي النهـى	**الكامـل البـدر الزكـي الأمجـد**
شمس الهدى والدين أحمد نجـل مـن	**حـاز المفـاخر والمكـارم عـن يـد**
السـيد العلامـة المهـدي ذي	**الإحسان والإفضال والكـف النـدي**

وفي اللوح الآخر قال فيه: هذه سقاية مولانا **أحمد بن القاسم** نقلت هي وسقاية السليط وسقاية آل النوعة من حجرة الجامع الغربية إلى هذا الموضع توسعة للحجرة، وتجنيب الحجرة من الأوساخ والنجاسات، وذلك في عام 1364هـ. ويلي اللوحين

(20) يريد بذلك القبور الواقعة بين مشهد الإمام الهادي ومشهد الإمام المهدي حسبما سيأتي بيانه.

لوح ثالث قال فيه: العامر لهذه السقاية والواقف لها والأراضي التي ستذكر مولانا صفي الإسلام **أحمد بن محمد بن المهدي النوعة**، لا زال ذا سعي حميد يشكر، بعد أن وثقوه على صلاح عمارتها، ورأى رأيه ورأي من إليهم النظر في مصالح المسلمين: وقفت هذه الأراضي الآتي ذكرها رفاتها وغلاتها في صب ماء عددت بهذه رجائي جزيل ثواب رب العالمين وقفاً صحيحاً شرعياً، مسبلاً مؤبداً، مؤكداً دائماً، لا يباع ولا يوهب حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وهذه الموقوفات: (الخريمة) ستة وأربعين حبلة، (وعر سويد) 17 حبلة، و(مسبل الريد) 47 حبلة و23، (القطعة اليمانية) 8 حبل، (تي الوقل) 92 حبلة، و(تي تيسر) 14 حبلة، (حبل الواسط) فوق على جبل سعد 27 حبلة بتاريخ شهر جماد الأولى 1134هـ.

(صفة مؤخر الجامع)

وقد يسمى بالجامع الصغير، لأن فيه أصل بناية جامع الإمام الهادي، وكذلك الزيادة التي جعلها الإمام المهدي **علي بن محمد** عليه، وقد أسلفنا الإشارة إلى ذلك، وسيأتي أيضا مزيد بيان. وطول هذا المؤخر من الشرق إلى الغرب (47 مترا) مقدار عرض الجناحين الشرقي والغربي والصوح الشمسي مجتمعين على التمام، أما عرضه من الشمال إلى الجنوب فيبلغ (8 أمتار)، وعدد الدعائم فيه 28 دعامة، تحمل فوقها وما بينها 84 عقدا. **وللمؤخر المذكور في جداره القبلي**:

(ست خزائن صغار) للكتب والمصاحف وغيرها.

و(محرابان أيضا)، الأول جهة غربي، وهو المحراب المسامت لقبر ومشهد الإمام الهادي تماما، وهو فيما أحسب محراب الزيادة التي جعلها الإمام **المهدي** على الجامع والمكتشف في الحفريات التي أشرنا إليه آنفا، والثاني: من المحاريب جهة الشرق من الأول قليلا، وكلاهما منقوشان مزخرفان، وهناك محراب ثالث للمؤخر في أقصى جهة الشرق منه، لكنه سد، وأحيل في أيامنا إلى خزانة، وكان أحد الأولياء الأبدال يكثر التعبد والتهجد في هذا المحراب، لعله لاعتقاد صالح له فيه، وهو حسب رواية **ابن أبي الرجال** المحراب المستقل الذي عناه في وصف أصل بناية الإمام الهادي عليه السلام والله أعلم. وللمؤخر (أربعة أبواب) أيضا، اثنان منها نافذة إلى الصوح الشمسي الذي فيه الصومعة، وباب نافذ إلى الجناح الشرقي، وآخر نافذ إلى الجناح الغربي. وللمؤخر أيضا بابان في جداره الغربي أحدهما

نافذ إلى حجرة الأحواض القديمة المسمى الليليات، والآخر نافذ إلى مصفى البركة وأحواضها سابقا. وله أيضا أربعة أبواب كبيرة خشبية في جداره اليماني، مشرعة جميعها على ساحة المشاهد اليحيوية، (الغربي من تلك الأبواب) مقابل قبة الإمام المهدي **علي بن محمد**، (يليه باب) مقابل مشهد وقبة الإمام **الهادي** عليه السلام، (يليه باب) مقابل قبة **أحمد بن القاسم**، (يليه باب) أقصى جهة الشرق مقابل لباب قبة الإمام **الغرباني**، وهذه:

(المشاهد والقباب يماني الجامع المقدس)

التي ذكرناها آنفا، هي موجودة في باحةٍ جنوبية للجامع المقدس، مستقلة بذاتها عن الجامع بينها وبينه صرحة واسعة، وتسمى مجتمعة المشاهد اليحيوية في كتب التواريخ، وهذه المشاهد المقدسة هي من أجل المشاهد في البلاد اليمنية وأعظمها، ففي جنباتها مراقد وقبور عدة من أئمة أهل البيت الكرام، وجماعة من السادة العلماء المقتصدين، والفقهاء المحققين، وغيرهم من الفضلاء والأمراء.

منظر عام للجامع المقدس من الجهة الجنوبية ويظهر فيها المشاهد اليحيوية والصومعتين الكبرى والصغرى

ويجمع الجميع في هذه الباحة الطاهرة المنزهة على مر الليالي والأيام والدهور، ستة مشاهد، بنيت عليها في أزمنة مختلفة قباب محكمة البناء، رائعة التصميم، وكل مشهد

من هذه المشاهد اشتهر باسم واحد من المقبورين بداخله، فلنذكر كل منها على إنفراد. وأولى تلك المشاهد بالتقديم والذكر:

1ـ مشهد وقبة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين

وهي متوسطة للقباب، قد أحاطت بها أنوار النبوة في ذلك الجناب:

فيها إمام الهدى الهادي المتوج بالـ ـعلياء أكرم داع من بني مضر
مَنْ خُص بالجفر من أبناء فاطمة وذي الفقار ومن أروى ظما الفِقَر
وصاحب المذهب الميمون في اليمن الـ ـمشهور من غير لا إفك ولا نكر
سارت بمذهبه الركبان واستلمت بقبره الناس مثل الحِجْر والحجر

وهو أشهر من نار على علم، وقد روى الإمام **أبو طالب الهاروني** عليه السلام في آماليه في فضل زيارة **أهل البيت** بإسناده عن **علي** عليه السلام، قال: قال لي **رسول اللّه** صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبراً من قبورنا أهل البيت، ثم مات من عامه الذي زار فيه، وكّل اللّه تعالى بقبره سبعين ملكاً يسبحون له إلى يوم القيامة»[21]. ولذلك يرد إلى مشهده عليه السلام للزيارة المأثورة شرعاً من أقصى النواحي والبلدان، وأما أهل مدينة صعدة فلا زالوا بزيارته رائحين غادين، وبنشر فضله وفضائله قائلين، يقول القائل منهم:

إذا ما شئتَ أن تحـ ـيا حياةً حلوة المحيا
فَزُرْ يحيى تجد يحيى لدين الله قد أحيا

وفي ذلك أيضا يقول الأخ الأديب عبد الله بن محمد النعمي :

بلدي وأرض أحبتي يا حادي غرست محبتها بجوف فؤادي
فاقت محاسنها البلاد وزاد من أفضالها قبر الإمام الهادي
طوبى لعبد زار مشهد صعدة وجلا بنور القلب كل فساد

ولا غرو فقد ثوى في هذه التربة الطاهرة علم من أعلام بيت النبوة الميامين، وإمام

(21) روى في أمالي أبي طالب، في الباب الثامن.

سابق بالخيرات أصلح الله بعلمه وإرشاده الدين، وأحيا بجهاده واجتهاده شريعة جده سيد المرسلين، إذ كانت سيرته سيرة نبوية حذو القذة بالقذة، إذ هو القائل عليه السلام لأهل زمانه: «والله لئن اطعتموني لافقدتم من رسول الله صلى الله عليه وآله إلا شخصه إن شاء الله». وبالجملة فسيرته عليه السلام وأخباره وفضائله ومناقبه أنور من الشمس، وأبعد ما تكون من الشبهة واللبس، وأراني في تعاطي ذلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر.

***

قال القاضي تقي الدين عبد الله بن محمد ابن أبي النجم يذكر تاريخ وفاته ومدة إقامته بصعدة ما لفظه: «توفي عليه السلام وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بمدينة صعدة حرسها الله تعالى، آخر سنة ثمان وتسعين ومائتين عشية الأحد لعشر بقين من ذي الحجة، قال: وكان ظهوره سنة ثمانين، فكانت مدة خلافته ثمان عشرة سنة، أقام منها في وطننا مدينة صعدة وأعمالها ست عشرة سنة، فشهر دعوته ونشر رايته، وأنفذ حكمه، فجزاه الله عنا خيرا» انتهى كلامه. ولله در معاصره الشاعر الأديب البليغ **إبراهيم بن محمد بن جدّو** (22) إذ يقول من قصيدة طويلة يرثيه فيها:

دمـــوع مرتهـــا فاســـتهل غزيرهـــا ... حـرارات ثكـل لـيس يخبـو سـعيرها
هـــو الثكـــل لا ثكـــل البنـــين وإنـــما ... يعفـى عـلى ثكـل البنـين شـهورها
وثكـــل أمـــير المـــؤمنين مجـــدد ... عـلى الأرض مـا هبـت عليهـا دبورهـا
ألا خابـــت الأيـــام مـــاذا تعاقبـــت ... علينـــا بـــه آصـــالها ويكورهـــا
برتنـــا كـــما تـــبرى القـــداح، نـــدوبها ... وكـــرّ، لنـــا بالمصـــمئل كرورهـــا
لقـد ضـمن الهـادي إلى الحـق حفـرة ... مطهـــرة طابـــت وطـــاب نشـــورها
فصارت بطون الأرض تزهـو، وطالمـا ... زهـــت بـــأمير المـــؤمنين ظهورهـــا
وكانـــت قلـــوب المـــؤمنين بعدلـــه ... مطهـــرة طـــول الحيـــاة ودورهـــا

(22) وهو نفسه إبراهيم بن محمد التميمي ناظم القصيدة البائية السابقة، فليعلم ذلك.

فقد أصبحت من بعده اليوم إذ مضى مطهرة أمواتها وقبورها
وكان لأهل الأرض في الأرض رحمة فلما تولى فأجاتهم شرورها
أتخلو قلوب المؤمنين من الأسى وقد مات يحيى بن الحسين أميرها
وأصبحت الدنيا وأمة أحمد معطلة أمصارها وثغورها
ألا أبلغا خولان في مستقرها وهمدان ما أهدى إليها مشيرها
أناشدكم بالله في منع دينكم وفي حرم غالٍ عليكم مهورها
وفي بلدة كانت لكم قبل تبع بكم مُنعت آطامها وقصورها
وفي ابن رسول الله بين ظهوركم وسيرة عدل كان فيكم يسيرها
دعوا عنكم الشحناء في ذات بينكم وكونوا له عونا على من يثيرها
فقد طالما ذدتم عن الدين بالقنا وبالخيل تعدو في الأعنة فورها
فعودوا لها لله در أبيكم ودر نساء ربأتكم حجورها

ويقول المؤرخ الصعدي الأديب الكامل والفقيه الفاضل **محمد بن علي بن يونس بن فند المعروف بالزحيف** من قصيدة مشيرا إلى صاحب المشهد قدس الله روحه:

أفديك يا صاحب التابوت من علم يجلو بتأبينه شعري وإنشادي
يا درة التاج من أبناء فاطمة ويا إماما لأبدال وأوتاد
ويا مقيم عثار الدين ينعشه وناقم الثأر من شانٍ وأضداد
وناشر العلم في شام وفي يمن وحارس الشرع من كفر وإلحاد
مفني القرامطة الطاغين مهلكهم وقد وقفت لباغيهم بمرصاد
طمست رسم علي الفضل فانعصفت رياحه بعد إبراق وإرعاد
وكان قد طبق الآفاق مذهبه واشتد فيها بأطناب وأوتاد
كان المؤذن في أثناء موكبه يدعو ابن فضل رسول الله يا غاد
بل ادعى أنه رب العباد فهل وراء ذا القول يا للناس من هاد

يشير بذلك إلى ما نقله المؤرخ **بهاء الدين الجندي** في كتابه **السلوك في طبقات العلماء والملوك** عن **ابن جرير** ولفظه: وكان عنوان **ابن الفضل** إلى أسعد: من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها **علي بن الفضل** إلى عبده **أسعد بن أبي يعفر**[23]، وكفى بهذا الكلام دليلا على كفره، فنسأل الله العصمة انتهى كلام **الجندي**.

فقمت تمعن في استئصال شأفته ... إمعان هود على عاد وشداد
فالله يجزيك عن مسعاك أفضل ما ... جزى إماما على تقيم ميّاد
ما زلت للمذهب الزيدي تظهره ... وقد بغوه بإطفاء وإخماد
فكل أشياع زيد في ربا يمن ... إلى مساقط جيلان فسنداد
صنائع لك في أعناقهم منن ... عقدتها عقد تأسيس وإيجاد
يكفيك في العلم فخرا أيما رجل ... من شيعة الآل في عصر ولا باد
إلا وأنت أساس في انتشارهم ... في الأرض من بعد تشريد وإظهاد
لا سيما من ثوى في صعدة فهم ... رق لهديك عاليهم مع الشادي

***

وعلى ذكر المنة العظمى التي للإمام **الهادي إلى الحق** على أهل مذهبه من أتباع العترة الزكية في اليمن وجيلان وديلمان والعراقين وخراسان وأتباعهم من العدلية اذكر ما ذكره السيد **الهادي بن إبراهيم** رضوان الله عليه في كتابه **هداية الراغبين إلى مذهب الأئمة الطاهرين** فقال مشير إلى ذلك:

فقد انتشر مذهبه عليه السلام في آفاق الزيدية، وضرب بجرانه في بلاد أتباع العترة النبوية بالجيل والديلم ونواحيهما، واليمن والحجاز وما بينهما، وأُظهرت أقواله عليه السلام في هذه البلاد، وقيّض الله لمذهبه أنصاراً من أهل البيت وعلمائهم شيدوا أركانه، ورصوا بنيانه، ورجحوا برهانه، وأظهروا تبيانه، هذا، ومذهب زيد عليه السلام متقدم عليه، والأكثر من الزيدية مائل إليه، فالتزم أكثر الزيدية مذهب الهادي عليه السلام، واعتقدوا صحته من العلماء المجتهدين والأئمة الهادين، فرَّعُوا على

(23) وذكر ذلك أيضا الحمادي وكان باطنيا، وهو صاحب كتاب (كشف أسرار الباطنية).

نصوصه وشرحوها، وخرجوا أصوله وصححوها، وضبطوها وأتقنوها، وبينوها وبرهنوها، وصنفوا فيها التصانيف العجيبة الوسيعة، وجمعوا فيها الكتب الغريبة البديعة؛ من متقدم أحرز قصبات السبق وتولاها، ومتأخر كان ابن جلاها وطلاّع ثناياها. قال: فصار كلام الهادي عندهم أصلاً متبعاً، ومنهجاً مهيعاً، وطريقاً بادياً، وعلماً هادياً، ونوراً مضياً، ودیناً مرضياً، وما ذاك إلا لخصيصة خصه الله بها وزاده عليهم بسطة فيها، ومن أنكر هذا فهو جاهل، لأن المنتصرين لمذهب الهادي عليه السلام خلق كثير لا يمكنهم التواطؤ على نصرته من باب الحمية، ولم يجمعهم مكان ولا زمان واحد فينظمهم التعاقد على التزامه خوفاً من أحد أو تقية، بل عرفوا من فضله ما جهله الجاهلون، وعلموا من قدره ما هُمْ به العلماء العاملون؛ فرضي الله عنهم وأرضاهم.

قال: فإن قال قائل أو سأل سائل: بم عرفتم صحة مذهب الهادي؟

قلنا: بإذعان السادة الهارونيين، والمنصور بالله له، فإنهم ناضلوا دونه، واستنبطوا من مكنونه، -أعني أبا العباس والسيد أبا الحسين وأبا طالب-. وما كثر فقه الشافعي رحمه الله إلا بأصحابه، وعنايتهم في التصنيف عليه، والشروح لمجملاته، والفتوح لمقفلاته. وهكذا الكلام في مذهب الهادي عليه السلام قيض الله له هؤلاء السادة الثلاثة، تبحروا في علمه، وتوسعوا في فقهه، وصنفوا عليه الكتب العجيبة، والشروع الغريبة، وتأولوا ما احتاج إلى التأويل، وعللوا ما افتقر إلى التعليل؛ حتى صار مذهبه بعنايتهم مهذباً محرراً، وفقهه بدرايتهم ملخصاً مقرراً؛ فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً كثيراً، ولقاهم بما فعلوه نضرة وسروروا .

قلت: وفي ذلك يقول الإمام الداعي يحيى بن المحسن في أرجوزته المشهورة:

قد صنّفا التحريرَ والتجريدا لقول يحيى أظهرا التأييدا

على قياسٍ قوله محدودا مجتهدين آثرا التقليدا

واغترفا حوضاً له مورودا

انتهى المراد نقله وتحريره.

(دليل الزائر للمشاهد اليحيوية)

وليعلم القارئ والمطلع أني سوف أوجز عباراتي في التعريف بهذه المقامات، ومن دفن فيها من العلماء والذوات، محيلا لمن أراد الإستقصاء إلى كتب التراجم والتواريخ، ومكتفيا بما كنت حررته في قادم الأيام من مختصر سماه بعض الإخوان (**دليل الزائر لجامع الإمام الهادي والمشاهد اليحيوية**) مع إضافات ذات فائدة يقتضيها السياق والمقام، **فأقول**: عند دخولك أخي الزائر إلى هذا المشهد الهادوي ـ وبابه مفتوح جهة الشمال ـ تجد أمامك تابوت بداخله مرقد الإمام الهادي إلى الحق **يحيى بن الحسين** عليه السلام، وإلى جنبه في نفس التابوت مرقد ابنه جبريل أهل الأرض الإمام المرتضى **محمد بن الهادي** المتوفى غرة عام 310هـ، وإلى جنبيهما **الحسن بن الإمام القاسم** عم الإمام الهادي، فجميعهم في تابوت واحد على هذا الترتيب.

وفي الجهة الشرقية من هذا التابوت تجد:

مرقد الإمام المختار **القاسم بن الناصر بن الإمام الهادي**، وهو جد السادة آل **يحيى بن يحيى** استشهد بريدة في سجن آل الضحاك قتل غدراً سنة 345هـ، ونقله ابن أخيه الإمام **يوسف الداعي** إلى صعدة بعد ثلاث وعشرين سنة، فوجده على حاله لم يتغير، وذلك أول سنة 368هـ فقبر في المشهد المقدس في هذا الموضع. وإلى جنبه جهة الجنوب مرقد المولى جمال الدين **علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد**، توفي شهر جمادى الأول عام 1121هـ، وهو متولي صعدة في أيامه لمدة خمسين عاما، والذي أعاد بناء القبة بعد اختلالها كما سيأتي بيانه، ويليه مرقد المنتصر، قيل: أنه المنتصر **محمد بن المختار القاسم**. ويلي مرقد المولى **علي بن أحمد والمختار بن الناصر** جهة الشرق: قبر السيد **إسماعيل بن المرتضى بن الإمام الهادي**، ويليه السيد **الحسن بن المختار بن الناصر بن الهادي**، وهو الذي بجوار الجدار الواقع شرقاً عند النافذة المطلة على قبة **علي بن صلاح**، ثم السيد **يحيى بن يحيى** وهو الذي يقع إلى الأمام، ويقال أنه صاحب الزعفرانة.

وفي الجهة الجنوبية من تابوت الإمام الهادي: تجد في حوطة مستقلة مجموعة قبور، هم حسبما رُوي من الشهداء الطبريين، وقد اختلطت معالم تلك القبور ولم يعد يميز قبر من آخر، ومن الألواح التي لا زالت أمامك شاهد ضريح باسم: **محمد بن أحمد بن**

الإمام القاسم بن محمد توفي شعبان عام 1031هـ، ويليه شاهد ضريح آخر لم يظهر لمن يكون.

وفي الجهة الغربية من تابوت الإمام الهادي: تجد مرقد وتابوت ابنه الإمام الناصر لدين الله **أحمد بن الإمام الهادي**، توفي ثامن عشر ذي الحجة عام 325هـ وعليه قبة مستقلة لها عقد مفتوح على مشهد والده الإمام الهادي، ولها باب يماني صغير يخرجك إلى حائط الشهداء، وباب إلى جهة الغرب يخرجك إلى القبور الواقعة بين مشهد الإمام الهادي ومشهد الإمام المهدي **علي بن محمد** الآتي التعريف بهم. وكانت جدران القبة المذكورة بدون كتابات أو غيرها، فتم عبر مكتب الأوقاف وتمويله، وعناية وإشراف كاتب الأحرف عمل زخرفة ونقوش للقبة هي مرأى الزائر لها في أيامنا، وكان الفراغ من ذلك صفر عام 1434هـ.

***

قلت: ولا غنى لنا بعد هذا التعريف من تسجيل نص السيد العلامة المؤرخ **الحسن بن صلاح الداعي** في كتابه (**شرح الدامغة الكبرى**) في التعريف بقبور هذا المقام المبارك ولفظه: قال **المذاهبي**: معرفة القبور التي في المشهد المقدس بصعدة، أولها: قبر الإمام الهادي إلى الحق، وهو الذي سَمْت المحراب.

ويماني قبره بلا فصل قبر ولده الإمام المرتضى جبريل أهل الأرض، ويماني قبر المرتضى عليه السلام قبر **الحسن بن القاسم بن إبراهيم**، وهو عم الهادي عليه السلام، وغربي قبر الهادي عليه السلام قبر ولده الإمام الناصر لدين الله **أحمد بن الهادي** عليه السلام، وغربي قبر الناصر خارج القبة قبر ولده الإمام المنصور بالله **يحيى بن الناصر بن الهادي** عليه السلام، وغربي قبر المنصور: قبر ولده الإمام الداعي إلى الله **يوسف الأكبر بن المنصور يحيى بن الناصر**، ومن يماني قبر الداعي: الأمير المقتدر بالله تاج الدين **أحمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى** عليهم السلام، ومما يلي قبر تاج الدين من اليمن مع ما أخذ من المغرب، وهو في الزاوية: قبر الأمير المتثق بالله **الحسن بن المنصور بن الناصر بن الهادي** عليهم السلام. قال **المذاهبي**: ويلي قبر الهادي عليه السلام من الشرق: قبر الإمام المختار لدين الله **القاسم بن الناصر بن الهادي** عليه السلام، وإليه ينتسب آل **يحيى بن يحيى**، ويلي قبر المختار شرقياً قبر **إسماعيل بن المرتضى بن الهادي**،

ويليه إلى جهة الشرق متصلاً بالقبة الشرقية: قبر **الحسن بن المختار بن الناصر بن الهادي** انتهى ما روي عن **المذاهبي**. قلت: ووجد في قبة الهادي عليه السلام خلال العمارة الجديدة التي في زماننا هذا قبر لا يعرف صاحبه، قد صار عليه بناء، وهو إلى جهة الشرق في داخل القبة تحت الشباك اليماني، وحفر في حياته حي المتوكل على الله **علي بن أحمد** قبر بين هذا القبر المذكور وقبر **المختار بن الناصر**، ولما توفي قُبِر فيه، وقد كان جعل تابوتاً واحداً جامعاً له وللمختار، وصار التابوت جامعاً لهما، ويليه شرقياً قبر آخر كذلك وجد عليه تابوت قد اكتبس وعليه صحيفة بخط كوفي ذكر فيه قال: هذا قبر المنتصر ونسبه إلى المختار، وليس هو **بالمنتصر بن المختار**، ويليه يمانياً خارج القبة قبر ثالث وجد كذلك، وربما يكون ثَمَّ غيرهم في تلك الحوطة التي لا يظن أن فيها قبوراً والله أعلم» انتهى كلام صاحب **الدامغة**، **والمذاهبي** المذكور في النقل السابق هو أحد العلماء الصعديين وهو الفقيه العلامة بدر الدين **محمد بن علي المذاهبي الصعدي**، كان موجودا في عشر الثلاثين وسبعمائة.

قلت: والظاهر أن أول بناء على المشهد الهادوي كان في وقت مبكر، إذ تحكي كتب التواريخ أنه كان في البداية قبة مفتحة الأركان، ثم جاء الفقيه العلامة **مطهر بن محمد بن تريك الصعدي** المتوفى سنة 748هـ فضم تلك الفتحات وجعل لها مدخلا واحدا، ذكر معنى ذلك القاضي المؤرخ **ابن أبي الرجال** في تاريخه **مطلع البدور** أثناء ترجمة الفقيه **ابن تريك** المنقولة في الأصل عن قلم السيد **صارم الدين الوزير** فقال: «من فضائله اعتنائه ببناء القبة الشريفة بالمشهد اليحيوي المقدس، على الكيفية التي هي عليها الآن على الإمام الأعظم إمام اليمن المحيي لميت الفرائض والسنن الهادي إلى الحق **يحيى بن الحسين** وعلى من عنده من أهله، وكان قبل هذا الصنع على أربعة أركان لا سداد بينها، فجزاه الله عن الأئمة خيراً» انتهى كلامه. ومن ذلك ما ذكر في كتاب **غاية الأماني** من عمارة للإمام المهدي **علي بن محمد** على المشاهد المقدسة، ومن ذلك الزيادة التي عملها السيد **عز الدين بن الإمام شرف الدين** أيام ولايته على صعدة، وكذلك المولى **أحمد بن القاسم** له أعمال في هذا المشهد الهادوي، قيل أنه بنى قبة على الإمام **الناصر** بن الإمام الهادي، وقد خربت كل هذه الأعمال كما سيأتي بيانه، ودخلت في بناء المشهد وعمارته العمارة الحالية التي هو عليها اليوم، حال تحرير هذا الكتاب، وتاريخ بنائها قد قيد في

الشريط المستدير على جدار القبة بكتابة نقبت فيه، ما لفظه:

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. اعلم أنها اختلت عمارة القبة الأصل في سنة ثمان ومائة وألف، فأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين **علي بن أحمد** بن أمير المؤمنين حفظه الله بنقضها وتوسيعها، فنقضت هي والزيادة التي عمرت بأمر مولانا السيد السامي **عز الدين بن الإمام شرف الدين**، وحصل التحير (التأخر) عند النبش خشية أن توضع على شيء من الأرماس[24]، لكثرتها حول القبة الأصلية، فتيسر بفضل الله وبركاته حسن المقصد، وخلو مواضع الأساس، مع الإمعان في النبش حسب الإمكان، ووضح كون تابوت الإمام **الهادي** عليه السلام موضوع على ضريحه بمشاهدة الآثار التي تحصل بها اليقين، وتمت عمارة القبة والقباب اللاصقة بها على أحسن الوجوه، وذلك في شهر رجب 1113هـ» انتهى بلفظه وحروفه.

وقد دونت هذه الحادثة المذكورة وهي إختلال قبة الإمام الهادي عليه السلام بقلم معاصر لتلك الأحداث وهو السيد العلامة **الحسن بن صلاح الداعي**[25] فقال في شرحيه على **الدامغة الكبرى والصغرى** في مواضع متفرقة، ما صورته: «وفي شهر ذي الحجة من سنة سبع ومائة وألف اختلت قبة الإمام الهادي إلى الحق **يحيى بن الحسين** عليه السلام، وانشقت من أعلاها واخترب الجانب اليماني، وحصل مع الناس من ذلك وحشة عظيمة، وانصدعت لذلك القلوب، وثارت من ذلك الكروب، فأتمَّ ولاة الوقف نقضها، وشرعوا في إعادتها بأمر المتوكل **علي بن أحمد بن الإمام القاسم** وحضوره وعنايته، وهو المنتصب بصعدة حينئذ، فأعادوها بحمد الله إعادة سرّت القلوب، وأذهبت تلك الكروب وقلت:

قالوا هَوَتْ قبة الهـادي، فقلـت لهـم: لا تنكروا إن هوت من بعـدها القبـبُ

ولاية الكَرَبي[26] للوقف قد هـدمت وقلـب مصـــرفه حلّـت بـه الكُـرَبُ

ويضيف السيد العلامة **الحسن بن صلاح الداعي** رحمه الله تعالى بعد كلام تجرم فيه من

(24) الأرماس جمع رمس وهو القبر.

(25) ودونها أيضا السيد محمد الملقب العزي بن علي بن أحمد بن الإمام القاسم فيما نقل عن خطه هامش مآثر الأبرار.

(26) والكربي بفتح الكاف والراء المهملة هو السيد محمد بن عبد الله الكربي من ولاة الوقف في تلك الأيام.

الولاة في عصره ما لفظه: «وكان في خرابها خير كبير، فإنه حصل من ذلك فوائد، منها زوال التشكيك في قبر **الهادي** عليه السلام، ومنها إعادتها أحسن مما كانت وأكبر وأوسع، وإدخال ولده **الناصر** في القبة من الجانب الغربي، وعليه قبة مكوبة وفيها محراب، ومنها دخول ولده المختار لدين الله **القاسم بن الناصر** في قبة جده الهادي بقبة مكوبة على قبره من جهة الشرق بعقدٍ محكم. ومنها ظهور قبر **الحسن بن القاسم** عم الهادي عليه السلام وولده **المرتضى** وخروج تابوته من تحت الأرض، فعمرت عليه قبة عظيمة داخلة في قبة الهادي عليه السلام من جهة اليمن، فصارت قبة الهادي عليه السلام محفوفة بالثلاث القبب، وكوفية قبة الهادي بين الثلاث، فهي واسطة العقد» انتهى ويقول أيضا في موضع آخر ما لفظه: «وصارت قبة كبيرة وسيعة جامعة بين ثلاث كوافي مقببة في قبة واحدة، الأولى: قبة ولده **الناصر أحمد بن الهادي**، فإنهم حينئذ هدموا قبته وأدخل تابوته في قبة **الهادي** عليه السلام من جهة الغرب، والأخرى: قبة جعلت على الإمام **المختار بن الناصر بن الهادي** من جهة الشرق، والثالثة: قبة من جهة اليمن على قبر وجد عليه تابوت عظيم قد تلف وأكلته الأرض».

وذكر أيضا السيد **الحسن بن صلاح** رواية عن المولى جمال الدين **علي بن أحمد** بن الإمام القاسم المعتني ببناء القبة أنهم عند استقصائهم لقبر الإمام الهادي عليه السلام، رفعوا ما حوله من التراب حتّى لُحِق أسفل التابوت مسموراً بالأرض بين صفائح محكمة وأحجار معمورة عليه كالمقدمة، فظهر من جوانب قبره روائح الجنان، وعمَّ المدينة وما حولها تلك الروائح الحسان، وشهد بذلك الخاص والعام، وزال تشكيك النواصب الطغام انتهى ما أردنا نقله حول بناية المشهد الهادوي.

***

ويقع إلى ناحية الغرب شمالا من مشهد الإمام الهادي:

2ـ مشهد وقبة الإمام المهدي علي بن محمد

وهو نسبة إلى الإمام المهدي لدين الله **علي بن محمد بن علي** بن منصور بن يحيى بن منصور بن المفضل بن عبد الله بالحجاج لكثرة حجه بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام الداعي يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق. وكان

لهذا الإمام عناية بالجهاد قبل دعوته وبعدها، غزا أيام سيادته حراز **الباطنية**، فوقعت فيه وفي عسكره خديعة، فوقعت فيه جراحات عظيمة قيل أنها نيف وثلاثون طعنة حتى ظنوه قد قتل، أما بعد قيامه بأمر الإمامة فالمشهور أنه وولده الناصر **صلاح الدين** أزالا من الإمارات الظالمة سبعة عشر إمارة مستقلة.

وكانت وفاته عليه السلام بمدينة ذمار شهر جمادى الآخرة سنة 774 أربع وسبعين وسبعمائة، ونقله ولده الإمام الناصر **صلاح الدين** بعد شهرين وعشرة أيام من وفاته إلى مدينة صعدة، فدفن في هذا الموضع في شهر رمضان من ذات السنة، لوصية كانت منه قال المؤرخ **ابن فند الصعدي**: «لأن أهل صعدة أحبوه محبة مفرطة، فعولوا عليه أن لا يخرج من بين أظهرهم، فقال: أنا منكم حياً وميتا، فامتثل ولده بهذه الإشارة وفعل عليها»، وبنيت بأمر ولده الإمام الناصر **صلاح الدين** عليه قبة فاخرة لا زالت ماثلة حتى اليوم. وكان المعتني بعمارتها هو القاضي العلامة **عبد الله بن حسن الدواري**، حسبما حكى ذلك في طراز القبة، وهذه القبة هي من العمائر الفاخرة الشاهدة على عصرها، فقد زخرفت بعناصر نباتية وكتابية وألوان زاهية، مضلعة الشكل من الداخل والخارج بعقود مدببة، هي في مجملها تحفة فنية، ولها باب واحد مفتوح جهة الشرق إلى ساحة صرحة المشاهد اليحيوية. وقد دفن في هذه القبة جثمان ابنته الشريفة المكنونة والدرة المصونة **فاطمة بنت الإمام المهدي علي بن محمد**، وذلك في ضريح وتابوت والدها من الجانب اليماني، وغلب اسمها على القبة فسميت «بقبة الشريفة».

وكانت الشريفة **فاطمة** المذكورة رحمهما الله تعالى من الشرائف الكاملات، فائقة على جميع نساء عصرها، جمعت بين العلم والورع والعبادة، وأقامت في زمن أخيها الناصر **صلاح الدين** في قصر المنصورة بصعدة، ناظمة للأمر يستمد منها النظر السديد إلى غير جهتها، وقد ترجم لها في مطلع البدور وغيره من كتب التواريخ، ووفاتها قبل أخيها الإمام **صلاح الدين** ثاني محرم غرة سنة 791هـ، ولها من العمر قدر خمس وثلاثين سنة، وجاء في كتابة منقوبة على التابوت ما لفظه: «كان انتقالها إلى هذا الضريح[27] في يوم الجمعة ثاني شهر جماد [....] سنة إحدى وتسعين وسبعمائة أدخلت إلى ضريح والدها رضي الله عنه بإجماع العلماء الحاضرين إذ كانت بضعة من جسده وثمرة فؤاده»، وما أحسن قول السيد

(27) تدل هذه العبارة على أنها دفنت في موضع ثم نقلت منه إلى ضريح والدها (مؤلف).

الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى في وصفها ومقامها أيام حياتها من قصيدة له طويلة في رثائها:

ومحجوبة عن كل عين وفضلها تجلى فأعيا ستره كل حاجب

وفي شهر صفر عام ثمانمائة للهجرة النبوية دفن في هذه القبة وزير الإمام المهدي **علي بن محمد** والمعتني بعمارة هذه القبة عليه: وهو القاضي العلامة **عبد الله بن حسن بن عطية** بن محمد بن المؤيد الدواري المعروف بسلطان العلماء، وذلك عن خمس وثمانين سنة من مولده، وقد تقدم له ذكر وتعريف، وقبره المجاور لتابوت الإمام المهدي **علي بن محمد** جهة القبلة، وهو منخفض عن التابوت، وقد قيل أن قبر القاضي كان مرتفعاً أكثر مما هو عليه اليوم، والله أعلم.

(الساحة الموجودة بين المشهدين)

ويوجد بين المشهدين مشهد الإمام الهادي ومشهد الإمام المهدي: ساحة تضم عدة من قبور العلماء والفضلاء، وهذه الساحة هي الواقعة إلى اليمين عند خروجك من مشهد الإمام المهدي **علي بن محمد** وإلى اليسار عند خروجك من الباب الغربي لمشهد الإمام الهادي عليه السلام، هذه القبور تتكون من خمس مجموعات:

المجموعة الأولى: وهي التي تقع على يسار الخارج من قبة الإمام الناصر، وتمتد إلى جدار المنازل غربا: فالقبر الملاصق لجدار قبة الإمام الناصر قبر لم يعرف. ويليه قبر الإمام المنصور **يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي** إلى الحق توفي محرم عام 366هـ وكان من أعلام الأئمة. ويليه غربا قبر ولده الإمام **يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر بن الإمام الهادي**، توفي صفر عام 403هـ، وإليه ينتسب اليوسفيون من بني الهادي. ويليه قبر السيد صلاح الدين **صلاح بن عبد الله بن الهادي** بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن توفي عام 1079هـ. ويليه قبر الأخوين الحمزيين الأمير **عبد الله بن الحسين بن علي** بن قاسم بن الهادي بن محمد بن أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة توفي ربيع الأول سنة 929هـ، وقبر صنوه الأمير علي بن الحسين توفي قبل عام 929هـ، وهما إخوة الأمير الكبير **محمد بن الحسين الحمزي** المعاصر لأيام الإمام **عز الدين بن الحسن**، وكانت مدينة صعدة خاضعة لحكمهم.

المجموعة الثانية: وهي التي تقع خلف مشهد الإمام المهدي **علي بن محمد** إلى جهة الجنوب بفاصل جدار المشهد، وتضم: قبر السيد العلامة الإمام جمال الدين **الهادي بن يحيى بن الحسين** بن علي بن الحسين بن الأمير علي بن الحسين بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن المنتصر محمد بن الإمام المختار بن الإمام الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق، توفي صفر عام 784هـ وهو أحد أكابر علماء عصره، يليه قبر صنوه السيد العالم **داود بن يحيى** وهو أيضا أحد العلماء الأفاضل توفي رجب عام 796هـ وقبره على يمين الطالع إلى المنازل (الأربطة). ثم يليه غرباً قبر السيد العلامة **المرتضى بن الهادي بن إبراهيم** بن علي بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن محمد العفيف الملقب بالوزير بن المفضل الكبير بن الحجاج، توفي عام 839هـ هكذا نقلته من لوح قبره، ويؤيد ذلك ما جاء في ترجمته **بتاريخ بني الوزير** ولفظه: «وكان إمام مسجد جده الهادي عليه السلام، ومفسره في شهر رمضان، ويدرس فيه ويخطب، وكان بليغاً مصقعاً، توفي رحمه الله ودفن بمسجد الهادي عليه السلام بين المشاهد». وإنما أوردت ذلك لأنه ورد في **شرح الدامغة** وغيره أن صاحب القبر هو السيد **المرتضى بن علي بن المرتضى** من آل المفضل، مع أن السيد المذكور ذكر في **تاريخ بني الوزير** أثناء ترجمته أنه توفي بمسجد دبه سنة 785هـ ودفن بالقرضين فتأمل. ثم يليه قبر قال في **شرح الدامغة**: «ذكر فيه هذا ضريح القاضي جمال الدين **محمد بن علي بن هبة** بن أبي النجم» ويليه قبر آخر قد انطمس اسمه في اللوح ثم يلي ذلك الطريق التي تخرج المنازل.

المجموعة الثالثة: وهي الواقعة في الجهة الشرقية يماني جدار قبة الإمام الناصر، وتضم هذه المجموعة: قبر الشريفة **شمس الحور بنت محمد بن يحيى** بن محمد بن علي بن محمد بن منصور بن يحيى بن منصور بن المفضل الكبير توفيت شهر ربيع الأولى عام 837هـ، وأمها هي الشريفة **فاطمة بنت الإمام المهدي علي بن محمد**، ثم يليها قبر **حور بنت القاضي عبد الله بن حسن الدواري** توفيت ربيع الثاني عام 858هـ، ثم يليها قبر الشريفة **عاتكة بنت الإمام يحيى بن حمزة** مصنف **الإنتصار**، توفيت جمادى الآخرة عام 740هـ هكذا نقل تاريخ وفاتها والله أعلم بصحة ذلك، وهي زوج الإمام المهدي **علي بن محمد**، ثم يليها قبر السيد العالم **محمد بن عز الدين بن صلاح** بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد، توفي عام 973هـ وهو الملقب بالمفتي صاحب **الحاشية على الكافية** المعروفة **بحاشية السيد**، وقبره هو الواقع بجوار الجدار الجنوبي.

المجموعة الرابعة: وهي المقابلة للمجموعة التي قبلها إلى جهة الغرب، يفصل بينهما الطريق النافذة إلى حائط الشهداء، وتضم هذه المجموعة: قبر السيد العلامة **علي بن صلاح بن الحسن** بن الإمام علي بن المؤيد توفي شهر القعدة عام 940هـ، وهو ووالده الذين عضدا دعوة الإمام **محمد بن علي الوشلي**، ويقع قبره جوار الجدار الجنوبي، ثم يليه شمالا قبر السيد العلامة النسابة **صلاح بن الجلال** توفي عام 805هـ وهو جامع مشجر الجلال ومتمم كتاب **الشفاء التتمة الصغرى**، ثم يليه قبر السيد العلامة **صلاح بن الحسن بن الإمام علي** بن المؤيد، وهو صنو الإمام **عز الدين بن الحسن** وكانت له معه مقامات مشهورة في الجهاد، توفي عام 911هـ. ثم يليه قبر الشهيد **عبد الله بن يحيى بن محمد** بن زيد من أحفاد الإمام **المختار بن الناصر بن الإمام الهادي**، وكان يلقب بعبد الله الخيل استشهد عام 802هـ حال دخول الإمام **علي بن المؤيد** مدينة صعدة.

المجموعة الخامسة: وتقع إلى الجهة الغربية من قبور المجموعة التي قبلها، وتضم: قبر القاضي العلامة **حسين بن القاضي عبد الله الدواري** توفي عام 839هـ وقبره المجاور للجدار الجنوبي، ثم يليه إلى جهة الشمال قبر القاضي **محمد بن أحمد بن عبد الله الدواري** توفي رجب عام 833هـ، ثم يليه غرباً قبر الأمير تاج الدين **أحمد بن بدر الدين محمد** بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن المنتصر محمد بن الإمام المختار بن الإمام الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق توفي رمضان عام 644هـ، وهو والد الإمام **إبراهيم بن تاج الدين**. وكان أحد أمراء عصره الفضلاء، تولى للإمام **عبد الله بن حمزة** على صعدة، ثم يليه إلى الجهة الغربية جوار جدار المنازل قبر المتثق بالله **الحسن بن المنصور يحيى بن الناصر** بن الإمام الهادي. ونظراً لتقارب هذه المجموعات من بعضها البعض فقد يصعب على الزائر تمييز كل قبر بعينه، عدا ما وضع فوقه لوح يدل عليه، وما على الزائر إلا أن يجعلها زيارة جامعة لهذه الأرواح الطاهرة.

(حائط الشهداء)

ويقع هذا الحائط في الجهة الجنوبية من هذه المشاهد اليحيوية المتقدم ذكرها، وقد بني عليه في أيامنا سور، ليضم مساحة غير الحائط المذكور بعد أن كان تعرض لكثير من الاهمال وانطماس القبور. والمعروف أن هذا الحائط يضم قبور الشهداء من الطبريين

والصنعانيين والصعديين وغيرهم، ممن ناصر الإمام الهادي وغيره من الأئمة. يقول العلامة **ابن أبي النجم**: «ولما توفي الإمام الهادي اجتمع الناس للصلاة عليه، فصلى عليه ابنه محمد فكبر خمساً، ولم يزل محمد قائماً حتى دفن رحمه الله. وقيل كان أصحابه أخذوا عليه أن من قتل معه أو مات دفن بجوار **يحيى بن الحسين**، فأمر المرتضى **محمد بن يحيى** بحفر قبره عليه السلام قبلي الشهداء من الطبريين وغيرهم من الصنعانيين والصعديين وسائر المسلمين، ومقبرتهم يماني مسجده الجامع».

قلت: وهذا من الشواهد على صحة ما ذكرناه في تحديد موضع بناية جامع الإمام الهادي الأول، فهو في هذه الرواية يقع شمال (مقبرة الشهداء) المعروفة بحائط الشهداء أيضا، وهي أي المقبرة تقع في يماني المسجد، ولا بد أن قبر صنو الإمام الهادي السيد العالم المجتهد **عبد الله بن الحسين** الآتي تحديده من ضمن هذا الحائط أو المقبرة التي جمعت أصحاب الإمام الهادي، وقبره سيكون في أقصى الشمال من الحائط، فصح بذلك أن الجامع الأول كان من الصومعة الصغرى جهة الشرق والقبلة، وهذه الصومعة قيل أنها قديمة، وإنما جدد بناءها في أيامه القاضي **عبد الله بن الحسن الدواري** والله أعلم. وبخصوص معالم قبور الشهداء الذي عرف الحائط باسمهم فلم يعد لهم أثرا واضحا، ولا مخبرا أيضا، بل قد اندرست ولم يعد إلا ذكرها في كتب التواريخ، وصارت كما قال الشاعر:

رب قبر قد صار قبرا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد

ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآباد

إذ لفرط الجهالة كان البعض يقبر فيها دون تمييز ولا حرمة، ولا قداسة للشهداء الأبرار العظماء، وقد روى الفقيه **أحمد بن المفضل**[28] عن ابن المنعم (وهو الفقيه العلامة المسند **محمد بن أسعد بن المنعم** بن أبي طويلة الصعدي) عن الفقيه **حميد الشهيد المحلي** عن الإمام **عبد الله بن حمزة** «أن في حائط الشهداء بمدينة صعدة ثلاثمائة شهيد، منهم سبعون سيدا كل واحد منهم في درجة الإمامة». وقال علامة الشيعة في وقته **أحمد بن موسى الطبري** المتوفى نحو سنة 350هـ في كتابه المنير يذكر الطبريين ومهاجرتهم إلى إمام

(28) لعل الراوي عن الفقيه أحمد بن المفضل هو العلامة محمد بن علي المذاهبي والله أعلم (مؤلف).

اليمن الميمون الهادي إلى الحق المبين **يحيى بن الحسين** عليه السلام ما لفظه: «وهاجر إليه خلق كثير من جميع البلدان أصحاب دين وفقه وعلم، وأكثر من جاءه من ناحية طبرستان فناصروه وقاموا معه وجاهدوا بين يديه وولاهم أحكام الناس وصلاتهم، وقبض زكاة أموالهم وكانوا بطانته وخاصته، لما اختبره من نصيحتهم وثقة خلصائهم وقيامهم معه على كل من عاداه من قريب أو بعيد، أو شريف أو دني» انتهى كلامه.

ويوجد في هذا الحائط قبة مفتوحة السقف ملصقة بجدار مشهد الإمام الهادي إلى الحق الجنوبي، تضم مجموعة من القبور وهم: قبر السيد الجليل حاكم المسلمين **محمد بن أحمد حبلة الهدوي** المتوفى رحمه الله ليلة الاثنين سادس شهر صفر سنة 1158هـ، وقبر السيد ضياء الدين **إسحاق بن علي بن أحمد** بن الإمام القاسم بن محمد، وهو جد السادة آل إسحاق برحبان توفي شوال عام 1160هـ، وقبر السيد **يحيى بن علي بن صلاح** بن أحمد بن محمد بن الهادي بن محمد أبو قابوس توفي صفر عام 1297هـ، وقبر السيد **يحيى بن علي بن هاشم الفيشي** توفي جماد عام 1141هـ.

وإلى جهة الشرق من مشهد الإمام الهادي عليه السلام:

3ـ قبة الشاب علي بن صلاح

وبابها متجه ناحية الغرب، والقبة نسبة إلى الولد الشاب **علي بن الإمام صلاح بن علي** بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن عبد الله بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق، وهو المعروف بولد الشريفة، يعنون بذلك والدته الشريفة **فاطمة بنت الحسن بن الإمام الناصر صلاح الدين** بن الإمام المهدي علي بن محمد، توفي ولدها هذا ثامن يوم زواجه بشريفة من آل العصافري، وذلك ثاني عشر ربيع الأول سنة 857هـ عن 17 سنة من مولده، وكان فيه جمال بارع وكبر في ذاته زائد على ما يعتاد من هو في سنه، فحزنت عليه والدته حزناً شديدا، وحزن معها رعيتها أهل صعدة، ودفن غربي جامع الإمام الهادي أولاً، وبقي أياماً ثم نقل إلى هذا الموضع، وعمرت والدته عليه قبة في ذات السنة وهي القائمة عمارتها حتى اليوم، وعلى قبره تابوت فاخر حسن، وهو المقابل للداخل من باب المشهد.

ومجاوراً لتابوت الشاب **علي بن بن صلاح** إلى جهة الجنوب: قبر السيد **القاسم بن محمد بن علي** بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد توفي شعبان عام 1110هـ، ويليه غربا بفاصل الطريق قبر السيد الرئيس الكامل شرف الدين **الحسين بن علي بن أحمد** بن الإمام القاسم بن محمد، توفي عام 1125هـ وعليه تابوت حسن، ويليه قبر السيد **علي بن عباس بن إسماعيل** بن علي بن قاسم بن علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد توفي رمضان عام 1240هـ.

4ـ قبة ومشهد السيد الإمام عبد الله بن الحسين

ويلي ذلك جهة الجنوب في نفس القبة السابقة: تجد مرقد السيد العالم الإمام الكبير **عبد الله بن الحسين** صنو وشقيق الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام، وهو جد السادة الحمزات أينما وجدوا، وعليه قبة منفردة عن قبة **علي بن صلاح** بعقد مفتوح عليها، عمرها عليه أحد أحفاده وهو الأمير الكامل الرئيس **ياسين بن الحسن بن الناصر** بن أحمد بن محمد بن الحسين بن علي بن القاسم بن الهادي بن عز الدين محمد بن شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن الأمير حمزة بن الإمام النفس الزكية الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين المذكور المتوفى بصعدة عام 1052هـ.

قلت: ولطالما قال علماؤنا في ترجمة السيد **عبد الله بن الحسين** صاحب هذا المشهد أنه أحد فضائل أخيه الإمام الهادي عليه السلام، وقالوا: حسبه مطاوعة عبدالله له على جلالة قدره، فإنه أعلم أهل زمانه وأفضلهم، وله كتاب الناسخ والمنسوخ، وقد وضع مؤخرا على قبره لوح من حجر البلق، دوّن فيه تاريخ وفاته سنة 344 أربع وأربعين وثلاثمائة، وهذا بعيد ومستبعد أيضا، ولم يروه أحد من علمائنا رضوان الله عليهم، فليعلم ذلك. ووقفت على شاهد ضريح ملاصق لضريح السيد **عبد الله بن الحسين** صنو الإمام الهادي إلى الحق يؤذن أن السيد علم الدين متولي صعدة في أيامه **القاسم بن علي بن أحمد** أبو طالب بن الإمام القاسم بن محمد مدفون إلى جانبه في نفس التابوت، والله أعلم، وهو جد السادة آل الدولة، وأرخ وفاته في ذلك الشاهد شهر ربيع الأول سنة 1147 سبع وأربعين ومائة وألف.

فائدة عن صاحب الزعفرانة:

فالمتداول على الألسن وذكره أيضا القاضي ابن أبي الرجال أن المعروف بصاحب الزعفرانة هو السيد **عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم الرسي**، غير أن مؤلف **شرح الدامغة** السيد **الحسن بن صلاح الداعي** صرح بأن المقصود بذلك قبر **الحسن بن المختار بن الناصر بن الهادي**(29)؛ ومفاد التسمية «ما روي عن الفقيه **حُمَيد الشهيد المحلي**: أن الإمام **المنصور بالله** كان إذا زار قبر الهادي عليه السلام ومن معه، قَصُر عن المضي إلى القبر الطارف الذي إلى جهة المحراب الشرقي، فرأى صاحبه في النوم يقول له: لم لا تزورني يا عبد الله، وليس في هذه التربة أفضل مني ولا نبت في قبره الزعفران غيري».

5ـ قبة المولى أحمد بن الإمام القاسم

وهي الواقعة إلى جهة الشرق من قبة **علي بن صلاح** ومشهد الإمام الهادي، والصومعة الصغرى ملصقة في جدارها الغربي، وهي قبة عالية فاخرة هي أحسن ما تكون من حيث الوسع والعمارة والزخرفة، ولها أوقاف خاصة بها، وقد تطرق لذكرها القاضي محمد بن أحمد مشحم في مقامته عن المساجد الصعدية.

والقبة هي نسبة إلى المولى المقام صفي الدين **أحمد بن الإمام القاسم بن محمد** بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق. وكانت ولاية صعدة أسندت إليه أواخر أيام والده الإمام **القاسم** نحو خمس سنين، وكذلك في معظم أيام صنوه موحد اليمن الإمام **المتوكل على الله إسماعيل** تولاها من سنة 1055هـ، إلا أن توفي بها شهر صفر سنة 1066هـ، ودفن في هذا الموضع. قال في **شرح الدامغة** ما موجزه: «وكان **أحمد** هذا من الرئاسة بمحل عظيم، أمنت بحسن فتكه الطرقات، وخفيت بحسن سيرته ما تستقبح من الأمور، وعمر الجامع العظيم

(29) قبر الحسن بن المختار هو أقصى الشرق لمشهد الإمام الهادي جنب النافذة المطلة على قبة علي بن صلاح والسيد عبد الله بن الحسين رحمهم الله جميعا.

بمعمور الروضة من أعمال صنعاء، فلو لم يكن له من الفضائل سوى ذلك لكفاه فضلا ورفعة». وكان صنوه الإمام **المتوكل على الله إسماعيل** هو الآمر بعمارة القبة على قبره وعلى قبور آخرين كانوا دفنوا قبله في هذا المكان، سيأتي التعريف بهم. قال السيد **الحسن بن صلاح** في **شرح الدامغة الكبرى**: «وكان القائم بعمارتها حي سيدنا الفقيه الفاضل العلامة **محمد بن قاسم العبدي** رحمه الله تعالى بالوصاية إليه وأمر الإمام **المتوكل على الله تعالى إسماعيل**، وسمعت أنه سبَّلَ قرارها مسجداً، وقد كان حصل خلاف بين العلماء وقت دفنه، فمنهم من منع وتبرم، وتبرأ من ذلك وما أبهم، ومنهم من رأى ذلك وحضره وشيع بجوازه ونظّره، ومن بعد ذلك ظهرت المصلحة بما حصل فيها من الحياة والإحياء وقراءة القرآن وحلقات العلم». قلت: وكان الفراغ من تجصيصها يوم الجمعة ثالث شهر القعدة سنة سبع وستين وألف، حكاه في طراز القبة، وفي شريط كتابي توجد أبيات في وصفه، وهي طويلة جاء منها:

هذا ضريح من حوى المفاخرا وطاب نفسا وزكى عناصرا
وكان بدرا للكمال سافرا وعلما للعالمين ظاهرا
هذا ضريح أحمد بن القاسم خدن المعالي صاحب المكارم
ربيب كل عابد وعالم وسبط أسباط النبي الخاتم

وموضع قبر المولى **أحمد بن القاسم** على يمين الداخل إلى القبة من بابها الغربي، وعليه تابوت فاخر، وإلى جواره إلى جهة الجنوب:

قبر أحد أحفاده وهو السيد **عبد الله بن حسين بن علي** بن القاسم بن علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد، توفي رمضان عام 1254هـ، ويليه قبر القاضي العلامة الخلاصة **أحمد بن صلاح بن الحسن** بن محمد بن علي بن مهدي بن علي بن حسن بن عطية بن محمد بن المؤيد الدواري، توفي شوال عام 1018هـ وكان هذا القاضي نصير الأئمة من أهل البيت، ويليه قبر السيد العلامة **عبد الله بن محمد بن يحيى** بن صلاح العياني، توفي ربيع الثاني عام 999هـ قال المؤرخ **ابن أبي الرجال** أثناء ترجمته: «وتولى الخطابة والإمامة بجامع صعدة المشرفة، ودفن عند الصومعة الصغيرة». ويليه قبر السيد العلامة الحافظ شمس الدين **أحمد بن عبد الله بن أحمد** بن إبراهيم بن محمد بن

عبد الله بن الهادي بن إبراهيم الوزير، وكان وقف مدة للتدريس بصعدة بعد رجوعه من الحج، فتوفي بها ربيع الأول عام 985هـ قال المؤرخ **ابن أبي الرجال** أثناء ترجمته في المطلع ما موجزه: «وكان يتمنى في أكثر أوقاته أن يقبر في مشهد جده الهادي فاستجاب الله دعاءه، واعتنى تلميذه السيد الإمام **عبد الله بن علي** (المؤيدي) بخراب منزلتين كانتا هناك، وجعل قبره موضعهما، وعمر السيد الرئيس **أحمد بن الحسين المؤيدي** وهو يومئذ رئيس صعدة عليه مشهدا».

ويوجد قبران متقدمان من سبق ذكرهم إلى جهة الشرق وهما:

قبر السيد **علي بن عباس بن إسماعيل** بن علي بن قاسم بن علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد توفي جماد أول عام 1282هـ، وقبر صنوه السيد **إسحاق بن عباس** توفي جمادى الآخرة عام 1299هـ. كما يوجد قبر تحت الشباك الجنوبي المطل على حائط الشهداء، وعليه حاجز من الخشب، ذكر في **شرح الدامغة** أنه أحد شهداء الطبريين.

6ـ قبة الإمام محمد بن علي الغرياني

وهي الواقعة إلى الجهة الشرقية من قبة ومشهد المولى **أحمد بن القاسم**، وهي آخر القباب وضعًا، تم بناؤها بعناية النقيب **ناصر بن هادي جزيلان** من أهل برط بتاريخ شهر صفر عام 1127هـ وأوقف عليها أوقافا في قراءة قرآن إلى روح المنسوب إليه هذا المشهد والقبة والمدفون فيها وهو:

السيد الإمام بدر الدين **محمد بن علي** بن الحسين بن يحيى بن عبد الله الغرباني بن عطيفة بن علي بن أحمد بن سليمان بن علي بن مكني بن القاسم بن علي بن مكني بن حمزة بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني، وهو من الأئمة الدعاة. قال المولى **مجد الدين المؤيدي** في **التحف شرح الزلف**: وكان لهذا الإمام من رسوخ القدم في مجال العلوم وتمكن الوطأة من ذروة المنثور والمنظوم ما يقصر عنه أرباب المنطوق والمفهوم انتهى ووفاته منتصف شهر رمضان سنة 1126 ست وعشرين ومائة والف، وإلى جنبه قبر آخر وهو السيد **عبد الله بن حسين بن محمد** بن حسين بن علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد، توفي ثالث شهر الحجة عام 1296هـ.

وللقبة المذكورة بابان، (باب غربي) يخرج منه الزائر إلى حجرة صغيرة تتوسط قبة المولى

أحمد بن القاسم وهذه القبة، في جنوب تلك الحجرة قبران هما: قبر السيد **علي بن عبد الله** بن الإمام **القاسم بن محمد**، وهو جد السادة آل الوريث بذمار، توفي عام 1088هـ قال في **بغية المريد**: «كان سيدا جليلا، رحل مع الإمام المهدي **أحمد بن الحسن** أيام دخوله إلى صعدة، فتوفي هنالك» وبجواره قبر لم يعرف لعدم وجود ما يدل عليه، و(الباب الثاني) للقبة ناحية القبلة يخرج منه الزائر إلى صرحة المشاهد، وعلى يمينه عند الخروج بنحو مترين مدخل الجامع المقدس من جهة الشرق، وهي بوابة بعقد مرتفع، مفتوحة شرقا إلى باب اليمن الباب اليماني لمدينة صعدة، ويسمى قديما في كتب التواريخ باب سويدان، يبعد عن بوابة الجامع بنحو 100 متر تقريبا، والساحة التي بينه وبين الجامع كلها من أوقاف الجامع المقدس، إلى أوقاف غيرها كثيرة في بلاد سحار وهمدان وجماعة وخولان. أما النذورات لجامع الهادي وقبته وغيرها من المصالح المتعلقة بالجامع المقدس فكما قال الحافظ القاضي **محمد بن أحمد مشحم** رحمه الله في مقامته عن المساجد الصعدية على لسان الجامع:

ولي نـــذور كثـــير لـــيس يحصـــرها ... ولا يحـيط بهـا في النـاس ذو اللســن

شـــهيرة مثـــل نـــار في ذرى علـــم ... شرقـــاً وغربـــاً وفي شـــام وفي يمـــن

وبهذا نفرغ من ترجمة الجامع المقدس بصعدة، والله حسبي وكفى.

صورة للجامع المقدس من الجهة الشرقية ويظهر فيها المدخل الشرقي للجامع

مسجد جعفر

من المساجد العامرة خارج باب المنصورة غربي صعدة، ويسمى بمسجد الإمام **علي بن أبي طالب**، والغالب في التسمية ما ذكرناه.

وعامره هو القاضي العلامة الشيخ **يحيى بن محمد بن جبران** جعفر المعاذي وذلك في سنة 1406هـ، ولما توفي القاضي المذكور شهر جماد أول سنة 1412هـ دفن في صرحة المسجد المذكور جهة الجنوب، فهو هناك معروف مزور، وأصل مسكنه في بني معاذ، وهذا القاضي أول من سكن منهم مدينة صعدة.

مسجد حسن

من المساجد المندرسة بل المنسية. وإنما ورد ذكره في بصيرة شرعية للوقف وقفت عليها وهي مؤرخة بتاريخ شهر رجب الأصب سنة 826 ست وعشرين وثمانمائة، وعليها علامة القاضي العلامة **محمد بن أحمد بن عبد الله بن حسن الدواري** ولفظها: «اعترف الفقيه الفاضل جمال الدين **محمد بن يحيى بن علي بن مقبل الوشلي** اعترافاً صحيحاً شرعياً، وأشهد على نفسه في حال يصح منه ذلك شرعاً، طائعا مختارا لا علة به من مرض ولا غيره، أن الموضعين الحرث المسمى أحدهما جزع الحجار على بير سرمان، والثاني المسمى العَشَة، وبعضه على هذه البير، وهما متصلان بناحية العِشاش بوطن الثور الأعلى[30] ومخلاف صعدة، بجميع ما اشتملا عليه، وبجميع حقوقهما مال وملك وحق مستحق، لمسجد الله تعالى المعروف بمسجد حسن بمدينة صعدة، وأنه اشترى ذلك للمسجد المذكور بما معه عليه من الولاية الصحيحة» الخ.

قلت: وفي مسودة الأوقاف الحالية في أيامنا، يذكر أن مكان العَشَة المذكور من ضمن أوقاف مسجد مشبعة الآتي بحرف الميم، فلعل مسجد حسن تسمية للمسجد المذكور قديمة، والله أعلم.

---

(30) الثور الأعلى: اسم لما يسمى بلاد الأزقول (مؤلف).

مسجد جُوْحَل

من المساجد المندرسة شمالي رحبان، ولا زالت معالمه إلى الآن ظاهرة.

يحده قبلياً بير الكمينة[31]، وشرقياً الوادي الأعظم وادي رحبان، ويمناً كذلك، وغربيًا مقبرة حقيرة والطريق النافذة إلى قرى رحبان.

وهو قديم العمارة، وله وقف حكاه في المسودة، وهو منسوب إلى الضيعة التي عُمِر فيها، إذ هي مشهورة بهذا الاسم منذ القرن الثامن الهجري، حكاه في **مآثر الأبرار**، وكانت إحدى متنزهات صعدة في الماضي. وقد ورد ذكر هذه الضيعة (بير جوحل) في شعر أحد الفقهاء آل النعمان الضمديين الذي نظمه على لسان القاضي العلامة شمس الدين **أحمد بن عبد الله بن الحسن الدواري** وهو متوجه للحج عام 809هـ وقيل 807 وكان السيد العلامة الكبير **الهادي بن إبراهيم الوزير** وهو صهر القاضي ورفيقه في سفر الحج هذا ـ قد كتب قصيدة يذكر فيها صنعاء وساحاتها، فأجاب الفقيه **ابن النعمان الضمدي** على لسان القاضي **أحمد** بقوله يتشوق إلى صعدة وطيبها وطيب مائها:

إذا هبّ من نجد نسيم الصبا نِدّا ... وصافح منه ذيله الآس والوردا
بكيتُ كما يبكي الحمام صبابةً ... وذبت بها شوقاً وذاب الحشا وَقْدا
وما زلت تشجيني بكاهنّ كلما ... بكَيْن على الأغصان ذكرنني نجدا
إذا ما ذكرنا (بير جوحل) قطّعت ... بها النفس أو كادت تذوب لها وجدا
وإن لاح برق بالصعيد فمقلتي ... على الخد مني خدّ مدمعها خدا
يشوقني من بير عائد ماؤها ... فاشتاق منها ماءها البارد العدا
منازل ما أشهى هواها وماءها ... وأطيبها عيشاً وأعذبها وردا
أحنّ إليها وهي مني قريبة ... فكيف إذا ما ازددت من أرضها بعدا
فلولا وجوب الحج ما اعتضت باللوى ... لواءً، ولا بالود من أهله ودا
ولا وخدت أيدي المطايا عشية ... بنا وهي أدنى ما تسير بنا وخدا

(31) بير الكمينة: قرب مقبرة حقيرة برحبان، وهي اليوم موضع بيوت آل شويط،، والمسجد جنوبيها.

ولكننـــا نرجـــوا مـــن الله عفـــوه ونطلبـــه فضـــلاً ونطلبـــه رشـــدا
ونطلـب مـن ألطافـه الـبر والتقـوى ولا يهتدي من ليس مِـنْ ربـه يُهْـدى

ومنها:

ولمـــا نزلنـــا الغـــور غـــور تهامـــة ذكرنا الصعيد الطيب الأخضـر الأندا
ورقـــراق أمـــواهٍ عِـــذابٍ بصـــعدة كأنّ فتيت المسك من فوقهـا مسـدى
فـرفّ إليها الشوق مـن كـل جانـب وجـدَّ بنـا لمـا المسـير بنـا جـدا
أمعلمنـا عـن صـعدة كيـف صـعدة أفدنا بما عـاينت مـن وصـفها الأنـدا
وهل ماؤها السلسـال شَـهْد كعهـدنا أم الدهر ضر البارد السلسـل الشـهدا
وهـل ظلهـا طلـقٌ وطـل غصـونها إذا حركتـه الـريح تحسـبه عقـدا
بـلاد تحـاكي جنـة الخلـد حسـنها وتحسبها مـن حسـن بهجتهـا الخلـدا

ولم يعد القاضي **أحمد الدواري** من حجه بل توفي محرماً ملبيا ليلة الخميس الرابع من ذي الحجة من العام المذكور، ودفن بالمعلاة، ذكر ما نقلناه في مطلع البدور. وللمسجد المذكور وقف، ورغم اندارسه لا زالت أعيان هذا الوقف باقية معروفة، تحكيها مسودة الوقف، فلو بيع من باب المصلحة الراجحة مراهق ذلك الوقف أو بعضه في سبيل بقائه وإحيائه، فإنه من المساجد القديمة.

ومن أشهر المفيدين للعلوم فيه: الفقيه العلامة أديب زمانه وزاهد قطره وأوانه بدر الدين **محمد بن علي بن عمر الضمدي**(32) المتوفى سنة 989هـ، وهو من علماء ضمد والمخلاف السليماني وجد الفقهاء آل النعمان، ووقف مدة طائلة للتدريس بمدينة صعدة، وأخذ عنه جماعة من أعلامها، وهو تلميذ العلامة ابن بهران، وله قصائد رائقة، ومدائح جزلة في الإمام شرف الدين، قد جمعتها في كراس مفرد، وحسبما اطلعت فكان المسجد معمورا في سنة 1148هـ، والمرجو من الله أن يقيض لهذا المسجد من يقيم بنيانه، ويعيد على وجه الأرض مكانه.

(32) راجع ترجمته في طبقات الزيدية 2/ 1039، وفي العقيق اليماني للضمدي (خ).

مسجد حائط المظفر

من المساجد المندرسة في حارة النجار. وهو فيما يظهر قديم العمارة، وقد ذكره القاضي العلامة الكبير بدر الدين **محمد بن أحمد بن يحيى** بن جار الله مشحم في القرن الثاني عشر في مقامته عن المساجد الصعدية، والتي ننقلها إن شاء الله في ترجمة مسجد المذاهبي قريبا.

مسجد الحاكم

من المساجد العامرة بجوار باب ستران بوابة حارة الدرب الشرقية.

والظاهر أن المسجد كان قد اندرس مدة من الزمان، إذ لم يرد ذكره في مقامة القاضي العلامة **محمد بن أحمد مشحم** الآتي نقلها. وقد اطلعت في أرشيف الوقف على ورقة ممهورة بعلامة وتوقيع عدة من علماء صعدة. وهم السيد العلامة **حسن بن قاسم الحوثي**، والفقيه العلامة **محمد بن أحسن المتميز**، والفقيه العلامة **يحيى بن حسين سهيل**، والقاضي العلامة **صلاح بن أحمد فليته** جاء فيها ما يلي:

«بموجب أمر وكيل محافظة لواء صعدة وعامل أوقاف اللواء عطفاً على الأمر الواصل من الوزارة بلزوم البحث عن مسجد الحاكم الذي بصعدة، بأن يكون منا نحن العلماء البحث عن المسجد المذكور، هل ذلك صحيح أنه مسجد أم لا؟ فقد كان منا الوصول إلى المحل، ونظرناه، وهو محوط عليه بعمارة قديمة دامرة، ويفيد المجاورون أنهم يحترمونه بعد أسلافهم لشهرته أنه مسجد، وكان من المحتسبين إيراد شهايد عادلة، وكثيرون شهدوا لله أنه مسجد مشهور يسمى مسجد الحاكم، وبعضهم شهد لله أنه يعرفه وهو بمحراب ودعائم، وأنه كان يقدر في الاتساع بما يسع ستين نفرا، وكثير يشهد بالشهرة، والشهرة كافية إلى الآن. فاستنادا إلى الشهود العادلة تقرر لدينا أنه مسجد يجب احترامه، ويمنع كل متهتك من أي إحداث فيه بما ينافي ما وضع له، وهذا ما تقرر لدينا، وما تبرأ به ذمتنا عند الله تعالى، والله ولي التوفيق. حرر 12 شهر رجب سنة 1397» انتهى بلفظه وحروفه.

***

(فائدة في ذكر من تسمى بحاكم المسلمين بصعدة)

وهذا موجز لطيف ومبحث نفيس في تقييد من تسمى أو لقب بحاكم المسلمين من علماء مدينة صعدة الأعلام في العصور الماضية، وذلك حسبما أطلعت عليه في كتب التراجم والتواريخ ووثائق الوقف.

فأول من اطلعت على تسميته وتلقيبه بحاكم المسلمين بصعدة هو القاضي الأجل العالم الورع ركن الدين **محمد بن عبد الله بن حمزة** بن إبراهيم بن أبي النجم الصعدي الحميري، كان حاكم صعدة أيام الإمام المنصور بالله **عبد الله بن حمزة** عليه السلام، وكان يعرف بثقة أمير المؤمنين، ووفاته بصعدة شعبان عام 613هـ، ثم ولده القاضي العالم الفاضل افتخار الزيدية تقي الدين أبي محمد **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي النجم**، مصنف كتاب **درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية**، ولي القضاء بعد وفاة أبيه، وكتب الإمام المنصور بالله له عهدا، ثم استمر إلى زمان الإمام **أحمد بن الحسين** وكتب له عهدا بليغا، وتوفي في صدر من أيام دعوته منتصف شهر ربيع المعظم سنة 647هـ. ثم ولده القاضي العلامة ركن الدين **محمد بن تقي الدين** المتقدم قبله، تولى القضاء بصعدة في أيام الإمام **أحمد بن الحسين** ولاه الإمام عليه السلام بعد وفاة أبيه في تاريخ رجب سنة 647هـ، والظاهر أنه استمر على ولايته تلك إلى حين وفاته. ثم ولد أخيه القاضي **إبراهيم بن يحيى بن عبد الله** بن حمزة بن أبي النجم، قال القاضي **ابن أبي الرجال** أثناء ترجمته: وهو قاضي صعدة وحاكمها ومفتيها وعالمها، وكان في رأس سبعمائة من الهجرة.

وتسمى بحاكم المسلمين أيضا في القرن الثامن .. القاضي العلامة بدر الدين **محمد بن عبد الله بن حمزة** بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن إبراهيم بن أبي النجم، وهو مصنف كتاب (**الذريعة إلى زبد الشريعة**) في فروع الفقه، وكان موجودا سنة 749هـ، والقاضي العلامة جمال الدين **علي بن موسى بن علي** بن سليمان الدواري، وكان موجودا بعد سنة 730هـ، تولى القضاء للإمام **يحيى بن حمزة** عليه السلام، ثم الشيخ العلامة المحدث جمال الإسلام والمسلمين **علي بن إبراهيم بن عطية النجراني** المتوفى نحو سنة 780هـ، وكان في رتبة القضاء سنة 752هـ وهؤلاء الثلاثة في عصر واحد

وخاتمتهم القاضي سلطان العلماء في وقته العلامة فخر الدنيا والدين **عبد الله بن الحسن بن عطية** بن محمد بن المؤيد الدواري الصعدي، وكان ينعت في أيامه بقاضي قضاة المسلمين، وهو صاحب المصنفات الفائقة التي منها (**الديباج النظير شرح لمع الأمير**) وغيرها، وقد تقدم له ذكر مستوفى، ووفاته شهر صفر إحدى شهور عام ثمانمائة هجرية عن خمس وثمانين من مولده.

وتسمى بحاكم المسلمين أيضا في القرن التاسع.. القاضي العلامة **أحمد بن حابس الدواري**، وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 802هـ، والقاضي العلامة صفي الدين **أحمد بن عبد الله بن الحسن الدواري** المتوفى سنة 809هـ صاحب **التلفيق بين اللمع والتعليق**، وصنوه القاضي عماد الدين **يحيى بن عبد الله بن الحسن الدواري** وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 822هـ، والقاضي العلامة **محمد بن عبد الله بن أبي النجم**، وكان في رتبة القضاء سنة 829هـ، والقاضي العلامة **يحيى بن موسى بن علي الدواري** وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 835هـ، والقاضي العلامة **محمد بن أحمد بن عبد الله الدواري** وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 826هـ، والقاضي العلامة **علي بن محمد بن علي الدواري** وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 848هـ، وفي وثيقة أخرى سنة 868هـ، والظاهر أن هذا الأخير هو القاضي العلامة حاكم المسلمين **علي بن محمد الهاجري الدواري** (شارح **الأزهار**) المترجم له في المطلع والطبقات، وأرخ وفاته السيد **إبراهيم بن القاسم** في **الطبقات** سنة 874هـ، ومنهم في أواخر هذه المئة القاضي العلامة محمد بن يحيى بن محمد مرغم، وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 887 سبع وثمانين وثمانمائة.

وتسمى بعد ذلك بحاكم المسلمين في القرن العاشر.. القاضي العلامة فخر الدين **عبد الله بن علي بن يحيى الذويد**، المتوفى سنة 934هـ، وكان في رتبة القضاء سنة 899هـ ثم عزل أيام دخول الإمام **الوشلي** صعدة بالقاضي العلامة **محمد بن أحمد بن علي حابس الدواري** وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 923هـ، والسيد العلامة حاكم المسلمين **محمد بن صلاح بن محمد الحسني** وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 939هـ، وهؤلاء الثلاثة في عصر واحد، ويلحق بهم القاضي العلامة **علي بن أحمد بن علي حابس** وكان في رتبة القضاء سنة 949هـ، والقاضي العلامة القدوة **أحمد بن محمد**

بن أحمد بن حابس الدواري وكان في رتبة القضاء سنة 961هـ، وهو جد مصنف **المقصد الحسن** حسبما سيأتي قريبا رفع نسبه إليه، والسيد العلامة **أحمد بن يحيى بن أبي القاسم الرغافي** وكان موجودا في رتبة القضاء سنة 987هـ. وأما في أيام تغلب الأتراك على صعدة (الذي استمر من تاريخ سنة 991هـ إلى سنة 1026هـ) فجاء في وثائق الوقف ذكر كلا من: حضرة شيخ الإسلام أقضى قضاة الأنام الأفندي **طاهر بن إلياس** المتولى بقضاء مدينة صعدة بتاريخ شهر محرم سنة 1016هـ، وحضرة شيخ الإسلام أقضى قضاة الأنام الأفندي **يحيى بن حسن** المولى بقضاء مدينة صعدة بتاريخ شهر صفر سنة 1025 خمس وعشرين بعد الألف، وترافق في تلك الفترة بروز القاضي العلامة الكبير **عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران** حاكما للمسلمين بصعدة وقاضيا مشهورا بها، تصدرت توقيعاته وإمضاءاته في كثير من بصائر الوقف ووثائقه في تلك الفترة، فلا أدري توليه القضاء كان على جهة الصلاحية أو غير ذلك، ووفاته بصعدة يوم الأربعاء ثامن شهر رجب سنة 1016 ست عشرة وألف، وهو الذي أجرى القوانين في آبار صعده على نظم محكم، وذلك أنه عرف جميع الضياع تحقيقاً وذرع الماء على الطين، هكذا ذكره القاضي **ابن أبي الرجال**، وقد اطلعت على بيان هذا العمل الذي أجراه، ويسمى (جريد ابن بهران) وفيه ذرعة مساحة الآبار التي بدأها من مزارع جرفه بأسفل العبدين جنوبا إلى منتهى مزارع البقلات ونسرين شمالا، بحيث أن كل بير يصل إليها من سيول الأمطار عبر مساقي ثبتت بأوثان محكمة في باطن الأرض ما تستحقه بحسب مقدار مساحتها من الحَبَل. وكذلك الحال في مزارع وضياع قاع الصحن غربي صعدة، ومساقيها من وادي علاف وفروة وحريس، فله جريد خاص بها والله الموفق.

***

وأما في ظل ولاية الإمام المنصور بالله **القاسم بن محمد** وأولاده على مدينة صعدة فتسمى بحاكم المسلمين فيها جملة من العلماء وهم:

القاضي العلامة **يحيى بن أحمد بن محمد** بن أحمد بن علي بن أحمد بن مقبل حابس الدواري، تولى القضاء بها من سنة 1026 إلى تاريخ وفاته، وكان قد امتنع من الولاية أيام تغلب الأتراك على صعدة واعتزل أعمالهم، قال في **اللآلي المضيئة**: «وفي ضحوة يوم

الأربعاء سادس شهر شوال من سنة أربعين وألف كانت وفاة القاضي الفاضل العالم الكبير **يحيى بن أحمد حابس** من آل الدواري كان متوليا للقضاء فيها من جهة الإمام المؤيد بالله ومن جهة والده الإمام المنصور بالله من قبله، وكان بقية العلماء الفضلاء أهل الورع الشحيح رحمه الله رحمة الأبرار» انتهى بلفظه. ثم ولي القضاء بعده ولده القاضي العلامة الشهير شمس الشريعة **أحمد بن يحيى حابس** قال السيد العلامة **عبد الله بن علي الوزير** في كتابه **طبق الحلوى** وفيات سنة 1061: «وفي ربيعها الأول مات القاضي العلامة حاكم صعدة ومفتيها وإمام جامعها وخطيبه **أحمد بن يحيى حابس الدواري**، وكان وعاءً من أوعية العلم، وجادت يده في فقه الزيدية، وله (**تكميل شرح الأزهار**) في مجلدين، و(**المقصد الحسن**) في مسائل مهمة في الفقه، و**شرح الكافل** و**شرح الثلاثين المسألة**» انتهى. ثم صنوه القاضي العلامة شرف الدين **الحسن بن يحيى حابس** المتوفى رمضان سنة 1079هـ تولى القضاء بعد وفاة أخيه مدة، ثم ارتحل من صعدة وسكن صنعاء واستوطن تلك الديار، وتولى بعده ولد أخيه القاضي العلامة ضياء الدين **عبد الهادي بن يحيى بن أحمد حابس** المتوفى سنة 1094هـ.

وتسمى بحاكم المسلمين في تلك المدة أيام **المتوكل على الله إسماعيل** وبعده: القاضي العلامة فخر الدين **عبد الله بن يحيى الفهد** المتوفى سنة 1087هـ، والقاضي العلامة جمال الدين **علي بن قاسم طشي الغرازي** المتوفى سنة 1069هـ، والقاضي العالم الكبير عماد الدين **يحيى بن أحمد بن عواض الأسدي**، وتأخرت وفاته إلى سنة 1106هـ وكان رئيس العلماء في وقته بصعدة، وله إصلاحات في المدينة وسورها، وبعد وفاته ووفاة المولى جمال الدين **علي بن أحمد بن الإمام القاسم** متولى صعدة وبلادها من أيام **المتوكل على الله إسماعيل** سنة 1066هـ إلى حين تاريخ وفاته سنة 1121هـ انفرط عقد القضاء المحكم في المدينة الصعدية، واندرست محاسن الأيام الماضية، على أنه قد ذكر في وثائق الوقف جماعة من العلماء ممن سمي بحاكم المسلمين لكنهم دون من ذكرناهم أنفا في التحقيق في العلوم والفقه، فاكتفينا بما تقدم والله المستعان.

***

مسجد الحِجَار

من المساجد العامرة في حارة السفال في الشمال الشرقي من صعدة، ويتصل بالسور من الداخل، وهو قديم العمارة إذ حكى في إحدى وثائق الوقف أن للفقيه **محمد بن يونس بن حسن الوشلي** زيادة في مقدّم المسجد، وألمح أن بناء تلك الزيادة كان في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري.

ومن محاسن الحاج معوض أبو مسكة الطلحي السحاري عمارة المطاهير والحمامات جنوبي المسجد، وذلك في سنة .... [33].

ومن محاسن الحرة **محصنة ثالبة** أيضا عمارة صومعة للمسجد بالآجر الأحمر في سنة 1428هـ، ولم يطل عمر هذه الصومعة إذ خربت آخر هذه السنة في حرب صعدة الطاحنة، في ذلك العام، إذ تضرر المسجد وملحقاته أشد الضرر، وانهد بعض سقفه وصار حاله كما حكى القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في أيامه: «وأقبل مسجد الحجار وقد تناثرت أحجاره، وتشقق من جامعه جداره» الخ.

وفي هذه السنة عام 1433 تم ترميم المسجد وإصلاح بعض مرافقه على نفقة مكتب الأوقاف بصعدة.

مسجد بني حمرة

من المساجد المندرسة في آبار بير الجبل قرب بير السوسي من مزارع البقلات شرقي مدينة صعدة، وكان معمورا في شهر القعدة سنة أربعين ومائة وألف، وله وقف حكاه في بصائر الوقف.

وفي مزارع البقلات من المساجد المندرسة المطلع عليها في وثائق الوقف:

(مسجد بير فرج) وكان معمورا سنة 1051هـ، و(مسجد العابد) كان معمورا ببير الجبل عام 1017هـ، و(مسجد المبهلة) كان معمورا سنة 1269هـ شامي بير الهندي الكبرى. ورأيت في بعض الوثائق (مسجد بني حمرة) يحده من الغرب بير القبالين من

(33) بياض في نسخة المؤلف.

مزارع البقلات وهو المقصود هنا؛ ونسبة اسم المسجد إلى بني حمرة من بني سعد بن سعد بن خولان، ولهم ذكر في كتب الهمداني والسيرة الهادوية.

مسجد الخَيْقَري

من المساجد المندرسة التي لم أهتد إلى تحديدها.

وفي إحدى بصائر الوقف ما يدل على أنه كان قائما سنة 1109هـ وأن المتولي عليه في ذلك التاريخ هو الفقيه **حسين بن محمد الخيقري**، وفيما يفهم من عبارات تلك البصيرة أن المسجد المذكور كان في أعلى شارع المطراق.

وهذا الشارع مذكور في كتب التاريخ وفي بصائر الوقف على أنه يقع شرقي جامع الإمام الهادي، وبحسب وثائق الوقف فهو يمتد من جامع الإمام الهادي جنوبا إلى قرب خَبَث الحديد شمالا. أما نسبة المسجد فإلى آل الخيقري أو الخياقرة وهم من بيوت صعدة من حمير صنعانيون، ذكر ذلك في مشجرة أنساب بيوت صعدة، ولهم شواهد أضرحة في مقبرة القرضين.

مسجد الداعي

من المساجد العامرة في حارة درب المام شرقي صعدة.

ويظهر أن المسجد قديم وإنما اندرس مدة من الزمان، حتى أثار في العشر بعد الأربعمائة وألف من هجرة المصطفى الأعظم صلى الله عليه وآله، وذلك في نحو سنة 1403 تقريبا أساس هذا المسجد وسعى في تجديد عمارته السيد الفاضل المجاهد **قاسم بن أحمد الداعي**، وهو الشهيد في إحدى شهور سنة 1428هـ مدافعا عن مدينة صعدة وكرامة أهلها، ولم يمنعه كبر سنه من إدراك فضيلة الجهاد والمشاركة في نيل تلك المنقبة الشريفة، وهو من ذرية الإمام الداعي **يحيى بن المحسن** صاحب **المقنع في أصول الفقه** المتوفى سنة 630هـ، فهو السيد **قاسم بن أحمد بن مطهر** بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن صلاح بن محمد بن الحسن بن صلاح بن محمد بن صلاح بن حسن بن جبريل بن يحيى بن محمد بن سليمان بن أحمد بن الإمام الداعي يحيى بن المحسن بن يحيى

بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن المنتصر محمد بن المختار القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق.

***

ودرب المام الذي يقع فيه المسجد المذكور هو الذي يعرف في كتب التواريخ بدرب الإمام نسبة إلى بانيه الإمام المنصور بالله **عبد الله بن حمزة** المتوفى سنة 614هـ، وهو من دروب صعدة القديمة، ولا بد أن في هذا الدرب مساجد عديدة وإنما اندرست كما اندرس معالم هذا الدرب الشهير، إذ أخربه الغز الأيوبيين بقيادة **سنقر** عند دخوله مدينة صعدة في شعبان من حوادث سنة 601 إحدى وستمائة، وقد ذكر تفاصيل ذلك الشيخ العلامة **أبو فراس بن دعثم** مصنف **السيرة المنصورية**.

(فائدة تاريخية عن دروب صعدة)

وفي كتاب **تاريخ المستبصر لابن المجاور** المتوفى سنة 690هـ جاء ما لفظه:

ويقال إنّ صعدة القديمة كانت في الإبتداء عند حصن تلمص، قال: وأما صعدة هذه فإنها لما خربت صعدة القديمة وتم على أهلها ما تم جاء **يحيى الهادي بن الحسين** أراد بناء مسجد في هذه الأرض فجاء إليه تاجر فقال: وكلني على بنائه! فوكله وبنى التاجر المسجد، فلما فرغ بناءه قال له الهادي: أحسبت حساب الخرج؟ قال التاجر: معاذ الله أن أخذ على بناء بيت الله أجرة وثمن. وسكن الهادي **يحيى بن الحسين** المسجد بمقامه[34]، فسكنت معه الخلق فكثرت الأمم، فبنوا مدينة وأسواق ودور وأملاك، فلما رأوا ذلك أداروا عليه أربعة دروب: الدرب العتيق، ودرب القاضي[35]، ودرب الغز بني في أيام سيف الإسلام **طغتكين بن أيوب**[36]، ودرب القاضي ابن زيدان[37]. ويحوي هذه الأربعة الدروب درب واحد وهو السور، وركب على السور باب الدرب العتيق، وباب علي بن قاسم، وباب درب الغز، وباب درب القاضي ابن زيدان، وباب حوث، وباب درب الإمام. وأما درب الإمام

(34) كذا في الأصل المنقول عنه، ولعل صوابه: وسكن الهادي يحيى بن الحسين بعد بناء المسجد بمقامه.
(35) موقع الدرب العتيق اليوم حارة صبيح وما حولها، وموقع درب القاضي حارة السفال والتوت.
(36) درب الغز مذكور قبل دولة الأيوبيين في اليمن، فقد ذكر في حوادث سنة 510 عند مقتل الأمير المحسن بن الحسن راجع ذلك في كتاب مآثر الأبرار وغيره.
(37) موقع درب ابن زيدان اليوم ما يعرف بحارة القصر وحارة مسجد زيدان.

فهو حصن بناه أبو محمّد **عبد الله بن حمزة** ما بين الشمال والمشرق، منفردا بذاته لم يخالطه شيء قريب من البلد، لم يسكنه إلا الإمام وعترته. وصورته على هذا المنوال:

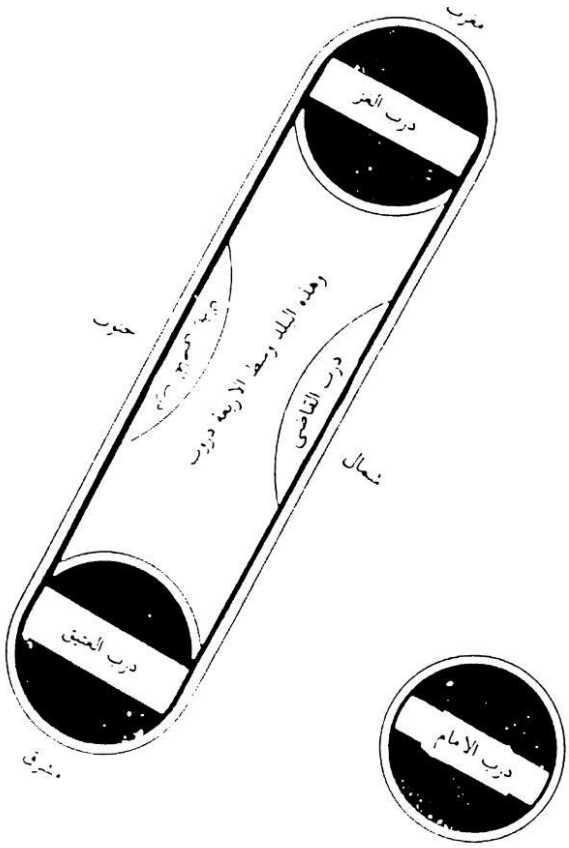

صورة من كتاب المستبصر

وأما البلد فإنه عامر كثير الخلق والخير ذات معاش، شربهم من الأنهار والأعين، وزرعهم الحنطة والشعير، ذات أشجار وأنهار، ولبسهم الحرير والقطن لأن البلاد ظاهرها حار بالمرة وباطنها حار لين. وهم قوم أخيار يدعون الحكمة ومعرفة الجواهر

والعلوم العلوية، وهم على مذهب الإمام **زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** جميعا، وهم شوكة القوم في المذهب انتهى بلفظه.

مسجد دِبَهْ

يقع غربي حارة الجربة جهة الجنوب من مسجد الذويد، وهو من أشهر مساجد مدينة صعدة وأقدمها في كتب التواريخ.

وهو بكسر الدال المهملة وفتح الباء الموحدة آخره هاء ساكنة، وله وقف حكاه في المسودة. وفي وثيقة للوقف اطلعت عليها أن موقعه بدرب الغز، وهذا الدرب قديم من قبل القرن السادس الهجري، وقد تقدم ذكره قريبا. وقد ورد ذكر مسجد دبه في عدة من كتب التواريخ وغيرها، من ذلك كتاب (**الثمرات اليانعة**) للفقيه العلامة نجم الدين **يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان** المتوفى سنة 832هـ في أثناء سورة الصف في الدلالة على وجوب الوفاء بالنذر بما لفظه: «حدثني القاضي الفاضل **عبد الله بن عواض** رحمه الله، عن شيخه الأفضل العالم جمال الدين **علي بن يحيى الوشلي** رحمه الله أنه وعد رجلاً أن يكري منه حانوتاً لمسجد دبة بصعدة بقدر معلوم، فجاء رجل آخر وبذل زيادة على ذلك القدر فأكرى من الأولى بالزيادة، وكان يؤدي الزيادة من نفسه ليفي بما وعد، ويخرج عن عهده الوفاء بحق المسجد».

قلت: وهو في أيامنا خراب يباب يكاد تنطمس آثاره وتندرس معالمه، أما في الأزمنة السالفة والعصور الماضية، فكان المسجد المذكور معمورا بالعلم والعلماء وحلقات التدريس، وله ذكر في كتب التواريخ فالله المستعان.

***

ومن أشهر من عرف بالقراءة والإقراء فيه عدة من أعلام العلماء.

منهم الفقيه العلامة الفروعي المذاكر عماد الدين **يحيى بن الحسن البحيبح**، سمع عليه الشيخ العالم المحدث جمال الدين **علي بن إبراهيم بن عطية النجراني** كتاب (**شمس الأخبار**) **للقرشي** في المسجد المذكور، أفاده الحافظ **أحمد بن سعد الدين** في إجازاته، ومنهم السيد العلامة صلاح الدين **المهدي بن أحمد بن صلاح** بن الهادي بن الإمام إبراهيم بن تاج الدين الحسني اليحيوي الصعدي، وهو خال السيد **الهادي بن**

إبراهيم وهو الذي عناه في رياضة الأبصار بقوله:

وبـالسيد المهدي بـن أحمـد إنـه لأكـرم ثـاو مـن مُعِـم ومُخْـول

ولم أضبط تاريخ وفاته إلا أنه ذكر في كتاب **الفضائل** أن ذلك أواخر أيام الإمام **الناصر صلاح الدين** قريبا من سنة تسعين وسبعمائة أو بعدها بسنة أو سنتين، وأنه رحمه الله مات مسموماً لحادثة اتفقت عليه هو والقاضي **هبة الدواري** بمدينة صعدة في مسجد دبة، فأما القاضي فتوفي في الحال، أما السيد **صلاح الدين** فسار إلى شظب وتوفي هنالك رحمهما الله وإيانا. ومنهم السيد العلامة **المرتضى بن علي بن المرتضى الوزير** عم السيد **الهادي بن إبراهيم الوزير** مصنف **نهاية التنويه**، قال في **تاريخ السادة بني الوزير** ما لفظه: «وتوفي رحمه الله في الليلة المسفرة عن يوم الاثنين سنة خمس وثمانين وسبعمائة، وكانت وفاته في منزلة لمسجد دبه بصعدة» انتهى.

ومنهم السيد العالم الكبير **داود بن الهادي بن أحمد** بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن قرأ عليه في مسجد دبه القاضي الحافظ **أحمد بن سعد الدين المسوري** أواخر ذي القعدة عام تسع وعشرين وألف.

***

وممن اشتهر أيضا بطلب العلم في مسجد دبه ما حكاه القاضي **ابن أبي الرجال** في **مطلع البدور** أثناء ترجمة السيد العلامة الرئيس المقدام **إبراهيم بن يحيى بن علي** بن محمد بن منصور بن يحيى بن منصور بن المفضل الكبير المتوفى سنة 803هـ (وهو زوج الشريفة **فاطمة بنت الإمام المهدي علي** بن محمد وابن عمها أيضا) فقال ما لفظه: «كان أحد العلماء الزعماء، وكان مقيماً بمسجد دبه بمدينة صعدة المحروسة على حال الطلب للعلم، والإمام المهدي في صعدة مقيم بها ومشتغل بحرب الأشراف، فأعوزته الحال إلى سايس لجنوده، ومقدَّم على ألويته وبنوده، إذ كان الأمير **يحيى بن أحمد** القائم بأمر الإمام ومقدّمهُ على العسكر كان لا يزال يغضب ويرضى، ويطلب المطالب الشاقة، فشقّ ذلك على الإمام، فأمر لولد أخيه السيد **إبراهيم بن يحيى** المذكور من المسجد المعروف بمسجد دبه، وقال له: قد عرفت فعل الأمير **يحيى بن أحمد** معنا، ولم نجد في الأصحاب من يكفينا ويقوم مقامه، فهل من همةٍ تدعوك إلى أن تكفينا هذا الأمر وتحدوك إلى فضيلة الجهاد؟ وكان الإمام يخيل فيه بعض ما يروم، فقال له: إنك ستجد

إن شاء الله مني ما هو فوق ظنك، فألفاه على أحسن ما طلب، حرّك أسداً باسلاً، وهزّ رمحاً عاسلاً، وقام فقاد العسكر والمقانب والجيوش، وأغرق في نكاية الأشراف وتبعهم في البلاد، وكمُل في أمر السياسة» انتهى بتصرف.

وقد تعرض المسجد للإهمال طيلة عقود من الزمن، وفي حرب صعدة الغاشمة إحدى شهور سنة 1428هـ تم خراب وتهدم ما بقي من المسجد، ولم يبق منه إلا الدعائم والجدران، يسر الله من يقوم بعمارته وإعادة إحيائه.

(العلامة البحيبح وسند فقه الزيدية الجملي)

وقد ذكرنا فيما تقدم الفقيه العلامة عماد الدين لسان الشرعيين فخر الفقهاء المتأخرين **يحيى بن الحسن البحيبح**، ولا بأس باستطراد ترجمته هنا، لمناسبة المقام وكون المسجد المذكور كان محل إفادته. فهو العالم المذاكر المشهور الصعدي بلدا ومسكنا ووفاة، كان هذا الفقيه من محققي **علماء المذهب**، ومبرهني مسائل الفروع الفقهية، وإليه انتهى علم الفقه في عصره، وسند الفقه الجملي أيضا، وكان فيه إماما متبعا، ومنهاجا مهيعا، هكذا عرّف به السيد **الهادي بن إبراهيم** في بعض كتبه.

أما سند الفقه فقد ذكره القاضي سلطان العلماء قاضي القضاة فخر الإسلام **عبد الله بن الحسن الدواري** في مقدمة كتابه **الديباج النضير** فقال:

«سند ما نحن عليه من **مذهب أهل البيت** المتصل **بزيد بن علي** المرفوع إلى **النبي** صلى الله عليه وآله وسلم وما يتصل بذلك من طرق الشرع التي هي: الاجماع والقياس والاجتهاد، وأفعال **النبي** صلى الله عليه وآله وسلم وتروكه، وما يتشعب في ذلك من قراءة الكتب المتداولة في أيدينا هذا الزمان وهي:كتاب **التحرير وشرحه**، و**تعليق القاضي زيد**، **والإفادة والزيادات وشروحهما**، **وتعاليق الإفادة**، **والمجموع**، و**تعليق ابن أبي الفوارس** وغير هذه مما فيه ما فيها أو شيء منه، والسماع في جهاتنا لأكثر هذه الكتب لفظاً أو معنى، ولكنها مما يرجع في الحكم والمعنى إليها: إلى الفقيهين العلامتين بدر الدين **محمد بن سليمان بن أبي الرجال**، وعماد الدين **يحيى بن الحسن البحيبح**، والأكثر على الفقيه **عماد الدين**، والفقيه **عماد الدين** سنده إلى الفقيه

محمد بن سليمان وإلى الأمير **المؤيد بن أحمد**، والفقيه **محمد بن سليمان** سنده إلى الأمير المذكور، وسند الأمير **المؤيد** إلى الأمير **الحسين بن محمد**، والأمير **الحسين** سنده إلى الأمير **علي بن الحسين** صاحب **اللمع**، والأمير **علي بن الحسين** سنده إلى الشيخ محي الدين **محمد بن أحمد النجراني**، وسنده إلى الأميرين **بدر الدين وشمس الدين محمد ويحيى ابني أحمد بن يحيى بن يحيى**، وسندهما إلى **القاضي جعفر**» وهو بإسناده المعروف في كتب الإجازات والطبقات.

وقراءته رحمه الله كانت على السيد الأمير الكبير **المؤيد بن أحمد**، وعلى السيد العلامة **يحيى بن الحسين** مؤلف **الياقوتة**، وعلى الفقيه إمام المذاكرين **محمد بن سليمان بن أبي الرجال** رحمهم الله جميعا، وعنهم يروي جميع كتب فقه الزيدية بالسند المعروف، قال في **الطراز المذهب في إسناد المذهب**:

على الفقيه الألمعي البر ... يحيى البحيبح الجليل القدر
قراءة منه على المؤيد ... أعني الأمير الفاضل بن أحمد
كذا على الحبر زكي الخلال ... محمد بن أبي الرجال

وشيخه في الفقه الذي تخرج به هو الأمير **المؤيد بن أحمد**، أفاده الحافظ **أحمد بن سعد الدين المسوري**، ومن أجل مقروءاته عليه (**كتاب اللمع**) للأمير **علي بن الحسين**، و(**شرح القاضي زيد بن محمد الكلاري**) على **التحرير**، وشيخه الأمير **المؤيد** يروي كتاب **اللمع** بطريق القراءة بعضه على شيخه الأمير شرف العترة **الحسين بن بدر الدين**، وبعضه على شيخه القاضي المذاكر جلال الدين **محمد بن عبد الله بن معرف**، وبعضه على شيخه الشيخ العالم محي الدين **عطية بن محمد النجراني**، وكل واحد من مشايخه الثلاثة يرويه عن مصنفه الأمير العالم الكبير جمال العترة الميامين **علي بن الحسين** مؤلف **اللمع**، أما **ابن معرف** فنص الفقيه **يوسف** وغيره أنه يرويه بطريق القراءة عن مصنفه المذكور، ويرويه أيضا الأمير **الحسين** عن **ابن معرف** عن الأمير **علي بن الحسين** مؤلف **اللمع**، فهذا كما ترى من أنصع الأسانيد وأوثقها إلى رواية كتاب **اللمع** في **فقه أهل البيت** عليهم السلام وهو معتمد **الزيدية** ومدرسهم، وقد انتهى ذلك إلى العلامة **البحيبح** رحمه الله شيخ أهل وقته في الكتاب المذكور. إذ يذكر **علماؤنا**

رحمهم الله تعالى من أحوال العلامة **يحيى بن الحسن البحيبح** ويفهم أيضا من إجازاتهم ومسانيدهم تفرده في أهل زمانه بالتدريس في كتاب **اللمع**، والعجيب في الأمر أن أغلب تلامذته ممن لهم تعاليق على **اللمع**، فمن أجل تلامذته السيد **الهادي بن يحيى بن الحسين** قرأ عليه كتاب **اللمع** و**الزيادات** وغيرهما، وله (**الشرفية**) تعليقة على **اللمع**، والفقيه **علي بن يحيى الوشلي** فهو من تلامذته أيضا، وله تعليقان على **اللمع** إحداها تسمى (**اللمعة المضية**)، والقاضي **عبد الله بن الحسن الدواري**، الأغلب أنه من تلامذته، وهو مؤلف (**الديباج النضير شرح لمع الأمير**)، وهو من أشهر ما ألف على كتاب **اللمع** من **الشروح والتعاليق**، ومنهم الفقيه شرف الدين **حسن بن محمد النحوي الصنعاني** مؤلف **التذكرة** في الفقه وصاحب التعليقين على **اللمع**، التي إحداها باسم (**السراج المنير شرح على لمع الأمير**)، فإنه ممن رحل إلى صعدة للقراءة على شيخه العلامة **البحيبح**، فتم له في رحلته تلك القراءة في كتب عدة، منها كتاب **اللمع**، وكتاب **الزيادات** و**الإفادة**، و**النصف** من **شرح القاضي زيد الكلاري**. ويلحق بهم أيضا القاضي بدر الدين **محمد بن عبد الله بن أبي النجم** مؤلف **الذريعة**، فهو من أقدم تلامذته، وكثيرا ما يذكره في كتبه. ويؤيد ما ذكرناه من تفرد العلامة البحيبح بالتدريس في كتاب **اللمع**، ما جاء في إحدى التعاليق على الكتاب المذكور المؤلفة في عصره وهذا لفظ مؤلفها: «أما بعد، فإن الغرض بهذا التعليق هو ضبط ما سمع عن الفقيه العلامة الإمام عماد الدين لسان الشرعيين، فخر الفقهاء المتأخرين **يحيى بن حسن** رضي الله عنه وأرضاه، في حال تدريسه لكتاب **اللمع** في **فقه أهل البيت** عليهم السلام، إذ كان هذا الكتاب من عجائب ما صنف في هذا الفن الشريف، ولذلك شغف أهل العصر بتحصيله، ولا يكاد تحصل فائدته عندهم في هذا الفن إلا بإتقان جمله وتفاصيله، وكان سيدنا عماد الدين يعني **البحيبح**، هو المشار إليه في حل مشكلاته، وفتح مقفلاته، وإبراز محاسنه، واستخراج دفائنه، فلذلك اجتهد القارئون عليه بهذا الكتاب في حفظ ما سمعوه، وحرصوا على تعليقه، وجمعوه ليسهل تحصيل فوائد هذا الكتاب على الطالبين، ويقرب مثالها للراغبين، وكانت التعاليق عنه رضي الله عنه مختلفة، وأحسن ما علق عنه ما علقه حي المقرئ الفاضل العالم **محمد بن علي بن جعفر** رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له مغفرة جامعة» انتهى المراد نقله من التعليق

المذكور وهو باسم **الأنوار المتلالئة المضيئة**، ومؤلفه عندي مجهول إلى الآن.

وبالجملة فقد نقلت أقواله الفقهية وأنظاره وترجيحاته، فملأت كتب الفروع، وعلامته هناك حرف الياء، وكثيرا ما يرد فيها: «قال الفقيه **يحيى**»، «قواه الفقيه **يحيى**»، «ذكره الفقيه **يحيى**»، و«اختاره الفقيه **يحيى البحيبح**»، و«ضعفه الفقيه **يحيى**»، وقد يرد في **شرح الأزهار وحواشيه** أيضا: «قال **الفقهيان**»، «خلافا **للفقهيين**»، ومقصودهما في الأغلب العلامة **يحيى البحيبح** المذكور وشيخه العلامة إمام المذاكرين **محمد بن سليمان بن أبي الرجال**. وقد ذكر **علماؤنا** في كتبهم أخبارا متفرقة عنه رضوان الله عليه من شدة الورع والتحرز في أحواله كلها، هي بعلمه وفضله لائقة، من ذلك ما قاله السيد **الحسن بن صلاح الداعي** في **شرح الدامغة الكبرى** وقد ذكره هناك: «كان من أعيان المذاكرين، وعيون **العلماء** الراشدين، وهو المهاجر من صعدة إلى المزار بأسفل وادي فلله لما رأى سماناً يسلت بيده ما تبقى من الميزان من السمن إلى إنائه خيانة للمشتري، فانتقل إلى المزار، وبه توفي وقبره هنالك مشهور مزور بالقرب من مشهد أبي الهدارس ومسجد المزار ». وذكره أيضا في **شرح الدامغة** في موضع آخر أثناء ترجمة الأمير **علي بن زيد** المستشهد بجبل شظب سنة 532 فقال ما لفظه: «وقبره بحقل بني حجاج شرقي سودة شظب عنده السيد **حميدان بن يحيى القاسمي**، والفقيه **يحيى بن أحمد البحيبح**، فأما الفقيه **يحيى بن حسن البحيبح** فهو مقبور في أسفل وادي فلله عند مسجد المزار، قبره مشهور مزور» انتهى المراد نقله.

فتوضح لنا من ذلك أن المقبور في السودة الذي ذكره مؤلف **الطبقات** هو علم آخر غير صاحب الترجمة، إذ يقول السيد الإمام **إبراهيم بن القاسم الشهاري** في **الطبقات** أثناء ترجمة العلامة **يحيى بن الحسن البحيبح** ما لفظه: وقبره في موضع تحت بلد السودة من جهة الغرب يقال له بني موهب، وعليه قبة وفي الضريح ما لفظه:

هـذا ضريـح العـالم العلـم الـذي ... مـن علمـه أحيـا شريعـة أحمـد
يحيى البحيح خير من ضم الثرى ... أعضـاؤه بعـد النبـي محمـد
ومـن الأئمـة مـن تـولى دفنـه ... يحيى بن حمزة وسط هـذا المشـهد

وقال ما معناه: أن الإمام **يحيى بن حمزة** لما مات الفقيه **يحيى**، وكان الإمام **يحيى** في السودة فخرج إلى هذا الموضع فصلى عليه ودفنه انتهى كلامه فتأمل. وقد نقل بعض

الفضلاء المعاصرين نقلا عن شاهد قبره بهجرة المزار أن وفاته سنة ثلاثين وسبعمائة، وهذا النقل ممن انفرد به هذا الفاضل.

مسجد ذعفان

من المساجد العامرة في حارة الدرب، وهو إلى جهة الشمال من مسجد العرز، وهو خاص بالنساء، وله وقف حكاه في المسودة.

قلت: وذعفان بالذال المعجمة وبعد العين فوقية موحدة، وقد ذكره القاضي العلامة **محمد مشحم في مقامة المساجد الصعدية**. وكان ما زال المسجد عامرا إلى وقت قريب، ولكن تم هجرانه بسبب الحرب الأخيرة على صعدة، إذ تهدمت أغلب البيوت التي بجواره، فالله المستعان. وحدوده يحده من الشرق شارع ومن خلف الشارع بيوت الحاج قاسم الهجري، ومن الغرب بيت كلا من الحاج عبد الرحمن بن صالح مشحم وبيت الحاج حسين بشير، ومن الشمال بيت عبد الرحمن بن صالح مشحم، ومن الجنوب شارع صغير يلتقي بالشارع الشرقي ومن خلف الشارع بيوت آل نصير، أفادني بحدوده بعض الإخوان، وحرصت على إثباتها حفظا لعرصته.

مسجد الذهب

من المساجد العامرة في حارة سمارة أعلى صعدة، وهو بالقرب من باب السوق المركزي أحد أبواب صعدة التي فتحت في السور مؤخرا.

وهو قديم العمارة قبل القرن التاسع، وله وقف حكاه في المسودة.

وكانت له مأذنة كما أفهمت عبارات القاضي العلامة **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته عن المساجد الصعدية، وهو اليوم بدون مأذنة ذكر بعض المطلعين أنها هدمت بفعل الزلازل في نحو سنة 1360هـ والله أعلم. وفي كتابة منقوشة في جدار المسجد المذكور أنه: جدده القاضي العلامة شمس الملة **أحمد بن يحيى حابس**، وكان فراغه من ذلك سنة 1048هـ انتهى. قلت: وقد ارتبط ذكر المسجد المذكور مع مسجد زيدان في مواضع عديدة، من كتب التواريخ وغيرهما، وبالأخص فيما لهما من الوقف، من ذلك وقفية بير عرس لهما، وهذه البير بالقرب من مدينة صعدة، ومن ذلك ما ذكر العلامة

ابن فند الصعدي في كتابه **مآثر الأبرار** أن الإمام **صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم** لما وصل إلى مدينة صعدة عام 841 وتقرر عليها جمع منها أموالاً جمة، وعاقب جماعة من أهل صعدة، وأخذ أموالا قد كان أوصى بها بعض آل زيدان لمسجد الذهب ومسجد زيدان يقال أن فيها من الحرير والحاصل جملة مال انتهى.

ومن التجديدات الحاصلة في المسجد قيام مكتب الأوقاف في نحو سنة 1414هـ بتوسعة أحواض المسجد في الجهة الغربية للمسجد، بالإضافة إلى توسيع صرحة المسجد وبناء دكاكين كمستغلات للمسجد ترجع عوائدها إليه، وأبواب تلك الدكاكين مفتوحة ومشرعة جهة الجنوب. هذا كل ما اطلعت عليه في ترجمة هذا المسجد، والله الموفق.

مسجد الذويد

من المساجد العامرة قلب حارة الجربة وسط مدينة صعدة.

وعامره هو الشيخ العلامة بدر الدين **محمد بن أحمد بن حسين** بن محمد بن عمرو بن محمد بن عمرو الذويد، قال في ضريح قبره بحجرة المسجد المذكور: توفي في نيف وخمسين وسبعمائة بعد أن عمر مسجد الذويد ووقف له الأوقاف الكثيرة للمسجد وغيره انتهى بلفظه. ولأحد أحفاد عامره المذكور محسنة في المسجد، وهو عمارة مأذنة له وبعض التحسينات وذلك سنة 882هـ ذكر ذلك بعض المطلعين. ورأيت في أوراق الوقف ما لفظه: وأول توسعة للمسجد في سنة 1337هـ قام بها السيد العلامة **أحمد بن إبراهيم الهاشمي** متولي أوقاف المساجد في ذلك التاريخ، وقد أرخ السيد العلامة **محمد بن إبراهيم حوريه** تلك الزيادة بهذه الأبيات، وكتبت مع الحزام في جدار المسجد:

أساس الزيادة من سعي من ... علا في الأنام وحاز الشرف
وذلك شمس الهدى أحمد ... إمام العلوم وخير الخلف
فبشره بالفوز في جنة ... بتاريخ هذا: (ويجزى الغرف)

ومن محاسن الحاج الفاضل **محسن بن عبد الله البدري** والحاج الفاضل **أحسن بن**

عبد الله العيزور زيادة في غربي المسجد، وتوسعة الحجرة والبركة والمتخذات في سنة 1359هـ وأوقفا على تلك الزيادة والتوسعة (شعة منصور) من مزارع الشط، وقد جاء في تأريخ ذلك أبيات كانت مكتوبة في جدار الحجرة وقد طمست ومنها:

شرف الهدى وحسامنا قد أنفقا ... ماليهما في التوسعة للحجرة

وزيادة فيه الهنا قاما بها ... (تاريخها): بشراهما بالجنة

وفي أيامنا سعى السيد العلامة **محمد بن صلاح بن الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي اليحيوي** بإصلاح الأحواض وتوسيعها وتبويبها على نفقة أحد التجار الميسرين وأهل الخير المتعاونين في الخيرات، وكان الفراغ من ذلك شهر رمضان سنة 1416هـ، ثم بعد ذلك أعيدت عمارة المسجد بعد أن هدم إلى القرار، ووسع أضعاف ما كان عليه، وذلك في سنة 1421إحدى وعشرين وأربعمائة وألف، عمره الله بالتقوى ودوام الذكر فيه والعبادة وإحياء العلم الشريف بحوله وطوله.

فالمسجد المذكور في الأزمنة الماضية وإلى وقت قريب كان محيا بالمصلين والعبادة، وحلقات العلم وتدارس المنطوق والمفهوم فيه، ومن أشهر وأجل من قرأ العلم بمسجد الذويد الإمام الهادي إلى الحق المبين **عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد** بن جبريل بن الأمير المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين الداعي إلى الله يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن المعتضد بالله عبد الله بن المنتصر محمد بن الإمام القاسم المختار بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق عليهم السلام والرحمة، إذ وقفت في آخر نسخة كتاب (**المؤثرات ومفتاح المشكلات**) تأليف الشيخ الإمام **الحسن بن محمد الرصاص** وهذه النسخة بخط الإمام **عز الدين** عليه السلام على ما لفظه: «تم الكتاب بحمد الله تعالى في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر صفر سنة اثنتين وستين وثمانمائة سنة، كتبه لنفسه العبد الفقير إلى عفو ربه **عز الدين بن الحسن** عفى الله عنه آمين بمسجد الذويد بصعدة حرسها الله بالإسلام» انتهى. وهذا الإمام ممن حوى كمال الخصال وخصال الكمال؛ فهو الإمام السابق بيد أنه بذّ الفروعيين مذاكرة، وفاق الأصوليين تبحراً وتدقيقاً، وغبّر في وجه الأدباء مجلّياً. وكان وهو في مقام الأمر والنهي والرئاسة العظمى ينظم القصائد الإخوانية والمتاحفات الأدبية التي لا يبلغ إليها رقة وعذوبة ذو البال المتفرغ الخلي، وهذا فضل الله يؤتيه من

يشاء، وقد جرت بين الإمام **عز الدين** وبين الفقيه المؤرخ **ابن فند المعروف بالزحيف** غرر وحجول من الأدبيات والمفاكهات، وقد أشار **ابن فند** في كتابه **مآثر الأبرار** إلى طرف من تلك الأدبيات، من ذلك هذه القصيدة التي نظمها الإمام يرثي بها أسنانه وقد أضر بها الوجع، فقال الإمام عليه السلام:

إذا كنتَ من قَرْعِ الحوادثِ شاكيا ... وأصبحتَ من خطبٍ يَنُوْبُك باكيا
وصرتَ لبثٍ جلَّ عندك رزؤُه ... له نادباً بين الأنام وراثيا
فأولى وأحرى بالمراثي وبالبكا ... إذا صار بعض منك ميتاً وفانيا
فلا خير في عيشٍ وبعضك ميتٌ ... وإن كان بعضٌ منك حياً وباقيا
فيا عين جودي بالدموع لعلها ... تُهَوِّن وجداً في الجوانح خافيا
وبكِّي على البيض العوامل ثُبِّتت ... حداداً شداداً واضحات صوافيا
بثغرٍ يروق الناظرين رواؤه ... ومبتَسَمٌ يجلو لمن كان رائيا
نعِمتُ بها عصر الشباب ممتعاً ... تنيلك في اللذات ما كنت باغيا
لها أثر فيما يرام بقوةٍ ... عظمن بها نفعاً وطبن مساعيا
فأخنى عليها الدهر بعد كهوله ... وبعد اشتعال الرأس شيباً مُلاليا
فقد أصبحت نصفين ما بين ميّتٍ ... هوى وثوى لا يبعد اليوم ثاويا
تلا آخر منها إلى الموت آفلاً ... وتسع أجابت قبلهنّ ثمانيا
فمنها قليعٌ بالدماء مضرجٌ ... فأُزعج مقهوراً وما كان راضيا
ومنها صريعٌ موته حتف أنفه ... أهاب به داعي المنون مناديا
وبين سقيمٍ لا دواء لسُقْمه ... عليلٍ فلا يلقى طبيباً مداويا
فلا ثابت في أصله ومقره ... ولكنه أضحى مريجاً وواهيا
ولا سالم من صُفرة وكدورةٍ ... بلى صار عن تلك الإنارة خاليا
ولا نفعَ فيه عند رَطبٍ ويابسٍ ... إذا لم يكن كل الرطوبة حاويا
محاسن كانت فاضمحلت وآذنت ... بِبَيْنُونَةٍ عنها وعادت مساويا

وفيها قوام الروح والجسم عمره ... فأيُّ نماءٍ بعدها صرتُ راجيا
تَسَلَّ فما الدنيا إذا ما اختبرتها ... وجدت عليها من بني الدهر ساليا
وكن للأسى والحزن والبثِّ والجوى ... إلى الله حقاً لا إلى الناس شاكيا
رويدك بعض الشر أهون موقعاً ... من الكل فاثبت للمقادير لاقيا
تذكّر إذا ما صرت في القبر ثاوياً ... بعيداً عن الأهلين والوِلْد نائيا
وقد ذهبت تلك المحاسن وامّحت ... وصار لهنَّ الترب في اللحد ماحيا
وأفردت للديدان من تحت جندلٍ ... ولم تلق من أمرٍ ينوبك حاميا
وصرت رميماً كالتراب مفتّتاً ... مقيماً إلى أن يبعث الله داعيا
وذلك أدنى وحشة وكآبة ... من الحشر والأهوال إن كنت داريا
مواقف يسلبن العقول محارةً ... ويصبح عن روعاتها المرء جاثيا
ونشر دواوينٍ حوت كل واقع ... وناشرها من كان من قبل طاويا
ونَصْب موازينٍ فيا رُبَّ راجحٍ ... ورُبَّ خفيفٍ صار بالخُسْر قاضيا
هنالك إن لم يمنح الله فضلَهُ ... فتلقاه غفّاراً لذنبك ماحيا
فلا وَزَرٌ من بطشه وعقابه ... وإن يَعْفُ فضلاً منه أصبحت ناجيا

وأرسل بها الإمام إلى الفقيه **محمد بن علي الزحيف**، وهذا الفقيه رحمه الله هو أحد روّاد مسجد الذويد المرتادين له والمجاورين لبنيته الشريفة، فأجاب الإمام وراجعه بأبيات هذه القصيدة البليغة، فقال:

كساك التقى بُرداً من الفكر ضافيا ... فما زال بالتوفيق فكرك صافيا
وصرت بحلب الدهر شطريه عالماً ... خبيراً بما يُمْرِيه مُرّاً وحاليا
فما الوعظ إلا ما أثرت عيونَهُ ... ولا الحكم إلا ما توخيت حاكيا
تدبّرت أطوار ابن آدم مذ غدا ... جنيناً فمولوداً فطفلاً فناشيا
فكهلاً فشيخاً فانياً ثم ميتاً ... فحياً لأهوال القيامة لاقيا
فخبّرت عن كلٍّ بما يترك الفتى ... لصحبة ذي الدنيا مدى الدهر قاليا

فيطرحهـا طـرح الكـريم لربعـه ... إذا خـاف فيـه سُـمّه والأفاعيـا
وينظمهـا في سـلك أحـلام نـائمٍ ... أطافـت فَمَنّـت في المنـام الأمانيـا
وإلا سراب قـد تـراءى بقيعـةٍ ... فيحسـبه الظمـآن مـاءً مـدانيا
وإلا كظـلِ زائـلِ أو كبـارقٍ ... بـأفق مـن الآفـاق قـد بـات ساريا
وإلا كوصـلِ الغانيـات فإنّـه ... يـزول إذا حـلَّ البيـاضُ النواصـيا
فتبـاً لـدنيا لا يـدوم وصـالها ... لحـيٍّ وإن أمسـى عـلى الخلـق عاليـا
وطـوبى لقـومٍ عاملوهـا كفعلهـا ... وبَتّـوا عُراهـا عفـةً وتغانيـا
وداروا لـزاد للمعـاد مبلـغ ... إلى جنـةٍ تحـوي قصـوراً عواليـا
أولئـك أقـوام شروا مـن إلههـم ... برفضـهم الـدنيا نفوسـاً غواليـا
كفـى واعظـاً فيهـا المشـيب فإنّـه ... يصـير لأنـوار الشـبيبة ناعيـا
وسـموه في الـذكر النـذير لأنـه ... بِقُـرْب مـمات المـرء يصـبح قاضـيا
ومـا بكـت الأمجـاد شـيئاً بكاؤهـا ... شـبيبتها لـو ينفـع الـدمعُ باكيـا
لعلمهـم أن ابيضَـاض شـعورهم ... يجـيء لمسـوَدٍّ مـن الشـعر ماحيـا
كـما أن مسـود الثنايـا مـذكّرٌ ... بموت الثنايـا البـيض مـن كـان ناسيا
وفي مـوت بعـض قبـل بعـضٍ مخـبرٌ ... بكـون مـمات الكـل للـبعض تاليـا
ومـا زهـرة الـدنيا سـوى مـدة الصِّـبا ... وصـحتها أيامهـا والليالـيا
فمهما انقضت يومـاً تقضـّى رواؤهـا ... فيضحي الفتى للضعف فيهـا مقاسـيا
ومـن حـين مـا يبـدو المشـيب بفـوده ... تـقعقع منـه الشِّـن إذ صـار باليـا
وتنفـر عنـه الغانيـات تطـيّراً ... بطلعتـه يـنظمن فيـه القوافيـا
ويبـدلن منـه الحسـن قبحـاً تجنيـاً ... ويـبخلن عنـه بالسـلام تعاميـا
وكـان الشـباب الرحـب أكـبر شـافع ... وعـن أكثـر الـداعي إلـيهنّ كافيـا
فـلا خـير في عمـرٍ يـرى المـرء عنـده ... بِبُنْيَتِـهِ نقصـاً يسـرُّ الأعاديـا
ويعـد هجـوم الشـيب للمـرء يُبْـتَلى ... بأسـنانه مـا يعظـم الـرزء ثانيـا

فيتركها ما بين حي وميتٍ كثير اعوجاج ليس يبرح وانيا
وحينئذٍ لا عيش يصفو لآكلٍ ولا مشربٌ للمرء يصبح هانيا
فما حَرَّ من هذين أو كان بارداً فللألم المخشي يصبح داعيا
وقد رُبَّما زالت جميعاً وغادرت أخاها كطفلٍ لا يفك البوازيا
يُجَنِّبنه ما كان فيه رداءه ويُطْعِمنه ما خفَّ طبعاً تداريا
وما كل شيخ واجدٌ من يَرُبّه كما رُبَّ طفل يصحب المهد عانيا
وقد تَعْرُض الأسفار للشيخ والنوى فيختل قانوناً بعيداً ودانيا
فكيف سكون القلب والحال هذه وأي طريق يسلك المرء واديا
وأي أمانٍ والحوادثُ كُمّنٌ تشن على نهب النفوس الأمانيا
فلا لوم للباكي الشباب وعصره إذا ما بكى يوماً وأبكى البواكيا
وأفدي الذي قد نبّهتني عظاتُه فقلت مقيماً إذ سمعت المناديا:
دهاني زماني في جزيل عواملٍ ولقّى جميع الناس مثلي الدواهيا
فكم موجع مثلي يبيت مسهداً ويضحى بنيران التقلقل صاليا
يحاول بثَّ البعض مما أصابه وأحمى كِرَاراً في حشاه المكاويا
فيُعوزه نظم القريض مرصعاً رقيق المعاني عسجداً ولآليا
فيبقى كظيماً ليس يملك قدرة يُعبّر عما صار في القلب ثاويا
ولا يستريح المرء من بعض غمه بغير انحدار الدمع دراً جمانيا
أو الشعر يُمسي حيثما شاء طائعاً يَبِيْنُ به ما كان في الصدر خافيا
كما قد تراه في نظام إمامنا يُوَجِّيك أوصاف الأمور كما هيا
ويرمي به عن قوس كل إرادةٍ وما كل قوّالٍ يصيب المعانيا
ولا كل بحرٍ كالفرات حلاوةً وفيضاً ولا كل النجوم دراريا
ولا كل قارٍ للحواميم نافعاً ولا كل داع للبرية هاديا
ولا كإمام العصر تلقى مهيمناً بكل مقالٍ في الفصاحة داريا

تصـفّح إذا مـا ارتبـت ديـوانَ شـعره تجـــده لأنـــواع البلاغـــة حاويـــا
ويكفيـك عـن طَـوْلٍ قصـيرُ مقالِـهِ: إذا كنـتَ مـن أمـرٍ ينوبـك شـاكيا

قال العلامة **ابن فند**: وقلما أنشأ شيئاً عليه السلام إلا وراسلني به كله أو بعضه، وحثني على الإنشاء على وزنه وقافيته، طلباً للمفاكهة وتكثيراً للفائدة قال: ومن أحب ذلك فليطالعه في ديوانه عليه السلام وديواني، فكل قد رسم ما وضعه ورقم من ذلك ما اخترعه» انتهى.

***

ومن أشهر من ارتاد المسجد المذكور للصلاة به والذكر:

السيد العلامة النسابة الكبير **محمد بن الإمام عبد الله بن علي** بن الحسين بن الإمام **عز الدين بن الحسن بن الإمام علي** بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي الملقب بأبي علامة مصنف المشجر المعروف بـ(**روضة الألباب في معرفة الأنساب**) و(**التحفة العنبرية**) في التاريخ، فإنه لما فارق مدينة صنعاء عام 1038 وباع كل ما يملك بها سكن مدينة صعدة، وبها توفي ليلة الجمعة يوم عرفة سنة 1044 أربع وأربعين وألف، ودفن بمقبرتها المسماه بالقرضين. وفي منتصف القرن الرابع عشر الهجري حفل مسجد الذويد بإحياء العلم وتدريس الطالبين له من قبل كوكبة من العلماء، وذلك ببركة شيخ الآل ورئيسهم وإمامهم في وقته وعصره السيد المولى العلامة الكبير مفتي اليمن الأكبر **مجد الدين بن محمد بن منصور** بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن عبد الله بن علي بن صلاح بن علي بن الحسين بن الإمام المؤتمن الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن الحسني اليحيوي المؤيدي، إذ أقام المولى المؤيدي للإقراء والتدريس في المسجد المذكور، وصار منارة للعلم في تلك الأيام، ومهوى لطالبيه من عموم النواحي والمدن.

ومن أشهر الآخذين عليه في المسجد المذكور: سيدي العلامة **إبراهيم بن علي الشهاري**، وسيدي العلامة **صلاح بن محمد الهاشمي**، وسيدي العلامة مفتي لواء الشام **إسماعيل بن أحمد المختفي**، وسيدي العلامة **الحسن بن محمد الفيشي**، وسيدنا القاضي العلامة الفذ **صلاح بن أحمد فليته** وغيرهم ممن تعرضنا لذكرهم عنوة في هذا الكتاب، تبركا بذكر العلماء العاملين، أعاد الله علينا من بركاتهم.

مساجد رحبان

ورحبان ضاحية في الجهة الجنوبية لمدينة صعدة نسبة إلى وادي رحبان الشهير، وهي قرى عدة، ولكل قرية من تلك القرى مسجد خاص بها، وتاريخ عمارة تلك المساجد كما تعرفت على ذلك من خلال وثائق الوقف كان في أثناء القرن الحادي عشر الهجري والقرن الذي يليه، وجملة هذه المساجد ثمانية وهي:

مسجد قرية بير الصنجا الصغير، ومسجد الصنجاء الكبير، وبانيه هو القاضي شمس الشريعة **أحمد بن يحيى حابس** حسبما كان منقوبا في طراز المسجد، ثم مسجد بير الطحم، ومسجد بير الشريفة، ومسجد بير يعقوب، ومسجد بير الجرش، ومسجد عكابة العنقا، ومسجد بير المكراب، ولأغلبها أوقاف حكتها مسودة الأوقاف الحالية. وقد تخرج من هذه المساجد عدة من العلماء الأفذاذ. وكانت رحبان في القرن الحادي عشر وما بعده إلى أوائل القرن الثالث عشر مخرفاً لأهل المدينة، ثم بدأ العمران بها قليلا قليلا، أما اليوم فهي مكتظة بالسكان والعمران، وقد جددت عمارة مساجدها المذكورة جميعا في أيامنا، ولم يبق منها ما هو على بنايته الأولى.

مسجد زيدان

من المساجد العامرة في حارة زيدان، وهو قديم العمارة من قبل القرن الثامن الهجري، إذ ذكر في وثيقة أنه كان معمورا سنة 755هـ، وقد تقدم له بعض ذكر آنفا. وهو منسوب إلى الحارة التي عُمِر فيها، جهة الغرب من صعدة، ونسبة الحارة والمسجد إلى القضاة آل زيدان من بيوت صعدة القديمة، ولهم ذكر في كتب التاريخ، وأول من ذكر منهم القاضي **علي بن زيدان الطائي الصعدي**، قال في ترجمته صاحب **مطلع البدور ومجمع البحور**: هو القاضي الكامل الرئيس الحلاحل، ذو الجد والاجتهاد في مشاعر الإسلام ورفع مناره، وفي هدم الباطل ومحو آثاره:

فتارة بعلومٍ بحرها لجبُ ... وتارة بجيوش كلهم نجبُ
وتارة برجاح رأيه فلقٌ ... فقام لله مولاه بما يجبُ

تولى القضاء وشارك في الأمور مع الإمام المنصور بالله **عبد الله بن حمزة**، وجرت

على يده المباركة ومساعيه الحميدة إصلاح ومصالح، قال: واعلم أن القاضي **نظام الدين الطائي** قل ما اشتملت التراجم على مثله، ولو استوعبت كثيراً من أخباره لكانت سيرة حافلة؛ لأنه طال عمره وما ضيع منه ساعة، بل كان همه العلم والإعلام، وما كانت حرب في أيام المنصور بالله في الغالب إلا وهو قطب رحاها، ومسعر ذكاها، ثم كانت أيام الأمير **محمد بن المنصور** وهو قائد الكتائب انتهى باختصار، فتكون وفاته بعد سنة 623 ثلاث وعشرين وستمائة.

صورة أخرى لمسجد زيدان

وللمسجد وقف حكاه في مسودة الأوقاف، وحائط واسع جنوبيه.

ومن أشهر طالبي العلوم في هذا المسجد وأجلهم السيد العالم المحقق **الهادي بن يحيى بن المرتضى** المتوفى سنة 793هـ، وصنوه الإمام المهدي **أحمد بن يحيى بن المرتضى** صاحب **الأزهار والبحر الزخار**، ذكر ذلك الإمام المهدي عرضا في كتابه (**شرح القلائد**) عند ذكر عذاب القبر ولفظه: حدثنا السيد الأفضل ربيب حجر العبادة، ورضيع لبان الزهادة، سلالة الآباء الكرام المؤيد بن أبي الفضائل بن محمد بن علي في مسجد زيدان من مدينة صعدة هجرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام

وذلك أنا كنا قد سمعنا الحكاية عنه من غيره، فلما وصل إلينا إلى صعدة أيام قراءتنا فيها أنا وحي صنوي رحمة الله عليه، وهذا السيد ابن خالنا، فوقف معنا أياماً، فسألته أنا وحي الصنو قدس الله روحه عما حكي لنا عنه من هذه القصة وذكرناها له، فقال: نعم هي كما حكي لكما، إلخ ما ذكره هناك من تصحيح وقوع عذاب القبر.

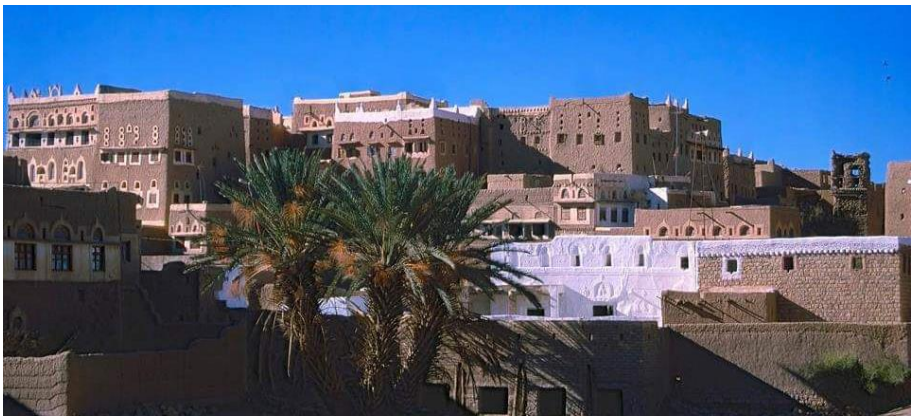

صورة مسجد زيدان

وفي هذا النقل السابق عن شرح القلائد فائدة غفل عنها مؤلف طبقات الزيدية الكبرى السيد إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله أثناء ترجمة العلامة المحدث شهاب الدين أحمد بن سليمان الأوزري إذ قال مؤرخا لوفاة الأوزري بما لفظه: ولعله توفي في العشر بعد الثمانمائة، وعلق رجحان تأخر وفاته إلى هذا التاريخ بما نقله عن الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى في كتاب الغيث في ذكر الإعتدال من الركوع، ولفظه: وكنا شاهدنا حي الفقيه المحدث أحمد بن سليمان الأوزري رحمة الله عليه ورضوانه وقد تقوس ظهره للشيخوخة حتى صار كالراكع، فكان يتكلف الانتصاب حال الصلاة تكلفا عظيما حتى يظن المُغرب أن ظهره سواء، ولا يتم له ذلك إلا بعلاج ثم قال عليه السلام: قلت فإن كان لأمر مخصوص وإلا فهو مشكل من طريقة القياس، ولعله عرف فيه ما لم نعرف رحمه الله انتهى كلام الإمام قال في الطبقات ما موجزه: فقول الإمام رحمه الله، يدل على ما ذكرناه في تاريخ وفاته، فدخول الإمام عليه السلام صعدة كان بعد دعوته سنة اثنتين وثمانمائة. فحرر الحقير كاتب الأحرف معلقا على ذلك في كتابي (اتحاف الذوات بما وقع من الأوهام في الطبقات) قبل اطلاعي على

ما جاء في شرح القلائد ما لفظه:

الذي اطلعت عليه وتقرر عندي في مكان قبر العلامة الأوزري وتاريخ وفاته ما وقفت عليه في هامش نسخة شرح الأزهار وهي نسخة لسيدي الجد عامل بلاد سفيان في أيامه محمد بن إبراهيم بن حسين بن يحيى بن المطهر[38] رحمه الله، كتب عليها هذا التعليق بخط أحد العلماء الصعديين قال فيه ما نصه: بل الصحيح أن قبره بمقبرة صعدة قبلي قبر الشيخ عطية النجراني في القرضين، وقد وقفت على ضريحه قال فيه: بقية المحدثين المتوفى 790هـ انتهى بلفظه وحروفه، ومثله جاء في شرح الدامغة الكبرى إلا أنه قال: في شهر رمضان سنة سبعين وسبعمائة، وهو تحريف لما تقدم، لأنه قد صح بقاء الأوزري إلى سنة أربع وثمانين وسبعمائة، ففي هذا التاريخ كان سماع السيد صلاح بن الجلال عليه بصعدة في كتاب سنن أبي داود، حكاه الحافظ أحمد بن سعد الدين في إجازاته، وكان العلامة الأوزري شيخ أهل وقته في هذا الكتاب وفي غيره من كتب المحدثين، أما ما جاء في الطبقات من أن تاريخ وفاته في العشر بعد الثمانمائة، فمدفوع بأمرين، **الأول**: أن تصنيف الإمام المهدي لكتابه الغيث الذي ذكر فيه شيخوخة الأوزري وتقوس ظهره كان وهو في السجن عام ست وتسعين وسبعمائة، **والثاني**: أنه قد ذكر في بعض التواريخ أن الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى عليه السلام كان له دخول إلى صعدة قبل التاريخ المذكور سنة 802هـ وذلك أيام الطلب في عشر الثمانين وسبعمائة، فبطل بذلك ما رجحه مؤلف الطبقات من تأخر وفاة العلامة الأوزري أحد علماء صعدة المحروسة إلى بعد الثمانمائة والله الموفق.

مسجد زيد

ذكره القاضي الحافظ **أحمد بن سعد الدين المسوري** في كتاب **إجازاته المعروفة**، وأفاد رضوان الله عليه أنه قرأ في المسجد المذكور في **(شرح نجم الدين على الكافية)** على السيد العلامة الكبير **داود بن الهادي** في سنة 1029 تسع وعشرين وألف.

ولم أقف على ذكر المسجد المذكور في وثائق الوقف، فلعله في الأغلب مسجد زيدان وإنما سهوا سقط الألف والنون والله أعلم.

(38) هو أحد اجداد المؤلف، جد والده، توفي سنة 1353هـ وله ترجمة في (نزهة النظر) للمؤرخ زبارة.

مسجد الساحة

من المساجد العامرة في حارة التوت، يقع جهة الشمال من مسجد التوت، وهو مسجد صغير مخصص للنساء.

مسجد سحبان

من المساجد المندرسة في حارة الدرب.

وهو قديم العمارة ولم أقف على من يكون عامره، أو إلى من ينسب، وكل ما وجدته في ترجمة المسجد المذكور أن الفقيه العلامة **علي بن محمد بن عبد الله بن عطية النجراني** مؤلف كتاب (**الجامع لقواعد دين الإسلام**) انتهى من تأليف كتابه هذا في مسجد سحبان أول شهر رجب سنة 796 ست وتسعين وسبعمائة انتهى.

ويقع المسجد المذكور قرب باب الدرب الغربي، والباقي منه في أيامنا نحو القامة حفظاً لحرمته، وحدوده يحده من الشمال شارع صغير يفضي إلى أحواش آل مدغة وبيت أحسن خولان، ومن الجنوب والغرب بيت الحاج حسين مدغة، ومن الشرق شارع خلفه بوابة الدرب الغربية، أفادني بحدوده المذكورة بعض الإخوان. قلت: وهو موافق لما جاء في إحدى بصائر الوقف ولفظه: مسجد سحبان غربي باب درب الجديد انتهى.

مسجد السلفة

من المساجد المندرسة في أيامنا، والظاهر في ضبطه أنه بفتح السين واللام والفاء، وكان إلى أوائل القرن الثاني عشر الهجري لا يزال قائم العمارة، إذ ذكره القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته عن المساجد الصعدية.

ومن عباراته الآتية يظهر أنه كان بالقرب من حارة ومسجد زيدان إذ يقول في المقامة المذكورة ما لفظه: «ثم جاء مسجد زيدان يمشي على استحياء، ويشير إلى ضعفه بالإيماء، أغبر اللون كأنما خرج من بين الرمال، وتبعه مسجد السلفة وقد أخذ الخراب نصفه، وهدم البلاء سقفه، وتمنى من الحِراف لو تمسك بحرفة» انتهى بلفظه. وأفادني بعض المطلعين: أن المسجد المذكور كان بجوار بير الدوس في حارة سمارة، وأنها لا تزال توجد بيره في أزقة البنايات.

قلت: الذي ذكره القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته أن الذي بالقرب من بير الدوس هو مسجد الصدقة، وسيأتي ذكره لاحقا.

مسجد السنّارة

من المساجد المعمورة قرب قلعة السنارة جنوبي صعدة أعلى وادي رحبان.

عمره العلامة الكبير ناظرة بلاد الشام السيد **محمد بن الحسن الوادعي** في سنة 1359هـ بعد رجوعه من الحج، واستقر بحصن السنارة نحوا من أربعة عشر عاما، وحصّنه وفعل بجانب المسجد ناحية الجنوب حاجزا للماء عظيما، وكان لهذا السيد محاسن ورئاسة، وله مصالح عظيمة، ومساعي حميدة، وجرت توسعة للمسجد المذكور بزيادة فيه في الجهة الشرقية مع تحسينه وتحويل نوافذه وأبوابه، قام بها القاضي **عبد الرحمن بن أحمد بن علي السياغي** سنة 1370هـ بأمر الإمام الناصر لدين الله **أحمد بن يحيى حميد الدين**.

صورة لمسجد السنارة والبركة

وقد كتب على حجرة وضعت فوق باب المسجد هذه الأبيات المؤرخة لتلك التوسعة التي قام بها السياغي، وهي:

في مثل هذا يعبد الرحمن ... وترتل الآيات والقرآنُ
فيه المحاسن والمناقب كلها ... وبها زهى الإسلام والإيمانُ

قد شاده ابن الإمام: النـاصر الـ ـضـرغام من عمرت به البلـدان
بعنايـة القـاضي الوجيـه أميرنـا وبسـعيه قـد أسـس البنيـان
فيـه المصـلي فـائز ولقـد أتـى تاريخـه: (جـاءت لـه غفـران)

وقلعة السنارة هي من عمائر الإمام الهادي **شرف الدين بن محمد بن عبد الرحمن** بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن محمد بن الإمام يحيى بن حمزة الحسيني شرع في عمارتها سنة 1302هـ، وكانت محل أهل الولاية والحكم في أيام الأئمة في القرن الرابع عشر، وآخر من استقر بها أمير الجهاد الأمير الشهيد **عبد الله بن الحسن بن الإمام يحيى بن محمد حميد الدين** رحمه الله تعالى. ولهذا الأمير الشهيد مناقب تروى وفضائل، وختم الله له بالشهادة وذلك سنة 1387هـ.

ونورد من نظمه ما قاله في الدعوة إلى الجهاد وكان من أمرائه:

بنـي وطنـي قفـوا مستبسـلينا لنفتـك بـالغزاة الغاصـبينا
وهبـوا في ظـلال الحـق تحيـوا تـراثكم ومجـد الأولينـا
وكيلوا الصاع بـالصاعين مـنكم جـزاء للعصـاة المجرمينـا
قفـوا يـا قـوم في الميـدان صـفاً لتحمـوا بالقنـا شرفـاً مصـونا
ولا تغـريكم خضـر الأمـاني فـما حقـت لمـن يخشـى المنونـا
إذا أنـتم تثـاقلتم نـدمتم وصرتـم بالأمـاني مغرمينـا

***

بـني وطنـي كفانـا مـا شـهدنا وآفـات بمحنتهـا بلينـا
كفـى الـيمن السـعيدة يـا بنيهـا مـآس زعزعـت خلقـا ودينـا
وأرملـت الغـواني في صـباها وأيتمـت العـذارى والبنينـا
بنـي وطنـي إذا كنـتم نسـيتم عويـل الأرمـلات أو الجنينـا
وجرحاً شـاخباً ودمـوع طفـل يتـيم يسـتغيث الأقربينـا
فـإن لهـا مـع الأيـام شـأن سـيبقى عـاره دينـا علينـا

وتلـــك مســـاجد لله كانـــت لهـــا قدســـية في العالمينـــا
رعاهـــا قبلنـــا الآبـــاء حتـــى زهـــت بـــالراكعين الســـاجدينا
تجـــرأت الطغـــاة ودمرتهـــا عـــلى هـــام الخيـــار الصـــالحينا
وكانـــت للجميـــع منـــار علـــم تبناهـــا الهـــداة الراشـــدونا
وأحياهـــا البنـــون فـــأنجبتهم نوابـــغ عـــالمين مثقفينـــا
دهتهـــا المنكـــرات ولوثتهـــا طغـــاة تابعـــت فيهـــا لنينـــا

مسجد الشِّمْري

من المساجد العامرة شرقي صعدة بالقرب من مسجد صبيح إلى جهة الشرق.

والظاهر أن أصل عمارته قديمة، إذ بيت الشِّمْري الذي نسب إليهم اسم المسجد من أقدم بيوت صعدة، وقد ذكروا في وثائق الوقف وكتب التواريخ، ومنهم في القرن الخامس الهجري الفقيه شجاع الدين **جعفر بن الحسن الشمري** صاحب **الهفوة في الخطبة** للصليحيين على منبر جامع الهادي، وقد تقدم ذكر ذلك.

مسجد شيبان

من المساجد العامرة في حارة شيبان واسط مدينة صعدة.

وهو قديم العمارة قبل القرن التاسع الهجري، أما الأخ المعاصر **عبد الله بن حسين المتميز** فيذكر حسبما نقلته عن خطه أن أصل بناية المسجد كانت عام 918هـ. وفي إحدى وثائق الوقف المحررة بتاريخ سنة 1077 سبع وسبعين وألف جاء ما لفظه: «فإنه لما وفق الله الفقيهين الأسعدين جمال الدين **علي بن محمد بن علي سهيل**، وصنوه شرف الدين **الحسن بن محمد بن علي سهيل** لعمارة المسجد المبارك المعروف يومئذ بمسجد شيبان بمحروس صعدة ودعت الحاجة إلى توسيع مرافقه» إلخ، فلعلهما ممن جدد عمارته في التاريخ المذكور والله أعلم. ويوجد كتابة في جدران المسجد من عمل عبد الله بن فند المطلالي وهو أحد المهرة في هذا الفن وله أعمال في الجامع المقدس مسجد مولانا الإمام الهادي عليه السلام مؤرخة سنة 1067هـ.

قال بعض المطلعين: وفي سنة 1085 خمس وثمانين وألف قامت إمراة من آل سهيل

بعمارة زيادة في المسجد، وهي المحراب الشرقي للمسجد والمسبل، وصار مسجدا واحداً بمحرابين. قلت: ولا زال على هذه الصفة إلى يومنا هذا، ومما هدم وأعيد بناؤه هو أحواض المسجد القديمة، وذلك في أيامنا سنة 1425هـ. واسم الحارة والمسجد نسبة إلى آل شيبان من بيوت صعدة القديمة، ومن علماء أهل هذا البيت الفقيه الفاضل العالم **علي بن إبراهيم بن علي بن شيبان**، من أهل القرن الثامن الهجري، وكان موجودا نحو سنة 730هـ، وهذا البيت من البيوت الصعدية التي ذكر المؤرخ **ابن أبي الرجال** في أيامه أنهم قد قلوا قال: «وآل أبي طويلة بيت بصعدة قد قلوا، كما قل آل فند، والمذاهبي، وآل زيدان، وآل عليان، وآل شيبان، وآل أبي النجم، فإن هؤلاء بيوت صعدة لم يبق منهم إلا النزر» انتهى بلفظه.

وفي مسجد شيبان المذكور بتاريخ إحدى شهور عام 1264 أربع وستين ومائتين وألف كان مبايعة العلماء الأعلام للإمام المنصور بالله **أحمد بن هاشم بن محسن الويسي الحسني**، ومن أكابر المبايعين له القاضي شيخ الإسلام العلامة الكبير **عبد الله بن علي بن علي الغالبي**، وكان قد وصل إلى صعدة مهاجرا إليها من مدينة صنعاء لأضطراب الأحوال فيها، وكان الذي حثه في الانتقال إلى صعدة هو الشيخ العلامة الشهيد المجاهد **عمير بن عيظه عريج الطلحي السحاري**، فكان على يد القاضي **عبد الله الغالبي** صلاح ديار البلاد الصعدية، وبطلان العمل فيها بالأحكام الطاغوتية، وأقام بمدينة ضحيان بعد ذلك، وصارت بسعيه وهمته وتقواه من أكبر الهجر العلمية التي أحيا فيها العلم والعمل وصالح الأعمال، وبها توفي شهر جمادى الأولى سنة 1276 ست وسبعين ومائتين وألف، ودفن بمقبرة ضحيان الغربية.

وممن اشتهر بالعبادة والتدريس في مسجد شيبان:

حي السيد العلامة المجتهد بدر الإسلام **محمد بن إبراهيم بن علي** بن الحسين بن الحسن بن يحيى بن علي بن أحمد بن يحيى بن الإمام الناصر إبراهيم بن محمد الملقب بابن حوريه المتوفى صفر سنة 1381هـ، وله دار ملاصق للمسجد جهة الشمال، لا زالت في يد أحفاده، وقد أشار إلى ذلك في قصيدته الهزلية التي نظمها أيام بقائه بصنعاء في سجن قصر غمدان وهي قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بجانب شيبان على الحيد معتلي

فمكسلة والحائطين بشرقها ... ومن غربها المصموط لم يتحول

ومـن شـام شـارعها طريـق منـيرة إلى مسـجد الأحجـار والجانـب الخـلي

وقد أقام هذا السيد رحمه الله للتدريس في مسجد شيبان منذ انتقاله للسكنى بمدينة صعدة نحو سنة 1330 إلى تاريخ انتقاله محفوظا إلى صنعاء سنة 1349هـ، مع إقامته في بعض الأحايين بمحروس العشة، وقد أخذ عليه في هذه الفترة جماعة وافرة من أهل وقته من أجلهم السيد العلامة الزاهد فخر الآل **عبد الله بن أحمد بن علي حوريه المؤيدي** المتوفى سنة 1361هـ، وصنوه السيد العلامة **إبراهيم بن أحمد حوريه**، وابن عمهما السيد العلامة المحقق **أحمد بن عبد الله بن قاسم حوريه** المتوفى سنة 1351هـ، والأخوة الثلاثة العلماء الأعلام من آل سهيل وهم: العلامة المحقق عماد الدين **يحيى بن الحسين بن إسماعيل سهيل** المتوفى سنة 1408هـ، وصنوه مصنف غاية **الأماني والأمل** في التراجم العلامة المؤرخ **عبد الرحمن بن الحسين سهيل** المتوفى سنة 1359هـ، وصنوهما العلامة **إسماعيل بن حسين سهيل** المتوفى سنة 1351هـ ولأغلبهم منه إجازة عامة. وممن أخذ عنه وأجازه العلامة المحقق شرف الأعلام **الحسن بن محمد بن علي سهيل** المتوفى سنة 1387هـ، وهو من أجل تلامذته، والقاضي العلامة الأديب الخلاصة **محمد بن يحيى بن عبد الله مرغم** المتوفى سنة 1380هـ، وله (ديوان أدبي) دوّن فيه ما جرى بينه وبين شيخه المولى **محمد بن إبراهيم حوريه المؤيدي** من المكاتبات والملاطفات، هذا ما حضر وما غاب الكثير والكثير.

مسجد صُبَيْح

من المساجد العامرة شرقي صعدة جوار قلعة القشلة من جهة القبلة، وهو قديم العمارة، وله مأذنة مبنية على الطراز القديم، وقد أصابها بعض التصدع والخراب بفعل الأيدي الآثمة أيام حرب صعدة إحدى شهور سنة 1428هـ.

وصبيح المنسوب إليه المسجد بضم أوله وفتح الثاني ثم ياء تحتية ساكنة آخره حاء مهملة، ولمسجد صبيح وقف حكاه في المسودة، ولم أقف على من يكون عامره، وإنما رأيت في بصيرة للوقف محررة في أثناء سنة 774 أربع وسبعين وسبعمائة أن من الواقفين على المسجد المذكور من يسمى محمد بن صبيح، فلعل نسبة المسجد إليه أو إلى والده، والله أعلم، على أن في التاريخ المذكور في أعيان مدينة صعدة الفقيه العابد الصالح التقي **صبيح بن عبد الله** مولى آل زيدان، ذكره في صلة الإخوان، وذكر أنه كان رفيق الفقيه

الإمام الرباني **إبراهيم بن أحمد الكينعي** في سفره الذي عاد منه من جوار البيت العتيق، والذي تعقب ذلك وفاته بمدينة صعدة سابع وعشرين ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، وحكى السيد **الهادي بن إبراهيم الوزير** عن الفقيه صبيح قال: لما وصل الفقيه **إبراهيم الكينعي** إلى ناحية جازان وكان ابتدأه المرض بحلي[39]، شكا أهل الجهات تلك الجدب والعطش فدعا لهم ولساير أهل البلدان، فحصل ببركة ذلك المطر العظيم الذي عم البلدان كلها، يوم الأربعاء في شهر ربيع الأول، قال: ولما وصل قريبا من صعدة قال لصبيح: إني رأيت لعشرة من إخواني الجنة وأُمرتُ أن أبشرهم. فقال له صبيح: من هم؟ فقال: السيد **محمد بن حسن بن باقي**، والسيد **قاسم بن أحمد القاسمي**، والقاضي **محمد بن حمزة**[40]، والفقيه **أحمد بن يحيى الشرفي**، والفقيه **محمد بن صالح**، والفقيه **أحمد بن موسى بن دارين**، والفقيه **علي بن جعفر الروام**، وأخوه **سليمان بن جعفر**، والفقيه **داود بن سليمان الزعبري**، وأنت يا صبيح بن عبد الله انتهى كلامه.

مسجد صبيح ويظهر جنوبية قلعة القشلة

(39) يريد حلي بن يعقوب من أعمال المخلاف السليماني.

(40) يعني به القاضي محمد بن حمزة بن مظفر مؤلف كتاب البرهان وغيره، وهو من علماء المدينة الصعدية وتوفي بها سنة 808هـ، وقبره في المقبرة التي شامي باب نجران (مؤلف).

وفي موضع من كتاب **الصلة** قال السيد **الهادي بن إبراهيم** عند ذكر مكان قبر **الكينعي** رحمه الله ما لفظه: وأما قبره فهو في البقعة المباركة رأس الميدان غربي مدينة صعدة، قد عمر عليه صبيح مشهداً، وهو مشهور مزور مقصود، ووقف هذا صبيح بعده أياما، وتوفي ودفن بمشهد الفقيه رحمة الله عليهما وأعاد من بركاتهما انتهى. ونتبرك هنا بإيراد القصيدة الفائقة في رثاء الإمام **الكينعي**، وهي من نظم وإنشاء السيد **الهادي بن إبراهيم الوزير** القائل: «لكل تأبين عارفة من جزاء وعارفتي في هذه الأبيات على الله»، وأول أبياتها قوله:

شجر الكرامة والسعادة أينعي ... للقاء سيِّدنا الإمام الكينعي
وتزيّني دارَ النعيم لِوَافدٍ ... وافاك بالعمل الزكيّ المقنع
خطبَ المليحةَ فاستجاد صِداقها ... بتزهدٍ وتعبّدٍ وتورّع
لاحت له الدنيا تريد خداعَه ... لكنّه بغرورها لم يُخدع
وتحسّنت بزخارفٍ لوصاله ... فأبى، وطلّقها طلاقَ مودِّع
قالت له: مالي أراك مولياً ... عني وقد طابت مراعي مرتعي
وأنا المعجّلة المزينة التي ... تهفو العقول لمنظري ولمسمعي
فأجابها أنتِ المليحة برقعاً ... والشين كلُّ الشين تحتَ البرقع
أنتِ التي فتنت عقولَ عبيدها ... جهلاً ويعرفها الذكي الألمعي
دارٌ متى ما أضحكت في يومها ... أبكت غداً أفٍّ لها من مربع
وقرارة الأحزان والأوجال ... والأتراح والأوجاع والمتوجع
أين الذين خدعتهم بحلاوةٍ ... وطلاوةٍ ومصانعٍ وتصنّع؟
وجحافلٍ محشودةٍ ومنازلٍ ... معمورةٍ ومعاقلٍ وتمنّع؟
كانوا ملوكاً فيك ثمت أصبحوا ... تحت الثرى في كل قبرٍ بلقع
شربوا بكأس مُرّة ما دونها ... من ملجإٍ أبداً ولا مِنْ مدفع
أتغرّني دار الفناء بزينةٍ ... مقطوعة في ظلها المتقطع
هيهات ذاك وقد سمعتُ صفاتها ... بكلام مولانا البطين الأنزع
هذا جواب الكينعي وإنّه ... بلسان حال أخي العفاف الأورع

العـــالم العَلَـــم التقـــي الفاضـــ ـــل المتنفّـــل المتطـــوّل المتواضـــع
العابـــــد المتزهـــــد المتجـــــرّد المتهجّـــــد المتســـــجّد المتركـــــع
مـــا زال بـــين عبـــادة وزهـــادة وتـــــلاوةٍ وتخضـــــع وتخشّـــــع
كانـــت إذا قرعـــت مســـامع أذنـــه عظـــــة يـــــودّ بأنهـــــا لم تقـــــرعِ
إذ كان من خوفٍ يموت بجسـمه والقلـب منـه في المحـل الأرفـعِ
وإذا ذكـــرتَ الله جـــل جلالـــه أســـقى بهـــارَ خـــدوده بـــالأدمعِ
وكـــأنّما وقفـــت بـــه أفكـــارُه فوق الجحيم وفي الجنـان الأَرْبُـعِ
فيـذوب مـن وجـلٍ ويهفـو قلبـه بالشـــوق بـــين تخـــوّفٍ وتطمّـــع
كـان الظـلام إذا سـجا أبصـرته كـــالقوس بـــين تســـجّدٍ وتركـــعِ
حينـاً وقـام إلى الصـلاة وسـاعةً وجثـا جثـو السـائل المتضـرّعِ
ويُسَـرُّ لو أن يسـتطيل لـه الـدجى ويسـوؤه في الفجـر قـرب المطلـعِ
وإذا رأيتَ رأيـتَ أصـفر خاشـعاً كمقـــدَّمٍ للقتـــل بـــين الأنطـــعِ
قـــد مـــات إلا أن في أعضـــائه حركات حي القلب واعي المسمع
متبلـــــداً في أمـــــر دنيـــــاه وفي أُخرَاه يـا لـك مـن ذكـي لـوذعي
عبـدُ الصـلاة وسـيِّد السـادات في فضـــلٍ وفي كـــرمٍ ومجـــدٍ أرفـــعِ
وأخـو مرقعـةٍ أحـب إليـه مِـن إكليـل قيصـر في الملـوك وتُبّـعِ
حفظ الحديث من الوصي وقولـه: رقَّعـتُ واسـتَحْيَيْتُ مـن مترقـعِ
وتـراه مـن صـومٍ كـأنّ عظامـه قِطـع الأخلّـة آذنـت بتقطّـعِ
وأضـالع دقـت كدقـة فكـره والفضل أجمع تحت تلك الأضـلع

***

يـا أيهـا القـبر الـذي في صـعدةٍ لأجـــل مقبـــورٍ بـــه ومُـــوَدَّعِ
أعلمـت أنـك روضـة مخضـرة مفـــترة في زهرهـــا المتقطـــعِ
بـالمُوْدع الملحـود فيـك ويـا لَـهُ من مودع بـك مـا لـه مـن مُـودعِ

فيــك الزهــادة والعبــادة كلهــا ... والعلــم والــورع الشــحيح بــأجمع
تالله أنـك قـد جمعـت مـن التقـى ... وعبــادة الــرحمن مــا لم يجمــعِ
كن مضجعاً لفتىً مضـت ليلاتُـه ... متجانفـاً عـن طيبـات المضـجع
يــا يــوم إبــراهيم كــل مفجــع ... بسـواك في التحقيـق غـير مفجّـع
من أين مثل أبي السعادة في الـورى ... يهـدي إلى نهـج الهـداة الأوسـعِ؟
إن العبـــادة بعـــده محزونـــةٌ ... محرابُهـا يبكـي بـأغْزَر مـدمعِ
وكــذا الــتلاوة والــذين أفــدتهم ... منهـاجَ فضـلك يـا لـه مـن مَهْيـعِ
يحيى الـذي يحيـي الهـدى بحياتـه ... أعني رضيع هُدَاك أزكـى مرضـعِ
مــا زال مقطــوع الفــؤاد مولعــاً ... رعيــا لمقطــوع الفــؤاد مولــعِ
يبكــي عليــك بقلبــه وبعينــه ... جزعاً ومـن هـذا الـذي لم يجـزعِ؟
لكــن تَجَــرّع مــن فراقــك غصــةً ... هــي عنــده سلســاله المتجــرّعِ
قــد قــال إذ عــذلوه مــن بُرحائــه ... ودموعــه كــاللؤلؤ المتقطــعِ:
ليســت دمــوعي هــذه بمــدامع ... لكنهــا كَلِــمُ الخطيــب المصــقعِ
كانــت فرائــد لؤلــؤٍ مــن وعظــه ... في مسمعي فتحدّرت من مـدمعي
قد كان واعظي الخطيب ولم يكـن ... في جمعــةٍ أبــداً ولا في مجمــعِ
لكــن بأوقــات الســعادة كــان لي ... فيهــا محاســن وعظــه المتفــرعِ
ومــن البليّــة غِيبَتــي عــن قــبره ... في صـعدة قـد كـان يـوم تجمّـعِ
خرجوا به في صبح يـومِ أكسـفت ... شـمس النهـار بـه لأمـرٍ مفظـعِ
يـا ليـت أني كنـت حـاضر موتـهِ ... فــأكون بــين مــودّع ومشــيِّعِ
وأكون مـن حَمّالـةِ الـنعش الـذي ... حملتــه أجنحــة الكــرام الركّــعِ
أصريع آيـات الوعيـد إذا تـلا التــ ... ــالي ورجّــع منطــق المترجــعِ
وطبيـب أسـقام الـذنوب وراهـمُ ... الأقـراح من نَغْـل الفـؤاد الموجـعِ
مَنْ تصـرع الآيات بعـدك خشـية ... هيهات بعدك ما لهـا مـن مصـرعِ

ومن المـداوي للقلوب إذا شـكت ريْن الذنوب وشرب سُـمٍّ منقـع؟
يـا نفـس إبـراهيم أنـتِ كريمـةٌ في داره بدعائـــه لمـــا دعـــي
أنت المـرادة عنـد ربـك فاسـمعي بالمطمئنة حـين قـال لـكِ ارجعـي
صـلى عليـك الله نفسـاً أُزلفـت في الخلد في غرف القصـور الرُّفَـعِ

صورة أخرى لمسجد صبيح

وهذا المسجد أعني مسجد صبيح كبقية مساجد صعدة كان منارة للعلم ومأوى لطلابه، وقد ذُكِر أن السيد العلامة الكبير **داود بن الهادي بن أحمد** بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن المتوفى سنة 1035هـ طلب السماع لكتاب **تفسير الكشاف**، وكان السماع في الكتاب المذكور قد انتهى إلى القاضي العلامة **عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران**، فرحل إليه إلى صعدة لاتمام ذلك المطلب الأسنى أيام تغلب الأتراك على صعدة وقرأ عليه بمسجد صبيح وقيل بمسجد الذويد. قال حي ولده السيد العلامة **علي بن داود بن الهادي**:

«ومما اتفق له من السعادة لأجل تحمل العلم أن حي القاضي العلامة **عبد العزيز بن محمد بهران** في سنة 1003 ضعف بصره، ولم يكن لأحد في الجهة الصعدية سماعا غيره في **الكشاف**، فرحل إليه السيد **داود** إلى صعدة لسماع الكتاب المذكور حتى بلغ (سورة

الأحقاف) وكف بصر القاضي رحمه الله، فمن الفضائل **للكشاف** التي حكاها والدي أن القاضي **عبد العزيز** كان يقابله بنسخة **الكشاف** وقت القراءة على السراج في مسجد صبيح، ويقرأ الحواشي التي بخطه وخط والده، وبعد تمام القراءة في المسجد في بعض الأيام والقاضي عازم إلى بيته المعروف والجمال التي تحمل للحدادين أحمال الحديد في الطريق، فلم يميز القاضي الجمل حتى وقع فيه، مع أنه كان يقرأ الحواشي على سراج المسجد، فعرف أن ذلك فضيلة قرآنية لصاحب الكشاف» انتهى كلامه.

مسجد الصدقة

من المساجد المندرسة في حارة سمارة بأعلى صعدة، حكاه في بصائر الوقف.

ويؤيده ما حكاه القاضي العلامة حاكم المسلمين الحافظ **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته عن المساجد الصعدية فقال: «وأقبل مسجد الذهب كالعليل، وصومعته كالصعدة لكنها كادت تميل، وأخشابه تسمع لها زجيل بالتسبيح والتهليل، كأنها تريد التمجيد للملك الجليل، وحوله مسجد الصدقة أدق من القوس، وكذلك المنهل المعروف المسمى بالدوس، فمضى بمن معه إلى المساجد» إلخ. وللمسجد وقف حكاه في المسودة الحالية للأوقاف، مما يدل انه اندرس عن قريب.

ومنهل الدوس: هي بير كانت في حارة سمارة، وهي نسبة إلى آل دوس إحدى بيوت مدينة صعدة القديمة، ولهم ذكر في وثائق الوقف، وقد ورد ذكر هذه البير في مسودة الأوقاف الحالية بهذا اللفظ: «بير الدوس وقبته وحوضه شرقي سمارة غربي بيت ناشر شعيلة» انتهى.

مسجد الصرحة

من المساجد الدارسة في أيامنا، وهو قديم العمارة قبل القرن التاسع الهجري، كما حكاه الفقيه العلامة **يوسف بن أحمد** في **الثمرات**.

وقد تعرض لذكره القاضي **أحمد بن صالح بن أبي الرجال** في تاريخه **مطلع البدور** أثناء ترجمة القاضي العلامة الكبير **محمد بن يحيى بن بهران الصعدي** المتوفى بها سنة 957هـ إذ ذكر في تلك الترجمة أنه «نشر العلوم بمسجد الصّرحة من مدينة صعدة، وكان فيه أكثر وقته»، ثم قال: «ويشهد بذلك ما أخبرنا به العلامة الفاضل **علي بن**

الهادي القصار رضي الله عنه أنه لما فتح الإمام **شرف الدين** بعض حصون اليمن أرسل إلى القاضي **محمد بن يحيى** بكيس من النقد، وقال: هذا نصيب القاضي مما أفاء الله به، وكان القاضي إذ ذاك لم يبايع بل كان قد بايع الإمام **مجد الدين بن الحسن** عليه السلام، فوصل الرسول إلى مسجد الصرحة، فأعطاه الكتاب والدراهم، فلم يقبض الدراهم، فقال له الرسول: أنا غريب ولا مكان لي، فتفضل بحفظ الدراهم وديعة حتى أقضي ما يحتاج إليه المسافر وأحملها، فأذن له القاضي أن يضعها في زاوية المسجد ولم يمسها، فأبطأ الرسول حتى جن الليل والقاضي منتظر، فخرج إلى باب المسجد يحرس ليلته جميعها، فلما جاء الرسول قال: شغلتنا مبيتي الليلة كان على باب المسجد لحفظ وديعتك، فقال له: هلا أغلقت باب المسجد وعزمت إلى بيتك، قال له: التغليق عندي قبض ولا يحل لي قبضها » انتهى كلامه.

قال الأخ عبد الله بن حسين المتميز فيما كتبه على هامش الترجمة السابقة وقد اطلعته عليها ما لفظه: مسجد السرحة بالسين وليس بالصاد. قلت: ما تقدم هو الثابت في النسخ التي اعتمدتها في تحقيقي لتاريخ **مطلع البدور** المنقول عنه هذا الكلام، وهناك في بصائر الوقف يرد اسم (سرحة السود) من شوارع مدينة صعدة المندرسة، وكان بالقرب من مسجد صبيح. ثم إني قرأت في كتاب (**الثمرات اليانعة**) للفقيه المذاكر **يوسف بن أحمد بن عثمان** المتوفى سنة 832 عند تعرضه لذكر حديث: (ألا أخبركم بما يمحو الله به السيئات ويضاعف به الحسنات، ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء في السبرات، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة) قال ما لفظه: ويأتي مثل ذلك كثرة الخطى لطلب العلم، وقد عمل بذلك بعض الفضلاء العاملين وهو حي القاضي العالم العابد محمد بن حمزة رحمه الله (يعني **ابن مظفر** مؤلف كتاب **البرهان** المتوفى سنة 808هـ)، فإنه أراد سماع كتاب (**التذكرة**) فأراد المسموع عليه أن يقصده إلى مسجده أو إلى مسجد يقرب منه، فكره ذلك، وقال: أحب أن يكون لي أثر في طلب العلم، وكان يأتي من مسجده بصرحة السود إلى مسجد النزاري، وذلك بصعدة حرسها الله بالصالحين انتهى بلفظه.

***

وللقاضي العلامة **محمد بن يحيى بهران الصعدي** هذه القصيدة العجيبة على عراض قصيدة الطغرائي في لامية العرب، سأله نظمها تلميذه الفقيه العلامة الأديب الأريب **محمد بن علي بن عمر الضمدي التهامي**، وهي من روائع الكلم ومفاخر النظم قد

اشتملت على الحكم العديدة والنصائح المفيدة، وهذا مطلعها:

الجـد في الجـد والحرمـان في الكسـل ... فانصب تُصبْ عن قريب غاية الأمـلِ
وشُـمْ بـروق الأمـاني في مخايلهـا ... بـناظر القلـب تـكفى مؤنـة العمـلِ
واصـبر على كـل مـا يـأتي الزمـان بـه ... صـبر الحسـام بكـف الـدّارع البطـل
لا تمسـين عـلى مـا فـات ذا حـزنٍ ... ولا تظـل بـما أوتيـت ذا جـذل
فالـدهر أقصـر مـن هـذا وذا أمـدا ... وربـما حـل بعـض الأمـن في الوجـل
وجانـب الحـرص والأطـماع تحـظ بـما ... ترجـو مـن العـز والتأييـد في عجـل
واقـن القناعـة لا تبـغ بهـا بـدلاً ... فـما لهـا أبـدا والله مـن بـدل
وصـاحب العـزم والجـد اللـذين هـما ... في العقـد والحـل ضـد العـي والخطـل
وألـبس لكـل زمـان مـا يلائمـه ... في العسـر واليسـر مـن حـل ومرتحـل
واصمت ففي الصـمت أسرار تضـمنها ... مـا نالهـا قـط إلا سـيد الرسـل
واستشـعر الحلـم في كـل الأمـور ولا ... تبـدر بيـادرة سـوء إلى رجـل
وإن بليـت بخصـم لا خـلاق لـه ... فكـن كأنـك لم تسـمع ولم يقـل
ولا تـمار سـفيهاً في محـاورة ... ولا حليماً لكـي تنجـو مـن الزلـل
ثـم المـزاح فدعـه مـا اسـتطعت ولا ... تكـن عبوسـاً ودار النـاس عـن كمـل
ولا يغـرك مـن يبـدي بشاشـته ... مـنهم لـديك فـإن السـم في العسـل
وإن أردت نجاحـاً أو بلـوغ منـى ... فـاكتم أمـورك عـن حـاف ومتعـل
وابكـر بكـور غـراب في شـذا نمـر ... في بـأس ليـث كمـي في دهـا ثعـل
في جـود حـاتم في إقـدام عنـترة ... في حلـم أحنـف في علـم الإمـام عـلي
وهـن وعـز، وباعـد واقـترب، وأعـد، ... وابخل وجد وانتقم واصفح وصُـل وصِـل
بـلا غلـو ولا جهـل ولا سرف، ... ولا تـوان ولا سـخط ولا ملـل

وكن أشد من الصخر الأصم لدى الـ بأساء وأسير في الآفاق من مثل
حلو المذاقة مراً ليناً شرساً صعباً ذلولاً عظيم المكر والحيل
مهذباً لوذعياً طيباً فكهاً غشمشماً غير هياب ولا وكل
صافي الوداد لمن أصفى مودته حقاً وأحقد للأعداء من جمل
شهم الفؤاد وقوراً حوّلاً يقظاً واري الزناد أبياً غير ذي وهل
لا يطمئن إلى ما فيه منقصة عليه إلا لأمر ما على دخل
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها حتى يقد أديم السهل والجبل
ولا يصيخ إلى داع إلى طمع ولا ينيخ بدار نازح العلل
ولا يضيع ساعات الدهور فلا يعود ما فات من أيامها الأول
ولا يراقب إلا من يراقبه ولا يصاحب إلا كل ذي نبل
ولا يعد عيوب الناس محتقراً لهم ويجهل ما فيه من العلل
ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً يصاب من أصوب الأمرين بالغيل
ولا يؤمل آمالاً لصبح غدٍ إلا على وجلٍ من وثبة الأجل
ولا ينام وعين الدهر ساهرة في شأنه وهو ساهٍ غير محتفل
ولا يصد عن التقوى بصيرته فإنها للمعالي أوضح السبل
من لم تكن حلل التقوى ملابسه عارٍ وإن كان مغموراً من الحلل
من لم تفده صروف الدهر تجربة فيما يحاول فليرعى مع الهمل
من سالمته الليالي فليثق عجلاً منها بحرب عدو غير ذي مهل
من كان همته والشمس في قرنٍ كانت منيته في دارة الحمل
من ضيّع الحزم لم يظفر بحاجته ومن رُمي بسهام العجب لم ينل
من جالس الغاغة النوكا جنى ندما لنفسه ورُمي بالحادث الجلل

مـن جـاد سـاد وأضـحى العـالمون لـه ... رقـاً. وحالـة جعـد الكـف لم يحـل
مـن لم يصـن عرضـه سـاءت خليقتـه ... وكـل طبـع لئـيم غـير منتقـل
مـن رام نيـل العـلى بالمـال يجمعـه ... مـن غـير حـل بُـلي مـن جهلـه وبَـلي
من هاش عـاش وخـير العـيش أشرفـه ... وشره عـيش أهـل الجـبن والبخـل
عاجمـت أيـام دهـري شـدة ورخـا ... وبـؤت فيهـا بإثقـال عـلي ولي
وخضـت مـن كـل واد في مسـالكها ... بـلا تـوان ولا عجـز ولا فشـل
طـوراً مقـيماً مقـام الـدر في صـدفٍ ... وتـارة في ظهـور الأينـق الـذلل
بالشـرق يومـاً، ويومـاً في مغاربهـا، ... والغـور يومـاً، ويومـاً في ذرى القلـل
وتـارة بـين أحبـار جهابـذة ... وتـارة أصـحب الغوغـاء في زجـل
وتـارة عنـد أمـلاك غطارفـة ... شـم العـرانين بـين الخيـل والخـول
هـذا ولم يـرض لي حـال وقعـت بـه ... إلا وثقـت بحبـل غـير منفصـل
ولا أيمـم بحـرا جـاش غاربـه ... إلا وجـدت سرابـاً أو جـرى وشـل
ولم يلـذ لعينـي منظـر أبـداً ... ولم أزل وبنـات الـدهر في جـدل
حتـى إذا لم أدع لي في الثـرى وطنـاً ... أقصرت مـن غـير لا وهـن ولا ملـل
فـاليوم لا أحـد لي عنـده أرب ... ولا فتـى أبـدا ذو حاجـة قـبلي
وفي الفـؤاد أمـور لا أبـوح بهـا ... مـا قـرب النـاي أيـدي الخيـل والأبـل
فـإن أمـت فلقـد أعـذرت في طلـب ... وإن تعمـرت لا أصـغي إلى عـذل
تمـت برسـم أخ مـا زال يسـألني ... إنشـائها أبـدا في الصـبح والطفـل
فقلتهـا لأداء مفـروض طاعتـه ... والقلـب في شـغل ناهيـك مـن شـغل
ولم أبـالغ في تنميـق أكثرهـا ... ولا ذكـرت بهـا شـيئاً مـن الغـزل
لكنهـا حكـمٌ مملـوءة همـماً ... تـغني اللبيـب عـن التفصـيل والجمـل

بـــذي الغبـــاوة مـــن إنشـــادها ضرر ... كـــما يضـــر نســـيم المســـك بالجعـــل
ثـم الصـلاة عـلى أزكـى الـورى حسـباً ... محمـــد وأمـــير النحـــل خـــير ولي
مـا أومـض الـبرق في الـديجور مبتسـما ... ومـا سـفحن دمـوع العـارض الهطـل

وناظم هذه القصيدة هو من محاسن علماء البلاد الصعدية بل من مفاخر البلاد اليمنية، أثنى عليه بالتحقيق الكامل كل من ترجم له، وكان إمام عصره الإمام **شرف الدين** عليه السلام معظماً له، منوهاً بأنظاره وآثاره، فقد روي أنه لما فرغ الفقيه محمد المذكور من تصنيفه للتفسير المسمى بـ(**التكميل الشاف**) في سنة 945 خمس وأربعين وتسعمائة أمر الإمام بزفافه بالرايات والطبلخانات في المشاهد العامة، إعلانا بجلالته وإفادته، قال في **السلوك الذهبية** ما معناه: وكان **الإمام شرف الدين** عليه السلام استحضر الفقيه **محمد بهران** من صعدة في شهر القعدة سنة إحدى وأربعين لحثه في تصنيف ذلك التفسير، فإن الإمام كان يحب أن يتولى ذلك بنفسه، لولا اشتغاله بأمور الإمامة، فعول على الفقيه **بدر الدين** في ذلك، وبين له ما ينحوه من المسالك، واحضر له من الكتب ما يحتاج إليه، فاستأذنه في العودة، وشرع فيه أول سنة اثنتين وأربعين، وأكمله في سنة خمس وأربعين وأرسل به إلى الإمام، فأمر بإظهاره، وجعله في صندوقين عظيمين وعليها ستارة منسوجة بالذهب، واجتمع العلماء والفضلاء والأعيان والنبلاء، وخرج به ولده **شمس الدين** بن الإمام ومن معه من المذكورين، وضربت الأرتاج والطبلخانات حتى دخلوا الجامع الكبير بمدينة صنعاء، وقرئت فيه خطبة الكتاب وتفسير سورة الفاتحة، ثم خرجوا به إلى المدرسة ثم إلى القصر، وكان ذلك يوم الجمعة من شهر شوال من السنة المذكورة انتهى.

مسجد الصما

من المساجد المندرسة والأغلب أنه كان يقع جنوبي جامع الإمام الهادي المقدس، لما سيأتي في مقامة المساجد للقاضي **محمد بن أحمد مشحم** الآتية قريبا.

مسجد سوق الصوغ

من المساجد المندرسة، وكان قائما سنة 1056 ست وخمسين وألف، وقفت على ذكره في بصيرة للوقف مؤرخة في ذلك العام. قلت: وسوق الصوغ من أسواق مدينة

صعدة القديمة، وله ذكر في وثائق الوقف، ولم أهتد إلى تحديده حتى الآن.

مسجد الطاي

من المساجد العامرة جنوبي جامع الإمام الهادي. وهو قديم العمارة حكي في كتابة تحت عمارة القبة أن عمارته كانت في سنة 787هـ.

والذي يظهر أن أصل عمارته قبل هذا التاريخ بكثير، إذ هو منسوب إلى آل الطاي وهم من بيوت صعدة القديمة، وكانوا أهل تجارة وثروة، وقد ذكر المؤرخ **ابن أبي الرجال** أن أصلهم من ضبة إلا أنهم نسبوا إلى طي لنزولهم بجبل طي، وأول من نزل منهم إلى صعدة العالم جعفر الطاي المعروف بالوقار، هاجر إلى الإمام الهادي إلى الحق **يحيى بن الحسين** عليه السلام في أوخر القرن الثالث الهجري، وكان وجيهاً عالماً عاملا. ولمسجد الطاي المذكور وقف حكاه في المسودة، وبالقرب منه حمام بخاري يسمى حمام الطاي[41] ترجع عوائد وقف هذا الحمام إليه، حكاه في إحدى بصائر الوقف.

صورة مسجد الطاي

(41) وكان هذا الحمام قد اندرس، فلما وصل الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين صعدة سنة 1351 نبهه أهل المعرفة إلى إثارة أساسه بعد طلبه لذلك، فجدد عمارته على ما هو عليه اليوم (مؤلف).

مسجد ظبي بن محمد

من المساجد المندرسة بمدينة صعدة منذ زمن بعيد. وإنما وقفت على ذكره في بصيرة للوقف مؤرخة بتاريخ فتح ربيع الأول سنة 997 سبع وتسعين وتسعمائة، قال فيها ما لفظه: «أقر **صلاح بن قاسم** إقرارا شرعيا في حال يصح منه ذلك شرعا، بأنه قد صار البيت القائم العمارة قرب السوق الجديد بصعدة، قد صار لمسجد الله المنسوب إلى ظبي بن محمد بوجه شرعي» إلخ.

مسجد العَبْدي

هو المعروف الآن بمسجد الناصر وسيأتي.

مسجد العَرِز

من المساجد العامرة في حارة الدرب وسط صعدة.

والمسموع المتناقل في ضبط إسم المسجد على ألسن أهل صعدة بفتح العين وكسر الراء المهملة ثم زاي، وهو قديم العمارة، بني قبل القرن التاسع الهجري، أو قبل ذلك، وقد جاء ذكره في كتاب **طبقات الزيدية الكبرى** أثناء ترجمة السيد الحافظ **محمد بن إبراهيم الوزير** مصنف **العواصم والروض الباسم** المتوفى سنة 840 أربعين وثمانمائة، وحكى في تلك الترجمة أنه قرأ أثناء دخوله صعدة لطلب العلم أيام الحداثة على الفقيه **أحمد بن محمد علوان** بالمسجد المذكور (**كتاب اللمع**) للأمير **علي بن الحسين**.

ورأيت في إحدى الوثائق المؤرخة في شهر ربيع الآخر سنة 957هـ ما لفظه: «اشترى من له ولاية شرعية على مسجد الله المنسوب إلى الفقيه **علي بن يحيى العرز** المعروف بدرب الإمام بصعدة للمسجد المذكور» فالظاهر أن المذكور هو عامره الأول والله أعلم. وحكى في وثيقة أخرى للوقف مؤرخها شهر ربيع الآخر سنة 1151هـ عن زيادة جرت للمسجد في شرقيه، ويظهر في الجدار الجنوبي والغربي للمسجد أنها جرت تجديدات في المسجد، وكذلك سقف المسجد نقض وأبدل بعمارة إسمنتية، هذا حد معرفتي له من خلال الزيارة والصلاة فيه. ثم تعرض في حرب مدينة صعدة عام

1428هـ لبعض الخراب والدمار مثله مثل ما جاوره من المساجد، ولكنه لا زال قائماً عامرا، والأمل أن ييسر الله من أهل الخير والصلاح من يقوم بترميمه. وللمسجد وقف حكاه في المسودة وله حائط أيضا خاص به.

وممن اشتهر بالعبادة فيه والتدريس:

القاضي العلامة الفاضل الحاكم المتحري صفي الدين **أحمد بن علي بن يحيى** بن علي بن صلاح بن إبراهيم بن محمد بن قاسم مشحم بالفتح ثم السكون اليمني الصعدي المتوفى بها شهر شوال سنة 1292 اثنتين وتسعين ومائتين وألف، وهو كبير علماء مدينة صعدة في أيامه، تولى القضاء بها لإمام زمانه الإمام **أحمد بن هاشم**، ثم للإمام المتوكل **المحسن بن أحمد الشهاري**، وله ترجمة مستوفاة في كتابنا عن التراجم، وممن قرأ عليه في المسجد المذكور عدة من العلماء منهم الفقيه العلامة الفاضل **محمد بن صلاح مشحم** المتوفى بعد سنة 1290هـ وغيره.

ويوجد في صرح حجرة المسجد جنب جدار المسجد الجنوبي قبران:

أحدهما للفقيه **أسعد بن يحيى بن سعد الزيدي**، والآخر: للفاضل **دهمش بن أسعد القنبري** توفي كما في شاهد ضريحه سنة 960هـ، وهو من القنابرة محلة في وادي علاف غربي صعدة. ويوجد قبران آخران في مؤخرة الحجرة، وهما لشهيدين قتلا في حرب صعدة الأخيرة، وللحصار المطبق في تلك الحرب دفنا في هذا المكان.

مسجد العلابي

من المساجد الدارسة بمدينة صعدة، ورد ذكره في إحدى بصائر الوقف قال في تلك البصيرة المؤرخة شهر القعدة سنة 1075 وأعلاها علامة القاضي العلامة حاكم المسلمين **عبد الله بن يحيى الفهد** وفيها ما لفظه: «حضر **محمد بن صالح بن جمعان الوادعي** فأقر إقرارا صحيحاً شرعياً أنه تقرب إلى الله تقربة لله وفي سبيله وابتغاء مرضاته بنصف الجربة الحرث التي له وفي ملكه وتحت يده المسماه الشعبة المعروفة بمزارع آل جمعان بوطن الخارجة وأعمال صعدة شايعا في جملتها غير مقسوم، وجعل ذلك للمسجد المعروف بمسجد العلاني المعروف بشارع القاضي بأسفل مدينة صعدة» الخ.

قلت: فالظاهر من هذا الكلام أن المسجد المذكور كان معمورا في حارة السفال أو قريبا من شيبان، وقد ذكر المؤرخ **ابن أبي الرجال** وهو يترجم للسيد المولى شرف الإسلام **الحسن بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد** شيخ القرآن العلابي، وهو الفقيه العلامة المقرئ **يحيى بن محمد العلابي**، وكان موجودا على قيد الحياة سنة 1066هـ، فيحقق في نسبة المسجد إلى من تكون، فلعلها إليه والله أعلم.

مسجد علِيّان

من المساجد العامرة في حارة عليان شمال صعدة بالقرب من باب نجران.

واطلعت في أرشيف الوقف أن عامره في القرن الثامن الهجري، هو الفقيه الطاهر بدر الدين **محمد بن أحمد بن قاسم بن عليان الطنجي**، حكى ذلك في وقفية للفقيه المذكور رحمه الله في بلاد خيوان على المسجد المذكور، مؤرخها فتح العشر الأولى من شهر شعبان من سنة 767 سبع وستين وسبعمائة. وللمسجد المذكور أوقاف في صعدة أيضا حكتها مسودة الأوقاف، منها (بير قعصة وضيعتها) وجميع ما تشتمل عليه، وهي من مزارع رحبان، وقد أشار إلى ذلك القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته فقال: «هلا اعتبرت بجامعي المهجور، وسراجي فنجال مكسور، على أن لي من المال أوفر حصة، ويكفيني من مزارع رحبان بير قعصة».

وكان المسجد صغيرا فجرت له توسعة قام بها الأهالي بالتعاون مع الوقف سنة 1399هـ وللعلامة المحقق سيدنا **يحيى بن حسين سهيل** مؤرخا تلك التوسعة هذه الأبيات:

سائل عليان من أرسى قواعده ... وأس بنيانه بالصَلْد والعُمُد
يقول: قوم سعوا في كل مكرمة ... شادوا عمارته بالعد والعدد
أنعم بقوم له جادوا بأنفسهم ... وقدموا مالهم للواحد الأحد
يرجون مغفرة يوم الوقوف على ... كشف السرائر عند الدائم الأبد
هذا وقد قيل أرخه فقلت لهم ... سبحان باري البرايا الواحد الصمد
تاريخه فاعلمن في شهر صومهم: ... ربي فبُحْ لهم فضلاً بلا عدد

وكان هذا التاريخ مكتوباً في لوح رخامي في مقدمة المسجد، وقد جددت عمارة المسجد بعد ذلك في أيامنا بعد أن هدم إلى القرار، وبنيت له صومعة بالياجور وملاحق. وفي إبان حرب صعدة إحدى شهور سنة 1428هـ تعرض المسجد للضرر، وخربت مأذنته بفعل الأيدي الآثمة الغاشمة.

***

قلت: وآل عليان الذي ينسب إليهم المسجد والحارة حارة عليان هم من بيوت صعدة، وكان لهم حضور في القرن الثامن الهجري كسائر بيوت صعدة آل الهبي وآل الطاهر، وآل الطاي وآل النزاري، وغيرهم ممن قاموا بالإعانة للإمام العابد المهدي لدين الله **علي بن محمد** وغيره من الأئمة، قال في كتاب **مآثر الأبرار** للمؤرخ **ابن فند الصعدي** ما لفظه: «لما كثرت الفتن وعظمت المحن في أول دولة الإمام المهدي **علي بن محمد** (أي في عشر الخمسين وسبعمائة) داخل أهل صعدة فتور وملل، وادعى بعضهم على بعض أنه لم ينفق على قدر حاله وماله، فانضربت أمور العسكر، وانقطع عنهم بعض ما يحتاجونه لأنفسهم وبهائمهم، فاشتغل خاطر الإمام، ولم يتمكن مما يقيم العسكر، فعوّل على القاضي جمال الدين **علي بن محمد بن هبة الدواري** أن ينشئ قصيدة يحرض الناس على الجهاد في سبيل الله، ويحثهم على الإنفاق، فأنشأ قصيدة، وأنشدها في محفل من كبار أهل صعدة، وكبرائهم ورؤسائهم، فبكى عند سماعها جماعة من القوم حتى اخضلت لحاهم، وتعاقدوا في ذلك الوقت، وتعاهدوا عنده على بذل الأموال والأرواح بين يدي إمامهم، وعلى الصبر على الجهاد في سبيل الله حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده، وجعلوا ما يحتاجون إليه من ذلك على عشرة مقاسم، وألزموا أنفسهم في ذلك مائة ألف درهم، فحمل الفقهاء آل **علي بن حسن الهبي** النصف خمسين ألف درهم، وحمل علي بن موسى بن جميع الطاي وآل النزاري وآل عليان عشرة آلاف درهم، وحمل أهل درب الإمام والفقيه قاسم بن قرة عشرة آلاف درهم، وحمل آل فِنْد وآل الطاهر وآل الذويد عشرين ألف درهم، وحمل آل غليس ومن في جانبهم من الحدادين عشرة الآف درهم، وعلى أنهم إذا نجحت المائة الألف أخرجوا بعدها مائة ألف، على هذه المقاسم، وتراضى القوم بذلك، ووطّنوا أنفسهم عليه طالت الفتنة أم قصرت، وهذه القصيدة المذكورة:

سرى همه ليلاً وهمُّ الفتى يسري فأمسى نجياً للوساوس والفكر

وأرقــه خطــب عظــيم مــؤرق لمــن كــان ذا ديــن وذا حســب غمــر
تخاذل أهـل الـدين عـن نصـر ديـنهم وأجمـع أهـل المنكـرات عـلى النكـر
وشــدتهم في النائبــات وصــبرهم على البؤس والضــراء والقتـل والأسر
عــلى قلــةٍ في مــالهم ورجــالهم وكثـرة أهـل الـدين في الـبر والبحـر
فقـد أظهـروا تيهـاً عـلى كـل مسـلم وعُجباً عـلى عجـبٍ وكـبرا عـلى كـبر
فلله مـا في القـلب مـن لوعـة الأسى ومـن حرقـة بـين الجـوانح والصـدر
فــأين حــماة الــدين مــن آل أحمــد وشـيعتهم أهـل الفضـائل والـذكر
وأيـن ليـوث الحـرب مـن آل حيـدرة وأبنـاء قحطـان الجحاجحـة الزهـر
وأيـن رجـال الصـبر مـن كـل عابـد ومـن بطـل شـهم ومـن عـالم حـبر
وأيـن ذوو الإفضـال والجـود والسـخا طلابـاً لوجـه الله في السـر والجهـر
وأيــن الكــرام المنفقــون تضــرعاً لكسـب المعـالي والمحامـد والـذكر
ألا بــايع في طاعــة الله نفســه فيـذهب بالسـبق المكـرم والفخـر
ألا آخـذ مـن مالـه سـهم نفسـه فيحـرزه مـن قبـل حادثـة الـدهر
ألا خــائف مــن لفحــة الله راهبــاً لنــار تلظــى بالشــرار وبــالجمر
ألا راغــب في رحمــة الله طالبــا جنانـاً مـن اليـاقوت والقضـب الـدر
ألا بــايع دار الغــرور بجنــة روائحهـا تسـري وأنهارهـا تجـري
ألا شــارياً ملكــاً كبــيرا ونعمــة بعـيش حقـير لا يسـوغ ولا يمـري
قصــورا وولــداناً وحــورا نواعمًــا معرضــة للبيــع بــالثمن النــزر
فيـا معشـر الإسـلام مـالي أراكـم غفولا عن الفضل المضـاعف والأجـر
ألم يــأن أن تســتيقظوا عــن منــامكم فقد بان جنح الليـل عـن شـفق الفجـر
وأن تســتجيبوا داعــي الله إذ دعــا وأسـمع ذا سـمع ومـن كـان ذا وقـر
ألم تسـمعوا مـا جـاء في الكتـب واردا عن المصطفى المختار من ولـد النضـر
ألم تسمعوا مـا جـاء في الكتـب والـذي تـولى فـراراً عـن وعيـد وعـن زجـر

كـــأنكم لم تخـــبروا عـــن نبـــيكم ... ولم تقـرأوا مـا جـاء في محكـم الـذكر
أمنـــتم عقـــاب المـــذنبين جهالـــة ... إلى أن خشـيتم مثـل راغيـة البكـر
ألـيس إمـام الحـق بـين ظهـوركم ... ينـادي ويـدعو بالجهـاد وبـالنفر
أفي فضـــله شـــك أفيـــه تـــردد؟ ... فمن شك فيه شك في الشـمس والبـدر
أفي عصـــرنا قـد كـان أو هـو كـائن ... نظـير لـه في العلـم والحلـم والصـبر
عكفـتم عـلى دنيـاكم وإمـامُكم ... يجاهـد أربـاب الضـلالة والكفـر
حراصًـا عـلى أزواجكـم وحطـامكم، ... شحاحاً وشح النفس من أعظـم الـوزر
خلا عصبة مـن أهـل صـعدة صـابروا ... على البؤس والضـراء في العسـر واليسـر
ليـوث تبـاري بالصـوارم والقنـا ... بحـور تطـامي بـاللجين وبـالتبر
تـواصوا على نصـر الإمـام وجاهـدوا ... على الدين واختاروا الوفـاء عـلى الغـدر
فيهنـيهم مـا أحـرزوا مـن فضـيلة ... ومـن شرف يعلـو عـلى قمـة النسـر
فهـلا سـعيتم سـعيهم ونفـرتم ... إلى نصـره بالمرهفـات وبالسـمر
أفي الشـرع أن يـدعوكم وتثـاقلوا ... وتستأخروا مـن غـير شـغل ولا عـذر
أفي الـدين أن يصـلى الأمـور بنفسـه ... وحيـدا ومـا مـنكم معـين عـلى الأمـر
وأن تبخلـوا بالمـال عنـه وقـد سـخى ... بمهجتـه والـروح أغـلى مـن الـوفر
أنيـوا أنيـوا قبـل أن تمطـر السـما ... علـيكم بـأنواع المصـائب والفقـر
وينتـزع الأرواح والمـال عـنكم ... علانيـة مـن غـير شـكر ولا أجـر
بخلـتم عـلى الله الكـريم بفضـله ... علـيكم ولم تجـزوا بحمـد ولا شـكر
وآثـرتم الـدنيا وعاجـل نفعهـا ... عـلى جنـة المـأوى فيـا بيعـة الخسـر
وأحببـتم دنيـاكم ونسـاءكم ... عـلى الله مـولاكم فيـا لـك مـن وزر
كـأن لكـم أرواحكـم في حيـاتكم ... وأرزاقكـم مـن عنـد أنفسـكم تجـري
ألا لا ولكـن شـح نفـس نهـاكم ... وقـد جفـت الأقـلام بـالرزق والعمـر
ألم تعلمـوا كـم مـن صـحيح مـنعم ... أتتـه المنايـا بغتـة وهـو لا يـدري

وكـــم كـــادح في ليلـــه ونهـــاره يريـد الغنـى والفقـر في سـيره يجـري
فهـل تائـب مـن ذنبـه ومراجـع إلى ربـه قبـل المصـير إلى القـبر
ومـذّكرٌ يـوم الحسـاب وهولـه وموقـف عـدل في القيامـة والحشـر
فـذو العـرش. إمـا تخـذلوه. يمـده عـلى عجـلٍ بـالفتح منـه وبالنصـر
ولو كـان سـيف ينصـر الـدين واحـدٌ لـقمت بسـيفي لابسـاً حلـة الصـبر
ولـو كنـت ذا مـال لأنفقـت فضـله وصـدق فعـلي مـا تضـمنه شـعري
فجـردت مـن غمـد القـوافي صـوارماً أحـد مـن البـيض المهنـدة البـتر
ودونكـم مـن فضـل قـولي مواعظـاً ومـن لم يجـد مـاءً تـيمم بـالعفر

وناظم هذه القصيدة هو الفقيه العلامة **علي بن محمد بن هبة الدواري**، ترجم له في **مطلع البدور** وغيره، وهو أحد أجلاء علماء مدينة صعدة وفضلائها وأدبائها في القرن الثامن الهجري، وهو الذي عناه صاحب المقامة الفائقة المسماة (**الرسالة الناصرة للدين الحنيف الرادعة للمزهدين للناس في اكتساب العلم الشريف**) وقد وقفت على هذه المقامة في إحدى المجاميع المخطوطة، والعجب كل العجب أن مؤلفها لعله الفقيه **علي بن محمد الينبعي** حررها في أيام ينعقد الإجماع على أنها كانت بالعلماء الأعلام المحققين زاهية، وبمحافل العلم والتدريس غرة في جبين الدهر سنية باهية، فكيف به لو شاهد عصرنا، فكأن عباراته في رسالته المذكورة ما عنت إلا أحوالنا وأيامنا هذه، لذلك حَسُن إيرادها في هذا الموضع لأجل تلك المناسبة، ولأن موضوعها مما له صلة بالمساجد الصعدية، والله حسبي وكفى.

(استطراد الرسالة الناصرة في اكتساب العلم الشريف)

الحمد لله الذي فتق طِرْمِسَ الجهالة بضياء علمه، ورتَق ما فتقه أهل الضلالة بجميل حلمه، الذي نشر مطارف العدل على عباده فلم يَجُر في حكمه، وبيّن لهم كل شيء في محكم كتابه وجوامع كلمه، أحمده على ما أنقذنا به من لجة الغباوة، وأعوذ بألطافه الخفية من غلبة الشقاوة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عدلي موحد، غير جبري وملحد، وأشهد أن **محمدا** صلى الله عليه وآله وسلم رسوله

إلى الثقلين، وأنه بري من المين، وأشهد أنه لم يأل نصحاً لهذه الأمة، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرأفة والرحمة، شرّف الله بنيانه في عليين، وشفعه في أوليائه من الملليين أما بعد: فإني لما تفكرت في دروس العلم وانقراضه، وتقلص ظله السابغ وانقباضه، وتصوّع أنهاره ويبس حياضه، وذبول أنهاره وجفاف رياضه، أنْعمت النظر في السبب الموجب لذلك، وسرّحت لحاظ التفكر في مظان المسالك، فلا والله ما أدركَ ذلك السبب الموجب لذلك فهمي، ولا أحله بتحقيقه علمي، حتى ورد كتاب من بعض الإخوان من أعيان السادة، وأرباب العلم والعبادة، ممن آثر الرتبة الفاخرة، وخرج من رحب الدنيا إلى الآخرة، وهو يعرّض ولا يصرح، ويشير كما يشير الملوح: بأن اعتزال المدارس في زماننا أجدر، وأن التارك لطلب العلم في أيامنا يُعذر، وأن مَنْ رزق في هذه الدنيا علماً غير مغبوط ولا محسود، ومن أوتي فضل حكمة فغير محظوظ ولا مجدود، لإمور حادثة، وخطوب كارثة، وألسنة عابثة، وأفئدة عايثة. فنبهني ذلك الكتاب الواصل من ذلك الصديق المواصل، على طرفٍ مما حك في صدري، ونبذةٍ مما عِيْل له صبري، وعلمتُ عنه: أن الصادف لجميع الرواد، والصارف لهم عن الجد والاجتهاد، وعن مجاثاة الجهابذة النقاد، هو مثل هذا الاعتقاد، مع ما ظهر في الأرض من الفساد. ثم لم ألبث بعد ورود قِطه، وتلاوة خطه، إلا ريثما يصدر الوارد، ويؤوب الرائد، حتى وافقني القاضي جمال الدين بقية العلماء الراشدين الهموس الضاري والزناد الواري **علي بن محمد بن هبة الدواري** وهو ابن بجدتها، ووراث نجدتها، والمصقع المهذب المحنك، وجذيلها المرجب المحكك، فما عنّد أن صرح بمثل إشارة السيد، وأطلق في ذلك ولم يقيد، إلا أنهما لم يتفقا في العلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. لأن معنى كلام القاضي مد الله مدته، وحرس مهجته: أن العلم إذا لم يكبّره الكبراء، ولم يحتفل بأمره الأمراء، ولم يرفع له الرؤساء رأسا ولا رأوا باطّراحه بأسا، بل نسجوا خزائنه بالمناكب وجعلوا أحباره كقدح الراكب، لا يسألون عن أحوالهم، ولا يشرئِبْون إلى أقوالهم، واكتفوا بمشايعتهم وبشاشتهم، ومكاشرتهم ومعاشرتهم، ومشاورتهم ومحاورتهم، وتلطفهم وتعطفهم، ومناصفاتهم ومصافاتهم، من ثقل كيسه، وكثرت فلوسه، وفاخر بطريفه وتليده، وكاثر بحفدته وعبيده، فحينئذ ينبغي أن يضرب عن دقائقه، ولا يبالغ في تلخيص حقائقه، ولا يشيق المرء على قَرونته، ولا يتكلف مؤنته، بل يرفّه على نفسه،

ويسهل في حفظه ودرسه، إذا كان المصغر لشأنه حملته، والمحتقر لبطلانه خزنته. فلما سمعت كلامه، وتبينت اضطرامه، اعتراني شبه التشكيك، وقلت: هاتا أكبر من تيك، فطفقت أتامل ما ذكراه، وأتدبر ما أداراه، فأجلت الفكر هنيهة، ولبثت على ذلك بريهة:

أقلبهـــا ظهـــر الـــبطن ولا أرى دواء لـداء الجـاهلين سـوى العلـم
فكـــل شـــفاء غـــيره فهـــو علـــة وكـل نصـيف دونـه فهـو كـالظلم

ثم استعنت بالله على إنشاء هذه الرسالة الوجيزة، واعتمدت فيها على مجرد الغريزة، ولم أتعرض فيها لآي الكتاب، هرباً من الاسهاب والاطناب، ولا أودعتها من غرائب الآثار، فرقاً من الإملال والاكثار، بل ضمنتها ما سنح، وجنبتها ما نزح. على أن العقل والسمع والقياس والاجماع والاجتهاد وخبر الآحاد، كل منها يشهد بصدق هذه المقالة، ويؤيد ما صدعت به هذه الرسالة، ثم إني سأفهرسها بما يجانسها، وأعنونها مما يعد منها، فإما تحس من كأسها حَذُقت وكِسْت، فانظم سلوسها في ثقب سمعك حُرِسْت.

أعلم يا أخي أصلحك الله وأرشدك، وهداك إلى الحق وأيدك: أن هذا العلم لا يناله كل أحد، ولا تقبض عليه كل يد، ولا يحسو دَرّه من كانت سجيته الملل، ولا يبلغ سره من آثر النهل على العلل، ولا يجني ثماره إلا الأكياس، ولا يقطف أزهاره إلا دهاة الناس، وذلك أنه أسلس قياده، وجرد اجتهاده، وأجرى في ميدان الرغبة جواده، وجعل نهمته في كلمة يستفيدها، وعلو همته بحكمةٍ يستزيدها، من غير أن يلوي على وطن، ولا يحن على عطن، ولا يحزن من قائل: هو غريب، ولا يحتفل ببعيد ولا قريب، ولا يبادر بالأوبة عن الأنهار العذبة، وإن استطال غيبته واستبطى أوبته، حتى يقضي فيها إربته، ويملأ من تفاحها قربته، شعرا:

هنـــاك يصـــفو لا محالـــة عيشـــه ويظفـــر مـــن أيامـــه بمـــراده
ويحـــرز أجـــرا دونـــه أجـــر عابـــد عـلى صـخرة في شـاهق لاجتهـاده

وأما ما أشار إليه السيد خلد الله سلطانه، وثبت جنانه؛ من الشوائب الموجبة له من التألم، وترك التعليم والنوائب المقتضية للتظلم، ونبذ التحلم، فتلك الأمور لا تخلو إما أن تكون من المدرسين، أو المتدرسين، أو من قبيل غيرهم من المتحسسين. فإن كان من قبيل أعلام المدارس وأقمار المجالس، فليس إلا أن يتوهم من أحدهم عدم

الالتفات في بعض الأوقات، أو تبرم بسؤال السائل في بعض المسائل أو ترك التدرس في بعض الأيام لعذر، أو يتشكك عن الجواب في مسألة بعينها لأمر. وإن كان من قبيل الطلبة المسترشدين، الذين خرجوا من أوطانهم متجردين لإحياء الدين، فليس إلا ما يظن بهم من المماراة عند المجاراه، أو يعرض من نبذ المداراه حال المباراه. وإن كان من قبل الثالث من الأصناف، فلا جرم أنه قلّ الانصاف، وكثر الاستخفاف والتأفف بأهل هذا الشأن، ورشق أعراضهم بسهام البهتان، بيد أني لا أقبل مثل هذه الأعذار فما زاد عليها، ولا أرد من هرب إلا إليها، إذ كان يهون في بذل اقتباس العلم بذل الحشاشات[42]، فضلا عن اعتراض مثل هذه الهنات. على أن أمور العلماء والمتعلمين، وأحوال الفقهاء منهم والمتكلمين، محمولة على كاهل السلامة مع الإمكان، مفتقر شئونها لقديم حرمتها كائنا من كان، وينبغي أن يؤكل غثهم في جنب السمين، وأن يلبس رثهم في ضمن القشيب الثمين:

فإنـــك إن طلبـــت أخـــاً خليـــاً ... من العثرات ضـاق بـك الفضـاء
وأبـت وقد طويت الكشح يأساً ... وزال الشـــك وانقطـــع الرجـــاء
ولـــو أمعنـــت في بـــر وبحـــر ... لتطلبـــه وســـار بـــك الهـــواء
وقـد عُلّمـت زجـر الطـير حتـى ... فهمـت بـه وسـاعدك القضـاء
ولم تغـض الجفـون عـلى قـذاها ... وتخفيـــه أضرّ بـــك القـــذاء
وفي الآثـــار مـــا يقضـــي بهـــذا ... فلـــو دونتـــه بـــرح الخفـــاء
ولكن قـد شرطت لك اختصـارا ... وشنشـــتني وشـــيمتي الوفـــاء
فحسـبك مـا أتـاك بـه ارتجـالي ... ففيـه لصـاحب الغـل الشـفاء

وأعلم يا أخي وفق الله حالك، واخضب رحالك: أن جهال الناس لا يعبأ بمقالتهم، ولا يحتفل بجهالاتهم، ولا يلتفت إلى شنيعهم، ولا يبال بقبح صنيعهم، ومن سِمْت العاقل أن يعرض عنهم إذا عابوه، وأن لا يغتابهم إذا اغتابوه، بل يطرحهم إطراح القلامة لحقارتهم، ويحمد الله على سلامته من آفاتهم، فإن الله تعالى مدح قوماً في كتابه إكراما، ونوه بذكرهم إجلالا لهم فقال على لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله

(42) الحشاشات جمع حشاشة بالضم وهي روح القلب.

إيذانا لهم وإعلاما: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[43]. ومن محاسن ما فتق رتق سمعي من أجوبة العلماء وإشارات الحكماء جواب لقمان الحكمة لضعيف الهمة، حين رأى الناس مُحْدقين عليه، ومُحدّقين إليه، يلتقطون من فرائده، ويقتنصون شرائد فوائده، ويغنمون التقبيل على يده، فأدرك عدو الحكمة الحسد، وأحرق أحشاءه شهاب الكمد، فقال مريدا لنقصه عليه السلام، وقاصدا لوضعه بين الأنام: ألست لقمان عبد آل فلان، الذي كنت ترعى لهم الحمر في الكثبان؟ فقال: بلى، أنا ذلك الإنسان، قال: فما الذي بلغ بك هذه المنزلة الرفيعة، حتى صار لك أنصارا وشيعة، قال: يا هذا إن من ديدني وديني، تركي لما لا يعنيني.

فصارت نادرة على ذلك الجاهل، يضحك عليه بها في المحافل.

فاعلم يا أخي أن من ترك ما لا يعنيه اشتغل بما يعنيه، ومن اشتغل بما يعنيه اجتمع له ما يغنيه، ولو كان صاحب كل همة أو طالب لحكمة، إذا عنّ لهما تبلبل باله من بعض أهل الجهالة، أو سنح له ما يضيق أخلاقه، ممن يتسم بالحماقة، أو يعرض له ما يحرج صدره، ممن لا يعرف قدره، أو تصدى له ما يقذي موقه، من بعض أحماق السوقة، أعرض بكليته عن رياض العلم الأنيقه، وسلك لأجل تعلته غير هذه الطريقة، ورفض معالم العلم رأسا، ولم يعبّ لسلافه كأسا، إذاً لدرست مدارس الأدب، ولتساوت في الفهاهة الرتب، والتبس العالم بالجاهل، واشتبه الكيّس بالواهل، وفشى في الناس العقوق، وضاعت الأملاك والحقوق، وتعطلت قوانين الشرائع، واضطربت أحوال الشاري والبائع، ورجعوا إلى أحكام الجاهلية، وشملتهم وأبيك هذه البلية، حتى تجدهم قد شدوا أوساطهم، ليسلكوا ملطاطهم، وتجلببوا جثثهم ليركبوا أستتهم، شعرا:

ولكنّ في أبناء نوح وآدم ... بقية ناس فيهم العلم والحلمُ
شناخيب أمثال الأوآي ملاوث ... صناديدٌ هجيراهم العزم والحزمُ
يحامون عن دين الإله بسالة ... ولو مسهم في كل جارحة كلمُ
إذا سمعوا ما يكرهون تسامحوا ... كأن الهوامز دون آذانهم ختمُ
بهم يستقيم الدين لا بسواهم ... ويعرف هذا العلم والقدر والحتمُ

وأعلم يا أخي توجك الله بتاج العلم، وأفرغ عليك سربال الحكم: أن الدنيا إذا

(43) سورة الفرقان: ٦٣.

كانت لنا الصراط القصير، والآخرة لا شك هي الموئل والمصير، وقد علمتَ أن من انتظم في سلك الرفاق إلى بعض الآفاق، ثم إلتاطت بهم كثرة الإشفاق من معرة السرّاق، حتى ألجاهم خريتهم المزؤد إلى عقبة كؤود، ودلهم دليلهم المفؤد إلى الهبوط والصعود، فإنّ العلم النبيل، إذا وقع في مثل هذا القبيل، (يُسْهِل) للعزيز والذليل حتى يتسنى له السبيل، ويفضي للهامز واللامز، ويسمع للواهز واللاهز، ولا يتضجر من الدث والدع[44]، ولا يرد على الشاتم ولو أقذع، بل يسلك منهجه ومدرجه، ليتحصل مخلصه ومخرجه. فإذا كان هذا معلوم من العقلاء، ومعروف من أحوال الفضلاء، في أعراض الدنيا الحقيرة، وأغراضها اليسيرة، وتجاراتها البايرة، ولباناتها الصايرة، فالعلم الذي هو أنفس صنائع الآخرة، بل هو السبب الموصل إلى زينتها الفاخرة، أحق بأن يصبر على طلبه، وأولى بأن لا ينفر من مشقته وتعبه، وأجدر بأن يحتمل شوائبه لأجل عجائبه، وأحق أن يستقل نوائبه لبديع غرائبه، وأحجى أن يحسى ذعافه لحلاوة سلافه، وأحجى أن يخضم حذرافه لمحاسن أوصافه، شعرا:

فلسعُ النّوب محتملٌ ... لأجل حلاوة الضربِ
وبأْوُ الغيد مغتفرٌ ... لطيب ضرائب الشنب
وشوك النخل مطرح ... مع الخلفان والرطب
وموج البحر تركبه ... على الأعواد للأرب
وكم دون الشفا سقم ... وهل برء بلا وصب
وكم من حافر جبلاً ... يريد سبائك الذهب
وغوّاص لجوهرة ... وقد أشفى على العطب
وما شيء له خطر ... ينال بغير ذي نصب

فعليك أيها الطالب للعلوم الدينية، الراغب في إرشاد هذه البرية، بتحرير النية، والصبر على كل بلية، ولو ألجيت إلى افتراش المدر، وتوسد الحجر، واقتيات الشجر، والتنقل في الهِجَر، فإن من كان على العلم حريصا، وأحب أن يتخذ منه قميصا، ويلخص دقائقه تلخيصا، لم يزل ضامر البطن خميصا. ومن كثرت مآكله، واسترخت شواكله، وتأنق في المطاعم السنية، ونافس في هذه الدنيا الدنية، أضرب عن المعاد،

(44) الدث: الضرب المؤلم، والدع: معروف الدفع بقوة.

وغفل عن الاستعداد، وأهمل تحصيل الزاد، فلا أفاد ولا استفاد. وأنى ذلك، وكيف يتصل إلى ما هنالك، وقد ذهبت الكظة بفطنته، وأعرض عن التفهم لبطنته، ولهى عن تنقيح الفائدة بترقيح المائدة، وعن تقييد المعاني بتشيد المغاني، شعرا:

أيظفر بالقدح المعلى من العلا ... وليس إلى العليا يروح ولا يغدو

وقد جعل الدنيا الدنية حظه ... فمشربه صافٍ ومطعمه رغد

لقد شط عن ذاك النصيب ضراره ... ولكن سنيح أو مبيح أو الوغد

وأما ما صرح به القاضي الافق، والدهتم الموفق من تصغير الناس للعلم وتعليله، وإعراضهم عن تعظيمه وتجليله، سيما أرباب الرياسة، ومن ينطق بهم السياسية، فلعمري لقد أصاب المناصل فطبق المفاصل، واخترط القواصل فلم تخط الحواصل، ولقد نطق بما أدركناه عيانا، وقبلناه عرفانا، وشاهدناه في أهل زماننا، وتحققناه من الأكثر في أيامنا، خلا أن القاضي أصلح الله شأنه ولا شانه، وألبسه تيجان العلم وقمصانه وصانه، ما عتّم أن دعوا فأجاب وهتك الحجاب، ولم يسلك من الشعاب إلا اللقم الذي عاب، لأنه جعل الذي نسبه إليهم، وادعاه عليهم، وتحققه منهم، وأخبر به عنهم، وسيلة إلى تركيب حجتهم بإرتكاب محجتهم، وسلماً إلى تطرق طريقهم، والحلول في بحبوبة فريقهم، وما أخاله إلا متغافلا لبعض الأسباب، ومستقبحا منا لمثل هذا الباب، وإلا فأي عذر له فيما يقول، وأي حجة تتلقاه بالقبول، فقد تقرر في ألباب ذوي العقول حسن طلب العلم قبل إيجاب الرسول، ثم إنه قد صرح في أثناء الكَلام ما يأسو مثل هذا الكِلام، وتقدم في أيام الحمام ما يغني عن تصفيح الحمام، حيث حصلت منا الإشارة إلى أن العلم لا يراد به إلا حسن شارة، ورقمنا عنوان الأمارة، على أن المقصود به غير الأمارة، لأن العلماء لم يبذلوا في تحصيله حشاشات المهج، وفي إحراز تعليله الأحقاب والحجج، ويصبروا على ما يلقونه من المشقة والحرج، إلا ما يرجونه عند الله من الروح والفرج. فأي ضير عليهم إذا هذبوا أخلاقهم، وراقبوا خلاقهم، وتحلوا بمحاسن أدابهم، وتخلو لعبادة من هو أولى بهم، ثم نكب الناس على إظلامهم، ورغبوا عن خلاقهم وإعظامهم، وأنفوا من قصدهم إلى مصانعهم، فلم يعظموهم لتعظيم صنعائهم، ومالوا عن تعهدهم في أفدانهم، ولم يتمسحوا بدلائل أردانهم إما حسدا منهم على تحقيقهم وتدقيقهم، أو جهلا مفرطا لِكُنْه مقادير حقوقهم. فأما الحاسد فمسئول عن حسده، ومغلول في جنانه وجسده، وأما الجاهل فغير معذور في جهله، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، فأي نقص على العالم الأديب، أم أي نحس

على الحبر اللبيب شعرا:

إذا لم تسأل الكبراء عنه ولم ترفع به الأمراء رأسا
ولا حلوا الحُبى لما رأوه ولا قاموا المقدمه احتراسا
ومالوا عن كرامته احتقارا وصدّوا عن تحيته شماسا
وظنوا في إهانته علوا وما ظنوا بما فعلوه بأسا
فقد غلطوا وما لبسوا لباسا أذل من الذي لبسوا لباسا
فإن قالوا علمنا ما فعلنا ولم نختره حدسا وإلتماسا
فهل علموا الذي عملوه عقلا وشرعا واجتهادا أو قياسا
معاذ الله ما فيهم عذير فيقتبسوه منهن اقتباسا
ولكن حين لم يجدوا جوابا وغاب الرشد والتبس إلتباسا
بنوا ما شيدوه بلا أساس ولو اسّوا لخربت الأساسا

ولا شك أن من لم يعرف الفضلاء بأوصافهم، ولم ينصف ورثة الأنبياء حق إنصافهم، فليس بكثير في نفس الأمر، وإن ملك أزمة النهي والأمر، لأنه فيما روته الصحابة: من جهل شيئا عابه، وفيما دونوه عن أمير المؤمنين ونقلوه: الناس أعداء ما جهلوه، والأخبار في هذا أكثر مما تحصى، والآثار فيه أدثر من أن تستقصى، ورغبتنا في الإقتصار، وميلنا إلى الإختصار، إلا أني سأفهم أغفالها، وافتح لك أقفالها، وأفوف سربالها، وأكفكف أذيالها، بأبيات لبعض المتدرسين[45] على حرف السين، فقد تضمنت كثيرا من معانيها، وكادت في علو المنزلة أن تدانيها وهي:

لأصبرن على الضراء والبؤس ولا حفلت بمطعوم وملبوس
ولا برحت بكسب العلم ذا شغف أروض حوباي في درس وتدريس
وكيف أرغب في مال أثمره واستهم بمزروع ومغروس
وأشغل النفس بالدينا وزينتها وثروة الكيس تغنني عن الكيس

(45) تنسب القصيدة للفقيه علي بن محمد الينبعي كما وقفت عليه في عدة مجاميع.

لا أسال الناس إلحافا ولـو صـفرت كفـي ولسـت شـبيها بالمفـاليس
لقـد غنيـت بكنـز لا نفـاد لـه مـا بـين فكـر وتسـبيح وتقـديس
فـلا يـراني الأمـير الليـل أطرقـه وكيـف أرضى بأفعـال الجواسـيس
ولا أقبـل يومـا للـوزير يـدا إذاً أكـون كضـرّاب النـواقيس
فلـو جبيـت غنـى قـارون في كنفـي إيوان كسـرى وتحتـي عـرش بلقـيس
وقيـل لي خـلّ هـذا العلـم مطرحـا ومـا يضـرك مـن نبـذ الكـراريس
لمـا رضـيت بـما قـالوه مـن غلـط وكـل صـاحب علـم غـير منحـوس
الجهـل يوحشـني والعلـم يؤنسـني لا أبـدل الـنفس إيحاشـا بتأنيسـي
تتـوق نفسـي إلى تـلخيص مسـألة مـن البـديع كتلمـيح وتجنـيس
أو الـروي كـردف منـه أوصـله إلى خـروج وتوجيـه وتأسـيس
ولا تتـوق إلى شـاء ولا نعـم ويـاقر فيـه أو شـاء الجـواميس
فقـل لمـن علقـت بـالعلم همتـه مـن الأحبـة أربـاب المـداريس
عليـك بالصـبر فـالعقبى لصـاحبه ولـو بليـت بكيـد منـه مدسـوس
فـآدم وهـو خـير النـاس كلهـم بـلي بـأرذل خلـق الله إبلـيس
وكـاد فرعـون موسـى واسـتقام لـه محـاذرا غـب تقريـب وتـأنيس
وقـد علمـت بتأليـب اليهـود عـلى عيسـى وكـل حـواري وقسـيس
إذ يرفـع الله ذاك الـروح تكرمـة وقاصّـهم فيـه تدليسـا بتـدليس
وفي نبيـك لـو فكـرت معتـبر إذ حـل بـين الشـياطين الأبـاليس
فكـذبوه وقـالوا مـا علمـت بـه مـن كـاهن سـاحر غـاو وممسـوس
وكـم أعـد مـن الأمثـال فـارض بـما ذكرتـه مـن أولاك السـادة الشـوس
ومـن أعاجيـب مـا جـاء الزمـان بـه والـدهر مغـرى بتنكيـد وتعكـيس

إلصـــاق جثـــة هـــارون الرشـــيد إلى علي بن موسى الرضا بالرمس في طـوس
هيهـات مـا كـان يرضـاه الإمـام لـه مجـاورا وهـو حـي غـير مرمـوس
وإنـــما قضـــت الأيـــام حاكمـــة بـذاك مـن جملـة البأسـاء والبـؤس
فشـارك النـاس في علـم وفي أدب ولا تحـل بربـع غـير مـأنوس
وعـاطهم بأبـاريق الوصـال معـا صـفوا بصـفو وملبوسـا بملبـوس
وألـق الخلـيط بـأخلاق تقيـك بهـا بشـرا ببشـر وتعبيسـا بتعبـيس
وأي فخـر عـلى الـدنيا لمعتـزل لم يدر مـا الفـرق بـين العَـيْس والعِـيْس
فخذ نصيبك مـن عـز الكـرام ومـل إلى العلـوم بقلـب غـير مـألوس
ومـا عليـك إذا لم تـرق مرتبتـي أبي حنيفـة والحـبر ابـن إدريـس
كن عين جيلك أو كن مـن أفاضـلهم وعـدِّ عـن زمـن بـالأمس مطمـوس
فكـل وقـت لحـل المشـكلات بـه مـلاوث كمصـابيح القـوانيس
تلـك الرسـالة مـا أمليتهـا عبثـا ولا قصـدت بهـا شـغل القـراطيس
بل رشت فيهـا نبـال النصـح معتمـدا بهـن كـل أبي الضـيم غطـريس
فهـنِّ مـن يلتقيهـا حـاسرا جـذلا وعـزِّ مـن يلتقيهـا بـالعوابيس

تمت الرسالة الناطقة بأحسن مقالة، فلله در منشيها، فلقد أجاد وأفاد، وأتى بما يفوق على المراد، قال في الأم المنقول عنها: وقال أيده الله:

من رنحـت عطفيـه أملـوحتي واهتـز مسـرورا بعرفانهـا
فليحمـد الله عـلى مـا جنـى بفهمـه مـن روح ريحانهـا
ومـن نبـا عـن فهمهـا ذوقـه وكـلَّ عـن إدراك تبيانهـا
فـإنما اللـوم عـلى نفسـه فليصـلح الأبلـه مـا شـانها

مسجد سوق العنب

من المساجد المندرسة، وكان قائما سنة 1122 اثنتين وعشرين ومائة وألف، وقفت على ذكره في بصيرة للوقف مؤرخة في ذلك العام.

قلت: وسوق العنب من أسواق مدينة صعدة القديمة، وله ذكر في وثائق الوقف.

مسجد غرب الدرب

من المساجد المندرسة في حارة الدرب، دل على ذلك عبارات القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته عن المساجد الصعدية. ولم أهتد إلى تحديده.

مسجد الغُرَيّب

من المساجد الدارسة في أيامنا، وهو بضم الغين المعجمة وفتح الراء المهملة وتشديد الياء المثناة التحتية وآخره باء موحدة، حسبما رأيت ضبطه هكذا في مسودة الترب والوصايا، بخط القاضي العلامة مدير المعارف **أحمد بن عبد الواسع الواسعي** رحمه الله، وله وقف حكاه في تلك المسودة. وكان المسجد المذكور يقع خارج باب المنصورة غربي مدينة صعدة، ومعمورا في سنة 1063هـ حكاه في بصيرة للوقف مؤرخة في العام المذكور، وقال في تحديده: مسجد الغريب شامي باب المنصورة بمدينة صعدة.

والعامر للمسجد المذكور هو **سفر آغا** أحد الأتراك المتولين على صعدة، حسبما حكى ذلك في إحدى وثائق الوقف المؤرخة شهر الحجة عام 1020 عشرين وألف، وهذا لفظ ما جاء في تلك الوثيقة: «وقف وأبد وحبس مولانا الجناب العالي الأكرمي عين الأعيان وفخر الأوان **سفر آغا** حاكم ولاية مدينة صعدة أدام الله عزه ومجده المشترى المذكور له بطن هذه، بجميع ما شملته حدوده كما ذكر بطنها وقفاً صحيحا شرعياً مرضيا لله تعالى وفي سبيله وابتغاء مرضاته، وجعل أجره وغلاته لمسجد الغريب المعروف خارجي باب المنصورة قرب مدينة صعدة، وهو الذي عمره الآغا المومى إليه، لا يغير ولا يبدل، ولا ينقض ولا يحول» الخ. قلت: ولعل الآغاء المذكور إنما جدد عمارة المسجد، لأني وقفت في حامية إحدى كتب القاضي العلامة **عبد العزيز**

بن محمد بهران المنسوخة بخطه، على ما لفظه: «طالع في هذا الكتاب الفقير إلى الله تعالى **خضر بن محمد التليل**[46] عفا الله عنه سلخ رجب سنة 988هـ بمسجد الغريب قرب بيت سيدنا القاضي العالم العلامة **عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران** حفظه الله على المسلمين والإسلام وذلك قرب الصرحة» انتهى بلفظه وحروفه.

ورأيت أيضا في آخر نسخة كتاب **القسطاس المقبول** تأليف الإمام **الحسن بن عز الدين** وهي نسخة موجودة في خزانة السادة آل الهاشمي ما لفظه: «تم الفراغ من قراءة هذا الكتاب الشريف المشتمل على قواعد أصول الشرع الحنيف بعد صلاة العصر من يوم الخميس الخامس من المحرم غرة سنة أربع وخمسين وتسعمائة على سيدنا العلامة المدرة الصمصامة علامة العلماء الأعلام ودرة تاج الجهابذة الأقرام **محمد بن يحيى بهران البصري** وذلك بمسجد الغريب من مدينة صعدة، وكتب **محمد بن علي بن محمد بن معيض** وفقه الله» انتهى، وكان بداية الشروع في القراءة للكتاب في نفس المسجد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر شعبان من السنة التي قبلها وهي سنة 953هـ. ورأيت في بصيرة أخرى للوقف مؤرخة بتاريخ سنة 1004 قال فيها: «اشترى الفقير إلى عفو الله الملك القدير **عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران** لمسجد الله المسمى بمسجد الغريب في محط السود المعروف بمدينة صعدة» إلخ وكان العلامة **عبد العزيز** المذكور متولي المسجد المذكور في ذلك التاريخ. فالذي يظهر مما تقدم أنهما مسجدان يحملان ذات الاسم، المسجد الأول كان يقع في الصرحة أو صرحة السود القريبة كما أسلفنا من مسجد صبيح شرقي المدينة، والمسجد الثاني يقع في غربي مدينة صعدة بالقرب من باب المنصورة والله أعلم.

***

ومن ذلك (قباب الغريب) بالقرب من المسجد المذكور غربي باب المنصورة، وقد ذكر تلك القباب قباب الغريب القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته الآتية قريبا، ولم يذكر المسجد المذكور، فلعل المسجد في أيامه كان قد اندرس والله أعلم.

---

(46) وخضر المذكور من فضلاء مدينة صعدة، له ترجمة في كتابي نبلاء صعدة بعد الألف، ووفاته كما وقفت على لوح ضريحه في المقبرة التي شامي باب نجران شهر ذي الحجة سنة 1049هـ (مؤلف).

مسجد فليته

من المساجد العامرة خارج باب اليمن بوابة مدينة صعدة الجنوبية.

وهو على طريق الخارج من صعدة إلى وادي رحبان، وأصل بنايته قديمة ترجع إلى قبل عام 837 سبع وثلاثين وثمانمائة، وعامره هو الفقيه الأفضل شرف الدين **حسين بن سليمان بن محمد بن فليته**، وإليه نسبة المسجد، وآل فليته من بيوت صعدة القديمة، ولهم بقية حتى اليوم، ومن أشهر أعلام هذا البيت القاضي العلامة شيعي آل محمد **صلاح بن أحمد بن عبد الله فليته** المتوفى في أيامنا سنة 1429هـ.

وللمسجد وقف واسع حكاه في المسودة، منه بير فليته شرقي المسجد.

ويقال أن الفقيه **حسين فليته** باني المسجد وعامره كان مقبورا هو وزوجته بصوح مسجده المذكور، وإنما نُقِل رفاتهما إلى المقبرة التي أمام المسجد ناحية الشرق عندما تجددت عمارة المسجد على يد الحرة المعروفة ببنت قلالة، وهي ممن تسكن مدينة صنعاء، وقد جددت هذه الحرة المحسنة عمارة المسجد عمارة محكمة فاخرة حسب الطراز الحديث، وعمرت له مأذنة (صومعة) وملاحق، من حمامات للوضوء ومنازل للسكن ومضخة ماء خاصة بالمسجد، وكان الفراغ من ذلك كله سنة 1408هـ. ومن محاسنها أيضاً المفارش التي فرش بها المسجد، وهي من أفخر الخامات فأصبح المسجد بها كالحلة القشيبة، وذلك في إحدى شهور سنة 1423هـ. وقد تعرضت صومعة المسجد للخراب في شهر ربيع الثاني سنة 1432 إبان حرب رحبان وسقوط صعدة في أيدي المجاهدين من أنصار الله في السنة المذكورة.

وفي هذا التاريخ وهو شهر محرم سنة 1433 والعمل جاري في إعادة عمارتها بسعاية الأخ **محمد بن صلاح بن أحمد فليته**، وقد تم الفراغ من بناءها سلخ شهر رجب من ذات العام.

***

فائدة: منقولة من كتاب (**الدر المنظوم الحاوي لأنواع العلوم**) وهو مما ولي جمعه وتصنيفه وتهذيبه وترصيفه الأئمة الثلاثة: الهادي **علي بن المؤيد بن جبريل**، وحفيده الهادي **عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد**، وولده الناصر **الحسن بن عزالدين**

عليهم السلام، جاء فيه ما نصه:

سؤالان: هو أن **حسين بن سليمان بن فليتة** اشترى من الأخوين **يحيى وأبي القاسم** موضعاً يسمى بَيْد الجعري وما فوقه من الصّلَب إلى جهة المغرب واليمن فيما بين حدود ذلك، شراءً صحيحاً، ثم حكم حاكم معتبر في بصيرة الشراء، ومما فيها: أن البائعين باعا جميع ذلك وهو في أيديهما وتصرفهما، وأنه بيع صحيح ناجز، ولفظ حكمه: صح لدي وثبت ما في بطنها وأن المبيع خرج بالقسمة الصحيحة ليحيى بن علي وأخيه القاسم، وحكمت بذلك باجتماع الشرائط انتهى وتاريخه من سنة 794هـ. ثم إن المشتري هذا وقف المبيع وما فوقه من الصَّلَب المذكورين فيما بين حدودهما وقفاً صحيحاً على مسجده المعروف في سنة 837هـ، وحكم الحاكم باعترافه الصحيح لوقفه ذلك، وهو يومئذ في ملكه وتحت يده، ثمّ إنه صار بعد ذلك كله بسنين كثيرة موضعاً بجنبه إلى زيد بالشراء من مالك هذا الموضع أو نحوه، فجعل زيد بعد شرائه لذلك في هذا الصلب يداً إلى موضعه هذا الذي اشتراه بعد الوقف المذكور، وجاء بشهود باليد له في ذلك، ونازعه متولي الوقف مريداً كف يده، مدلياً بما في بصيرَتَيْ الشراء والوقف. والسؤال: هل على المتولي أن يأتي بشهادة أن مشتري ذلك الصَّلَب استمر له الملك بذلك الشراء إلى أن وقفه على المسجد، أو أنه وقفه عليه وهو تحت يده؟ لأنّ يد زيد هذا وإن كانت محدثة عن قريب فإنه ليس للمسجد قبلها يد تصادمها، لأن ذلك الصَّلَب في جهةٍ قد كانت بادَتْ ودَمِرَتْ؟ أو يكفيه ما في البصائر من صحة الملك له ثمّ طروّ الوقف، ولا يحتاج إلى شهادة كذلك، لا سيما كون اعتبار الأيدي مع الحكام إنما هو حيث كانت في المواضع العامرة، فأما المواضع الدامرة إذا قام أهلوها بعمارتها وسبق بعضهم باليد في شيء منها وزاد ونقص، فإنهم لايعتَدُّون بهذه اليد الحادثة بعد الدمار مع وجود البصائر التي تقضي بخلافها، ولو كانت لا تبطل أيديهم في ظاهر الشريعة بأن يكون فيها شراء وقد مات المشتري، ولا شهادة بأنه مات وهو تحت يده أو فيه وقف كذلك فلا يعتدون إلا بما في الورق والبصائر، لا بالأيدي في مثل ذلك؟ **الجواب**: لا يجب على المتولي أن يأتي بشهادة على أن ذلك الواقف وقف ما ذكر وهو يملكه أو وهو تحت يده في هذه المسألة، إذا لم تثبت اليد لزيد إلا بعد الوقف، ولا يمكن تقدير استحقاقه لذلك بوجهٍ من الوجوه الشائعة الظاهرة الذائعة فيما بين الناس حتى ثبت له تلك اليد واستحقاقها، فيده بذلك يد عدوان يجب على أهل الأديان والبصائر كفّها ورفعها عن ذلك المكان، وتأديبه إن كان داخلاً في حيز الإمكان، فتقرر أن

لا يد لأحدهما مما هناك، وأن الصلب هذا للمسجد، فهو أولى وأحق بذلك، ولعمري إن هذا لمن أجود المسالك، وإنما كان يجب على المتولي أن يأتي بشهادةٍ كذلك لو لم يثبت أن تلك اليد يد عدوانية، وفعلة مجترمة مختلقة شيطانية، وأما مع كونها كذلك فلا يعدم اليد المانعة من ذلك، ويستصحب الأصل وهو الملك إلى أن وقع الوقف لعدم المعارض تحقيقاً أو تقديراً، ولا يفترق الحال بين أن يكون ذلك في مواضع عامرة أو دارسة دامرة، وإنما كان يتوجه الفرق لو لم يُعلم أصل ثبوت هذه اليد حتى لا تكون يد عدوان، ويلتبس الحال هل هي من قبل الوقف أو من بعده؟ فتفَهَّم هذه النكتة، فيكفي المتولي حينئذ ما في تلك البصائر الصحيحة المتضمنة لتلك الأحكام القوية الصريحة، المبرأة من المبطلِ والفِرْيَة المثبَتَة بلا شك ولا مرية، وهذا أمر واضح لا لبس فيه، وحقٌ أبيض عَرِيَ عن التمويه، وفرضٌ لازبٌ لأرباب البصائر والدين، وواجب لا يعزب على اليقظ الأريب الرصين، ولا يجهله إلا من يرجم بالظن والتخمين، والله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، ونسأله التوفيق للنهج المستبين.

تذييل: إن قيل: فقد قالوا لا بد في الشهادة بأن فلاناً وقف أو باع أو وهب من التكميل بأنه فعل وهو مالك، أو ذو يدٍ وإلا لم يصح، فكيف التلفيق والجمع بين ذلك والتوفيق؟ قلنا: إنه إنما أوجب التكميل بذلك حذراً واحترازاً عن تمويه من ليس بمالك من يمنع البينة المركبة لا من يقول بها، فلا يوجب التكميل ولا سلوك ذلك السبيل، كما نص عليه في البحر، وقد استصلح الحكام العمل على المركَّبة، فما بالهم يحتجون عن مصلحتهم حينئذ. قولك: (لا بد من شهادة أخرى بالملك حينئذ إذا لم يمنع المركبة وإلا لم يؤمن أن يقف أو يهب أو يبيع ما لايملك، ولا بُدَّ فيما ذكر من الشهادة أن ذلك بملكه ولو من غير شهود الوقف) صحيحٌ لو لم يتضمن ذلك الحكم الملك المطلق لذلك الواقف، وأما مع تضمنه له مع الحكم باعترافه بصحة ذلك الوقفية، ولا يد مانعة من استمرار الملك وصحة الوقف فلا، استصحاباً للحال، وللأمن من أن يكون الواقف حينئذ عمد إلى مال غيره فوقف، وإذاً لأوجبنا أن تكمل الشهادة على عين بأنها كانت لفلان، بأنه مات وهو يملكها، وإن لم يكن عليها يد في الحال، ولم تعتبر الشهادة على الملك والنكاح ونحوهما ممن غاب مدة طويلة عن المشهود له وفيه، وقد اعتبرت استصحاباً للحال، ولذلك نظائر لا تحصى كثيرة، ولسنا هاهنا للإحصاء، فتفهم هذه النكتة، فهي جليلة القدر رفيعة الخطر، والله سبحانه

وتعالى هو الموفق فيما نأتي ونذر. الثاني: إذا اشترى زيد مثلاً موضعاً ثم أقرّ بأنه قد صار مالاً وملكاً لمسجد وحكم حاكم بصحة إقراره بذلك، فهل له حيث كان متولياً على أموال هذا المسجد أن يبيعه لمصلحة يعرفها في بيعه تلحق المسجد أو لا؟ الجواب: أن ذلك المسجد إذا احتاج إلى العمارة أو نحوها ولم يكن من غلاته ما يقوم بها وجب على المتولي أن يبيع من أملاكه ما يقوم بذلك، وصح حينئذ بيعه ونفذ حيث كان من أهل ذلك الصلاح والأمانة وتحري المصلحة والبعد عن الخيانة.

وفي موضع آخر من **الدر المنظوم**: ولما حكم الإمام (ع) في وقف آل فليتة بمقتضى ما كان قد أفتى به جل السادة، وصل من الحاكم حينئذ **عبد الله بن علي الذويد** اعتراض بوجوه، فأشار إليها الإمام عليه السلام وأجاب على كل واحد بما نذكر. قال الإمام ما لفظه:

ذكر أبقاه الله ما صدر منا من الحكم في شأن وقف آل فليتة.

واعلم أمتع الله ببقائك، أن كلامك يشفي الأفئدة من الأوام، وينفي عنها عوارض الغرام، وقد شفانا تنبيهك لنا ونصيحتك، ونحن ما نتعدى ما تشير به أبداً ونجيبك، لتعرف ما عندنا فلسنا متعبدين إلا بالإجابة لكم فيما عرفنا حسنه، وقد أتينا بالواجب ولا يضرنا ما نقد بعد ذلك، دخل في خواطركم كيف الحكم في غير وجه الخصم المحكوم عليه مع قربه؟ فجوابه: أنَّ مَذْهبنا أن الغيبة التي يجوز فيها الحكم على الغائب هي مسافة القصر وهي عندنا البريد، يُعرَف ذلك منّا وقت السيادة، وهو الذي بنى عليه في الأزهار وجعله الإمام (ي) لمذهب **القاسمية**، على أن بعض المتأخرين ذكر أن للحاكم أن يحكم على من عرف أن لا حجة له غير ما عرف بطلانه وإن كان حاضراً، ولعل من حكام المدينة من اعتبر ذلك. والثاني: قوله: كيف حكمتم في ورقة الفتوى إلى أن قلتم: ولا محكوم له ولا عليه؟ جوابه: أما أولاً فلم نقصد إنشاء الحكم في الفتوى، وإنما أخبرنا بتقوي ما كان صدر منا، وأنا قد حكمنا بما يرفع الخلاف حكماً صدر في غير تلك الرقعة. وأما ثانياً: فإن أردتم أنه يحرم الحكم بعد الفتوى فرأيُنا رأي الإمام (ي) وغيره في ذلك، على أن الفتوى قبل التأهل للحكم وفيه ما تعرفون، وإن أردتم أن ذلك لعدم المداعاة فإن كان لغيبة المحكوم عليه فقد تقدم جوابه، وإن كان لغيبة المحكوم له فلا يضر إذا كان قد سدّ مسدّه وكيل أو كتاب معتبر بعلم، أو ظُنَّ أن الأمر كما ذكر فيه فذلك كافٍ عندنا، وقد أمرتم بالعمل به وكتبتم أنه يحكم بكذا فقد صحّ عندكم كذا وكذا، وهذا عمل كثير من الأئمة والحكام، وإن حملنا على أنا أهملنا ما ذكر من الاعتبار

فلا يليق، فإن مسألة الحكم لغائب لم يطلب لا تثبت بالإجماع. والثالث: من أين قد ثبت أن الطالب للحكم له مدخل في الحجة واستحقاق بحيث أن له طلب الحكم؟ فجوابه: أما أولاً فذكر الطالب للحكم يدل على تسليم حصول الطلب وهو خلاف ما ذكرتم أولاً، إلا أن تريدوا التّنزُّل فذاك. وأما ثانياً: فالطالب من آل فليتة بتحقيق، وهو وإن لم يستحق شيئاً من الغلات في الحال لعدم قرب أو لعدم ضعف حيث فرض تحقيق ذلك فهو يستحقه في بعض الأحوال، حيث ارتفع الصارف عن دخوله في المصرف الآن فللدرجة السفلى، أو من يؤول إليه منافع الوقف الاستحكام فيه، وإن كان حال الحكم لا يستحق شيئاً من ذلك على ما قد عرفتم. وإن توهمتم أنا حكمنا له بما لايستحقه من المنافع فلم يكن ذلك، وإنما حكمنا له بأنه يستحق بقدر مِائَتي محلق من المنافع، لأنه سلمها بنية التضمين منا للمصرف وذلك طريق واضح انتهى بلفظه.

مسجد القشاش

من المساجد المندرسة في أيامنا، وكان قائما خارج باب سويدان (باب اليمن حاليا) على يسار الخارج منه جهة الشرق، يؤيده قول القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته عن المساجد الصعدية: «ودخل مسجد فليته كأنما أفتل من رباط، وكاد أن يقع بينه وبين مسجد القشاش هياط ومياط، فإن مسجد القشاش هو القائم بباب اليمن المتولي فتحه وإغلاقه زماناً بعد زمن».

مسجد القصر

من المساجد العامرة بجوار باب السلام، وقد مر باسم بردس.

مسجد قعلان

من المساجد العامرة بأسفل مدينة صعدة في آخر شارع التوت إلى حارة شيبان، وهو خاص بالنساء وقد تهدم جانب من سقفه إبان حرب صعدة سنة 1428هـ، قلـت: وله وقف حكاه في مسودة الوقف.

مسجد القفلة

من المساجد المنسية في وثائق الوقف، وإنما جاء ذكره عرضا عند المؤرخ **محمد بن علي بن يونس** بن فند الصعدي المعروف بالزحيف في كتابه **مآثر الأبرار** عند ذكره لنص وثيقة حررها الإمام المهدي لدين الله **علي بن محمد** لأسرته آل فِنْد الصعديين. وهو نسبة إلى الموضع الذي بني فيه، وفي الوثيقة المذكورة آنفا المحررة في العام 755 خمس وخمسين وسبعمائة ما يدل على أن مسجد القفلة هذا كان قائماً غربي صعدة، قرب باب المنصورة من الداخل، وأن نسبته إلى الموضع الذي بني فيه والله أعلم.

مسجد القلوة

من المساجد الدارسة في أيامنا، وقد ذكره القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته عن المساجد الصعدية، ويظهر من عباراته أنه كان قائماً في حارة سمارة. وآل القلوه من بيوت صعدة، ولهم ذكر في كتب التاريخ ومنهم في القرن الثامن الهجري الفقيه الفاضل **يعقوب بن هبة القلوة**، من حملة كتاب الله، وهو الذي ألحد الفقيه الإمام الرباني **إبراهيم بن أحمد الكينعي**، ذكره في صلة الإخوان.

مسجد القماط

من المساجد المندرسة ذكره القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته عن المساجد الصعدية بما يفيد أنه كان بالقرب من مسجد النزاري بحارة سمارة أعلى صعدة.

وآل القماط من أهالي مدينة صعدة، وفي مقبرة القرضين غربي مدينة صعدة وقفت في إحدى شواهد الأضرحة على ما لفظه: «هذا ضريح الفقيه الفاضل، العامل العابد الزاهد، فقيه أهل الطريقة، وعين عيون مشايخ أهل الحقيقة، المفني وقته في طاعة رب العالمين، نور الدنيا والدين **علي بن يحيى القماط**، توفي قدس الله روحه في العشر الأواخر يوم الخميس من شهر محرم غرة سنة إحدى وسبعين وتسعمائة».

مسجد القَمْلَة

من المساجد المندرسة بأسفل مدينة صعدة في شارع المكسلة، وهو خاص بالنساء وقد تهدم سقفه إبان حرب صعدة في إحدى شهور سنة 1428هـ، يحده من الشمال بيت عبد الرحمن سهيل، ومن الغرب الطريق وبيت إسماعيل الظفاري.

وفي إحدى وثائق الوقف حررت بتاريخ سنة 1070هـ جاء ما لفظه: «مسجد القملة المعروف بباب الأمير ناحية المكسلة بأسفل مدينة صعدة»، ورأيت في وثيقة أخرى أن المسجد المذكور كان يسمى مسجد حقيرة والله أعلم.

مسجد الكرك

من المساجد المندرسة في حارة الدرب.

وقد جاء ذكره في مقامة المساجد الصعدية للقاضي **محمد بن أحمد مشحم** بما يفيد أنه كان بالقرب من مسجد اليابس إذ يقول: «ثم أقبل مسجد اليابس مدرع ولابس، ووجهه عابس ومسجد الكرك يمشي خلفه، وهو يقول: لأمرٍ ما جدع قصير أنفه» إلخ. وحكى في بعض بصائر الوقف أنه كان يقع في حوية قعطب، وهذه الحوية حسبما تحكيه الوثائق كانت في جهة الشمال الغربي من شارع السكتين الكبير.

قلت: فالذي يظهر من خلال التتبع أنه المسجد المندرس جنوب مسجد اليابس خلف المحلات التجارية، والله أعلم. ولم أقف في وثائق الوقف على من بانيه أو من تكون نسبته إليه، إلا أن بعض المطلعين قال: ربما بناه **داود بن علي بن محمد الكرك** المتوفى سنة 960هـ والله أعلم بصحة ذلك.

مسجد المذاهبي

من المساجد المندرسة التي لم أهتد إلى تحديدها، إلا أن بصائر الوقف التي اطلعت عليها تفيد أن المسجد المذكور كان يقع في سوق الحدادين بمدينة صعدة، وأن عامره هو الفقيه **علي بن محمد المذاهبي** وذلك قبل عام 765هـ.

وفي إحدى الوثائق أيضا ورد أنه كان يقع في سوق العنب. قلت: وسوق العنب

وسوق الحدادين حسبما تحكيه وثائق الوقف متجاوران، وكانا على مقربة من مسجد الهيري إلى جهة القبلة. وكان مسجد المذاهبي معمورا إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، كما تحكيه وثائق الوقف.

ونسبة المسجد إلى آل المذاهبي من أقدم البيوت التي استوطنت مدينة صعدة، وصل جدهم **علي بن محمد السحولي** إليها في أوائل القرن الرابع الهجري، قال القاضي المؤرخ **ابن أبي الرجال**: وهذا السحولي جد آل المذاهبي بصعدة. قلت: وقد انقرضت تسمية هذا البيت والظاهر إنقراضهم أيضا، ومنهم في القرن الثامن الهجري الفقيه العالم الفاضل **محمد بن علي المذاهبي**، قرأ عليه القاضي العلامة **إسماعيل بن إبراهيم النجراني** المتوفى سنة 794هـ وغيره وهو صاحب **الفوائد المنقولة في ذكر المقبورين في المشاهد اليحيوية**.

(نص مقامة المساجد الصعدية)

وهذا أوان إيراد مقامة المساجد الصعدية، التي حررها في أيامه القاضي العلامة الحافظ الشاعر الأديب الجليل بدر الدين **محمد بن أحمد بن يحيى** بن جار الله مشحم[47] الصعدي الأصل، ثم الصنعاني المسكن، المتوفى بمدينة قعطبة حاكما بها سنة 1182هـ اثنين وثمانين ومائة وألف، وقد وقفت منها على نسخة سقيمة كثيرة الأخطاء، فأعربت ما أعجمه النساخ واجتهدت جهدي في توخي صحة السياق، قال في ديباجة تلك النسخة: هذه مقامة المساجد الصعدية وقد فُقِد أولها:

ومقتضاها أن (**مسجد المذاهبي**) سرق بساطاً على (**مسجد العَبْدي**)[48]، ثم غارت المساجد واحداً بعد واحد، فقال لسان حالها لمسجد العبدي: الأولى لك أن تصبر وتغضي، فأجاب لسان حاله فقال: كيف تأمروني أن أغضي، وقد أكل البلاء بعضي، وصار فراشي أرضي، والألسن تثلم عرضي.

(47) هو القاضي العلامة محمد بن أحمد بن يحيى بن جار الله مشحم، من مشاهير علماء عصره، ولد وقرأ العلوم في مدينة صعدة على مشايخها، وقد ذكرهم في أرجوزة، وفي نحو الأربعين من عمره رحل إلى مدينة صنعاء، فتولى القضاء لإمام ذلك العصر في عدة نواحي، وذاع صيته، واشتهر بالعلم والفضل والتأليف، فله من المصنفات في كل فن ما يزيد على خمسين كتابا رحمه الله، وله أيضا المقامة الصعدية على غرار هذه المقامة، وسوف تنشر في كتابنا (نبلاء صعدة بعد الألف) مؤلف.

(48) هو مسجد الناصر الآتي لاحقا.

فتنهد (**مسجد العَرِز**) تنهد المظلوم، وقال بلسان غير مكظوم: إن لك يا مسكين أسوة بأمثالي، على كثرة أموالي، ألم تر كيف حِيل بيني وبين ما أشتهي، وأقدَم على سقوفي من لا ينتهي، ولا بابَ ولا فراش أحرز، ويكفيني من أموالي بير العَرِز[49]، وكيف لا أعدّ في الموتى، وأنا لا أجد ريحاً ولا أسمع صوتا.

فبيناهم في الكلام إذ أقبل (**مسجد الشِّمْري**)، وهو لما به من شدة الهول يجري، ولما وصل لامه، وأغلظ عليه كلامه، وقال: ما حملك يا مذاهبي على هذا حتى لا تجد ملاذا؟ فقص عليه القصص، وشرح له ما تجرع من الغصص، فقال الشِّمْري: عذره صحيح، واللوم قبيح. شعر:

بي مثل ما بك يا فتى فأنا القتيل بغير سيف

فإني على كثرة أوقافي، لفي ضعف من الحال غير خاف، وما أدري أين غلاتي تصير، فأشكو بثي وحزني إلى الناقد البصير.

ثم جاء (**مسجد صُبَيْح**) وقد قفز الحيد، وسعى وولى كالصيد، وهو يقول:

يا صاحبيّ توقفا بي مثل ما بكما ونيّف

ألم تعلما أنه لا يتعاهدني للزيارة، إلا مؤذني علي زُرَارة، فإنه ينادي مني في الليل البهيم، ويسمعني من محفوظاته عن **عبد الرحيم**[50]، غير أنك أيها الأخ قدمت إلى ما لا يليق بأهل التقوى، فلو رفعت حالك وأعلنت الشكوى، وأفضيت إلى كافة المساجد بذلك، فالحال معها مثلُ حالك:

أما تراني أنا والـ ـشمري قد صرنا خرابا
رب يوم قلت فيه: ليتني كنت ترابا

ولما رأى (**مسجد المنصور**) صومعة صبيح وهي تمر مر السحاب، علم أن هناك أمر تتطاول إليه الرقاب، فنهض من حينه، ورقى السور من الفرضة التي عن يمينه، فدخل المدينة على حين غفلة، وسأل عن القضية، فأخبر بفرعها وأصلها، فوصل إلى

(49) بير العرز: من مزارع رحبان جنوبي صعدة.
(50) يقصد به عبد الرحيم البرعي، الشاعر الصوفي المعروف.

المساجد وهو يقول شعرا:

أيهضم جانبٌ منّا رفيعٌ وفينا كل ذي بأس شديد
وكل فتى له سعي حميد ومنّا كل ذي رأي سديد

ثم قال: الآن برح الخفا، إنه من بدا فقد جفا، فجزى الله المذاهبي خيرا حيث كان لهذا الجمع سببا، فطالما رأيت التكاسل فلن تستطع له طلبا، وها أنذا أعرب عن نفسي، ولا أهرب من أبناء جنسي: لقد أصبحت وقد عفي رسمي، ولم يبق غير اسمي، سقط بيتي، وشق رأسي، وصرت عبرة للناظر، وحسرة على الحاضر، ولي من الوقف ما لا يخفى على الأنام، ولي من مزارع رحبان (بير دام)، فجزى الله هذا اليوم خيرا، فإنه أرانا اجتماعاً بعد طول تفرق، فإن التفرق شين الدين، وقرة عين الشياطين، ولذا جاء في الكتاب المبين: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[51].

فأقبل بعده (**المشهد**)[52] وقد تعلق بأذياله مسجده، وكاد يضعفه وكلما قام يقعده، ثم قال: أيضاً أنا مجمع العيدين، وشعار من شعائر الدين، وقرة العين، وإنه قد قَصُر جداري، وكاد أن تنطمس آثاري، وكل يوم ينادي محرابي مخاطباً لبابي، قائلاً: إني قد صرت من أهل الخلوة، حتى لا يصل إليّ إلا من كان من أهل الخطوة، فمن لم يكن شرطه شرطي، فالحذر الحذر أن يخطي، فإني أرى الشوك، قد نسج بيني وبينك كالحوك. شعر:

ألا قل للذي يبغي وصالي رويدك دونه خرط القتاد

وأقبل (**مسجد الهِيْري**) بأطماره الرثاث، كأنه خرج من بعض الأجداث، فقال: لقد خفت عليك من هذا الواقع، غير أنها غلبت عليك المطامع، وقد علمت أنه لا مساعد على هذا المعروف، ولا ناصر للضعيف الملهوف، وقد ضربت لك المثل بحالي، وأنباتك بما جرى لي، حتى صار مائي بطول مكثه آسنا، وغيّرت المشاق مني محاسنا. ثم أقبل (**مسجد شيبان**) حزيناً كئيباً وهو يقول: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا، وقال

(51) سورة الشورى: ١٣.

(52) المقصود به مشهد العيد أي الجبانة، وكانت قبلي باب نجران، وسيأتي له ذكر لاحقا.

للمذاهبي: أنا من عدالتك على يقين، فإنك لمن أصل وحسب مكين، فكيف ارتكبت هذه الورطة، وتجاسرت على هذه الغلطة، فلو خرجت إلى مساجد رحبان المخرف الرحيب، أو إلى مساجد البادية لظفرت من قصدك بنصيب. فقال المذاهبي: أما مساجد رحبان فقد رأيت ما أكره، فرب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، وأما مساجد القبائل فإني خفت من هول هائل، وعدو صائل. فقال شيبان: فإذا اعتورتك المشاق، ونالك ما نال إخوانك على الإطلاق، فكان الأليق بك أن تتأسى بالغير، وتشاور من يدلك على الخير، ألم تر إلى إخواني (**القملة**) و(**قعلانة**) لولا ما يتصدق به علينا الجيران، لتعطل منا المكان، فانتظر الفرج بعد الشدة، ولا تيأس وإن طالت المدة، ففي الكتاب: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[53] وفي السنة: «لن يغلب عسر يسرين». وأقبل (**مسجد الحجار**) وقد تناثرت أحجاره، وتشقق من جامعه جداره، وكاد أن يقعد على مؤخره لما به من الركة، ويزاحم جداره الداير[54] كأنّ به ألم الحكة، فقال للمذاهبي: إنك لمعذور، فالحر على غير الإهانة صبور، وها أنذا قد أقفرت مني المنازل، ونفر عنها النازل، فلا يصل إلى محرابي إمام، ولا يتلو فيه القرآن أحد من الأنام، وإن كافة المساجد لفي ضعف وذلة، ولم تؤت والله من قلة، بل ذلك فشيلة النزاع، وقلة الاجتماع.

وتبعه (**مسجد عليان**) وأثر الإغتراب عليه ظاهر، وقد تضعضع منه الباطن والظاهر، وصومعته ترتعد من هبوب الرياح، وتخشى أن يسري إليها ما به من ألم الجراح، ومؤذنها الصيّت، كأنما يدعو عند رأس ميت، وفراشه قد بلغ غاية التمزيق، وزواياه خالية بعد أن كانت تشتكي الضيق، فقال للمذاهبي: هلا اعتبرت بجامعي المهجور، وسراجي فنجال مكسور، على أن مالي من المال أوفر حصة، ويكفيني من مزارع رحبان (بير قُعْصة).

ثم أقبل (**مسجد التُوْت**) وحاله أوهن من نسج العنكبوت، فقال وقد صار الأمر لديه معلوما: انصر أخاك ظالما أو مظلوما، على أننا سواء في الشكية، وشركاء في القضية، فهذا جامعي قد تغير لونه واغبّر، وتجرع من الأهوال ما هو أمرُّ من الموت

(53) سورة الشرح: ٥-٦.

(54) يعني دائر سور صعدة.

الأحمر، وفراشي رمم بالية، كأنها أعجاز نخل خاوية:

منـــازل يـــا حبـــذا منـــازلا كـــنّ بأربـــاب النهـــى أواهـــلا

أقول يا حزني وطـول حســرتي فلـــم أجـــد في منـــازلي نـــازلا

وماء بركتي أبرد من الزمهرير، وعيون مساربي تجود بدمع غير غزير، وهذا جاري (حمام مداعس) (55) قد سدّ بابه، وتضعضعت قبابه، فإنه الحمام الفاخر، الذي أنفق فيه جملة الذخائر، وكأنه لا مال للمصالح، ولا رجل لصلاحه صالح.

وأقبل (**مسجد الذويد**) ضعيفاً ضيئلا، كأنه لا يملك من المال كثيرا ولا قليلاً، منازله قد خلت من الساكن، وحاله يحرك الأشجان السواكن، فقال: إن يكن مسجد المذاهبي قد أسا، فلعل خير وعسى، فإنه وغيره من المساجد لفي وهن وحال لا يراها من له من المال الكفاية، وكنت في ماضي الزمان من الإحياء في غاية، فانظروا إلى جدراني النحيلة، وجامعي الذي بمثله الأيام بخيلة، ولقد بلغ من حاله أن لا يوقد فيه مصباح، ولا يجمّر في مساء ولا صباح، وليس فيه إلا واحدة من المسارج، مستحقة للقاضي العلامة **أحمد بن أحسن شاور**، وهذه منازلي قد تعطلت عن الدرس، وحل بي ما حل من الضر والبؤس، حتى أن اليهود تطاول بنيانهم عليّ، وينظرون بعين الشماتة إلي. وهذا أخي (**مسجد مشبعة**) في حال يعزُّ عليّ.

فتنهد مشبعة وقال: لو ترك القطا لنام، أما أنا فطال ما نُظِرت بعين الاحتقار، وهُجرت حتى لا أزار، وقُطِعت رحمي عن الصلاة وعن الصلات، فقد فُقِد درس العلوم وتلاوة الآيات، فلا يتلى فيّ القرآن بصبح ولا عشي، ولو حتى آية الكرسي، لكن قد كان، والله المستعان. والآن قد صرت مألفاً للنسوة الناقصات الدين، كما قال النبي الأمين، وقبل كنت مألفاً للأفاضل، ومظهراً للفضائل، والآن هذه جدراني القائمة كادت أن تقعد، وأخشابي من الركة توشك أن تسجد، وعندنا من إخواننا (**مسجد دبه**) له أحوال مستغربة، وملح مستعذبة.

ثم أقبل (**مسجد غرب الدرب**) وقد بان عليه أثر الغم والكرب، ومعه مسجد (برقطة) و(ذعفان) و(سحبان)، فسأل عن الخبر فقيل له: إن المذاهبي أخذ البساط، وأفرط في إقدامه

(55) حمام مداعس نسبة إلى آل مداعس أحد التجار في القرن التاسع بصعدة، وكان من أفخر الحمامات البخارية، ولا زالت بعض معالمه باقية جهة القبلة من مسجد التوت.

غاية الإفراط، فقال للمذاهبي: لقد أورطت نفسك بنفسك، وأقدمت إلى ما لا يليق من أبناء جنسك، كأنك لم تعرف أن المساجد في هذه الرزية على السوية، وهذه المساجد كلها فابحث هل ترى غير الأشعث الأغبر، ولو رأيت جامعي القديم آثرت بساطك، ولم تندم على إفراطك، وقد أصبحت لي الزيادة الجديدة طريقا، ولم تكن بذلك خليقا. وأما (**مسجد برقطة**) فكاد أن ترزمه أحجاره، ويركع رجاء أن يقال عثاره، ولا تذكر بيره فإنها من النازعات غرقا، وبالغصة كما يقال شرقا، فإنها لم تدر بأي حبل تلتوي، ولم تظفر من العرى بسبب قوي. وأما (**مسجد سحبان**) فمسكين فإنه لما جن عليه الليل، سحب السارق إليه الذيل، مع أنه لأهل الدرب مقام عزا، ومجمع سخرية واستهزاء.

وأقبل (**مسجد النجار**) وقد هزل وتمثل بلسان عجل: لو يعلم الإنسان ما في السر لطوي عنه الشر، فقال للمذاهبي: شر تناها فقصر، وحاذق أعمل الحيلة فنصر، لقد صرت في حالٍ يرق له القالي، أما تراني على حداثة سني كالشن البالي، فقدت الأنيس، وعدمت الجليس، وطال عهدي بحلقات الدرس والتدريس، فلا يصلي في جامعي أحد، حتى ولا يقرأ فيه سورة الصمد، وطالما كنت بالطاعة معمور، وبحلقات العلم مشهور، يأوي الغريب إلى معهدي الرحيب، ولكن الزمان أدوال، وإدبار وإقبال، وميازيب حياضي قد جف ريقها، وبيري قد غاض ماؤها، من شدة الأسف، وهذا (**مسجد حائط المظفر**) بنيانه المعلول، يتلون ولا كتلون الغول. ثم أقبل (**مسجد اليابس**) مدرع ولابس، ووجهه عابس، و(**مسجد الكرك**) يمشي خلفه، وهو يقول: لأمرٍ ما جدع قصير أنفه، فقال للمذاهبي: لقد أخطأت غاية الخطأ بهذا النظر، وجئت لأمر على غير نظر، ولو شاورت لاستثمرت النصيحة، وحذرت من الوقوع في هذه الفضيحة، ولقد كان والله المستعان. وهأنذا وأخي مسجد الكرك قد عوملنا بالهجر والترك، فراشنا العناكب، ولمثل حالنا تجري العيون السواكب، ثم لم يسعنا إلا الصبر، والتفويض إلى من له الخلق والأمر، على أن لي من الأموال ما يضرب به الأمثال، ولي في رحبان عدل وشاهد[56]، أنكر المنكر وجحد الجاحد. وأما قبتي اللحيقة فقد صارت من زهاد أهل الطريقة، فإنها تعبد الله في الظلام، وتصلي عريانة والناس نيام.

(56) يشير إلى كثرة أوقافه في مزارع وادي رحبان، وهو المذكور في المسودة أيضا.

ثم أقبل (**مسجد النزاري**) وعليه أثر الثروة وقد لبس بعد الديباج الفروة:

وعليه من أثر الجلال بقية خَلُقَت لفرط حوادث الأيام

فتعلق (**مسجد القماط**) بأذياله، وتبعه ليشكو ضعف حاله، وقد طاف بمسجد النزاري الخراب يميناً ويسارا، ونادى منادي الذهاب إعلانا وإسرارا، وقد كادت صومعته أن تحل عن وسطها عقدة الحزام، وتضطجع على جانبها الأيمن لعجزها عن القيام، ومنازله الرحيبة قد هانت وذلت، وألقت ما فيها وتخلت، فقال للمذاهبي بعد أن عرف القصة، وأخذ من حقيقتها بأوفر حصة: لقد أظهرت كامناً وحركت ساكناً، فطال ما صبرنا على قبض الجمر، ولم نتعرض للشكوى على زيد ولا عمر، على أن لي من الوقف الجم الغفير، والمستغل الذي لا يخفى على اللطيف الخبير:

وكيف يلذ العيش لي ويقربي قرارٌ وقد عاث الولاة بفندقي

فلو شاهد المغرور عزمي وهمتي لا عملت رمحي كيف شئت وبندقي

وهذا معي مسجد القماط قد سئم الحياة مع هذه الحالة، وأنهى من إشراف الحراف كماله. وأقبل (**مسجد الذهب**) كالعليل، وصومعته كالصعدة لكنها كادت أن تميل، وأخشابه تسمع لها زجيل بالتسبيح والتهليل، كأنها تريد التمجيد للملك الجليل، وحوله (**مسجد الصدقة**) أدق من القوس، وكذلك المنهل المعروف المسمى بالدوس، فمضى بمن معه إلى المساجد، وتحقق الخبر من غير واحد، فتنهد وأطرق، ثم استرجع وحولق، وقال: إلى هذا الحال تناهت بنا غفلة الإهمال، ولكنك استعملت الزهو والتيه، وكان المرء كثيرا بأخيه، فلو استعنت بمنهل الدوس، ورميتها عن قوس، لنلتها ما في النفس، وظفرتها بالمراد من غير لبس، فإنه كان محتاجاً إلى دلوه، فلو كان معك لم يقدم إليك (**مسجد القلوة**).

ثم جاء (**مسجد زيدان**) يمشي على استحياء، ويشير إلى ضعفه بالإيماء، أغبر اللون كأنما خرج من بين الرمال، وتبعه (**مسجد السلفة**) وقد أخذ الخراب نصفه، وهدم البلاء سقفه، وتمنى من الحراف لو تمسك بحرفة، فقال للمذاهبي: لقد أحسنت الفعال، فيا لله ويا للرجال، أما علمت أنه لا يوقد فيّ مصباح، ولا يتعاهدني سادني في مساء ولا صباح، وأنا ودوس شركاء في ثور قد انحل الهزال بدنه، وضعف حتى لا

يطلع من الماء ملء جفنه، وقد أخذ المتاربة[57] بعض قاعي، بغير إذني ولا إطلاعي، واستباحوا من بستاني التراب، ولبنوه لغير وجه فاعتبروا يا أولي الألباب، وقد عري عن الفراش نصفي، وحل بي من الحراف ما بعضه يكفي، و(دار الدواميم)[58] مطلع على أسراري، فهو يشهد لي وإن كان جاري: فإنه من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، بل من الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع إذا الغافلون ناموا. ثم خرج (**مسجد بردس**) من باب القصر وهو يتلو سورة العصر، فتبعته قبة جيحانة، ومنها ديوان علي باشة لأنها من الخزانة، إلا أنها تبعته (**قباب الغريب**) المهجورة، وكان دخولهن من باب المنصورة، فقال للمذاهبي: إن أعطيتني قسطا فلك الخلاص، وإلا فلات حين مناص، فإن بي من ركة الحال وضعفه، ما يكل الواصفون عن وصفه، وقد ضرب بيني وبينكم بباب، وسترت عن الناظر بحجاب، على أني في عهدةٍ تحق لمن قام بها الإجلال والاحترام، ولي حق الجوار والقرب من المعقل الذي تزينت به الأيام:

دار الحويرث حبذا من معقل يعنو الخورنق خاضعاً لجلاله

ثم أقبل (**مسجد الطاي**) بزي الفقير عارياً عن الحصير قائلا: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، وهو يضرب أخماسا بأسداس، ويتعوذ برب الناس من شر الواسوس، فقال للمساجد: يا لله، بلية عامة، وقضية طامة، ألم تعلموا أن فراشي القمامة، وأن تحيتي من الداخل السلامة، فأنا في كل لحظة انتظر الفرج أو القيامة، وأما حمامي فإن مراتبه عاطلة، وجدران قبابه مائله، تتمنى لو ردت الشمس، وتود لو رجع الأمس. فقال المذاهبي: صه يا طاي، أما حمامك فإنه أبو لهب، وطالما سرق علي وعلى غيري من المساجد الأبواب والخشب، فتبت يدا أبي لهب وتب، فأجابه الطاي متمثلا:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وهذا (**مسجد الصما**) و(**الخياقرة**) وقد صارا في حالة صاغرة، كل منهما يفر من أخيه، لكل امرء يومئذ شأن يغنيه. وأقبل (**مسجد الناصر**) الكائن في سوق الصياغة، وتكلم بمنطق فائق في البلاغة، فقال: أيها الجمع السالم، والمساجد التي هي للدين

(57) المتاربة: الذي ينقلون التراب ويستخدمونه في البناء وغيره.

(58) من الدور المشهورة قرب باب المنصورة، وقد اندرست في أيامنا.

معالم، لقد أكلني البلاء وأذاق، واعتورتني عوامل المشاق، حتى أن اليهود انتهكوا مني عظيم الحرمة، ولم يراقبوا في إلا ولا ذمة، فقد أسأوا جواري، ودخلوا من أعلى جداري، واستعملوني استعمال الحشوش جهارا وإسرارا، وأصروا واستكبروا استكبارا، ولولا أن الله منّ علي برجل عمل عليّ سترة، وحال بيني وبين ما أكره، لكنت أقضي نحبي من شدة الحسرة.

هذا وقد كان ابتدرت (**مساجد رحبان**) للدخول، فتلقاهم (**مسجد فليته**) قبل الوصول، وقال لهم: إن هذه المدينة تحتاج إلى الناموس، والتجمل بما يحسن من الملبوس، وأنتم فيما أرى من الضر والبوس، وعندي أن أتيكم من سبأ بنبأ يقين، ولتعلمن نبأه بعد حين، فتوافقوا ودخل مسجد فليته كأنما أفتل من رباط، وكاد أن يقع بينه وبين (**مسجد القشاش**) هياط ومياط، فإن مسجد القشاش هو القائم بباب اليمن، المتولي فتحه وإغلاقه زماناً بعد زمن، فرقى السور على سلم قد كان نصبه السارق، فأغلظ على مسجد فليته الخطاب، ولم يفتح له الباب، ولكنهما اصطحبا فلما اتصلا بجميع المساجد اتصال الضمير المسكن، وتكلم مسجد فليته بلسان فطن: إنكم يا مساجد المدينة قد أشرفتم على الفوت، وطال نزاعكم وما بعد النزاع إلا الموت، على أن حالكم من حالنا أقوى، فيحق لمثلنا الإعلان بالشكوى، ألم تعلموا أني قد صرت كالمبتلى بداء الفالج، بل كمن لسكرات الموت يعالج، وإني وهذا القشاش على قربنا من المدينة لجديران بالعمارة الأكيدة الرصينة:

لقد كان لي في قادم الدهر دولة إليها أحاديث الزمان تساق

فلا والله لعدم حالي ما ألاقي، فكل يوم راتبي: يا أكرم الأكرمين، مالي صرت مأوى للكمين، ولم أكن بهذا الشر والله قمين، ولقد أقدم الملاحون إلى ترابي فضلاً عن أحجاري، فليته لم يمتد بي زمني، ولم يبلغ من التغيير إلى تنكر وطني، وطالما كنت أقدم في الأمور وأحجم، ومن مزارعي بير جمجم[59].

فما كان إلا ساعة إلا وقد أقبل (**حائط الشهداء**) وتنفس الصعداء، ولا عاد فيه حالة السعداء، وتسلسل لواذا وقال: يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا، وقال للمساجد: لقد طال بينكم الشجار، وتباديتم الأسرار، وأنا أسمعكم من وراء جدار،

(59) بير جمجم: من أوقاف مسجد فليته، ولعلها اليوم المسمى ببير فليته شرقي المسجد.

فهلموا إلى القمقام العظيم، والمقام الكريم، جامع المحاسن والمفاخر، ومفخر الأوائل والأواخر، فأرفعوا إليه خبر هذه القضية، وأعلنوا عليه بما لديكم من الشكية. فاستحسنوا رأيه وقاموا أفرادا وأزواجا، وساروا إلى حضرة (**الجامع المقدس**) أفواجا. فلما بلغوا إلى قرب القباب، وتكلموا من وراء حجاب.

قالت (**قبة الإمام علي بن محمد**): أما أنا فقد صرت كالعالة، ولا يوقد في إلا ذبالة، ولا أدري إلى متى وكيف هذه الحالة، على أني قبة الإمام الأعظم الأوحد، المهدي لدين الله **علي بن محمد**، المحمول من ذمار إلى هذه الديار كما هو مذكور في السير والأخبار. فقالت (**قبة علي بن صلاح**): أنا والله بلا فراش ولا سراج، ولا أدري لعلتي هذه من علاج، مع أن قبة الإمام من شباكها تتفرج علي، وتنظر بعين الحقيقة إلي، فأنا لزيمتها الملاصقة، ونديمتها المصافية الموافقة، وأما قبة أبو طالب فإنها قد تميزت عنا، ولم يعد جنابها منا. فنزلت (**قبة أبو طالب**) ومالت، وتكلمت غاضبة وقالت: أعوذ بالله من شر الحساد، أما ترين ما قد حل بي من الكساد، وطال عهدي بالفراش، وجنبت لذيد المعاش، وأوقافي بحمد الله ذات فضلات وفوضة، إلا أنها عند الناظر كما يقال حكاية في الروضة[60]، وإني لفي غمة من فقهاء راتبي، الذين بهم تقضى مآربي، فإنهم قد وقفوا في شدة وحين، وكانت أجرتهم تسلم من العين، وفي هذه الأيام حكم الدين، وهذه قبة الغرباني شاهدة، فإنها لأكثر أحوالي مشاهدة.

فقالت (**قبة الغرباني**): أما أنا فقد عرفتم خمولي، ولا أرضى فيكم دخولي، فخلوني وشأني فقد وقفت مثلكم مكاني. فعجبت المساجد من كلام القبب غاية العجب، وساروا إلى الجامع ليقض بينهم بما وجب، فلما وصلوا إليه سلموا عليه، وأعربوا عن أنفسهم وتكلموا فقالوا: لقد أوقعتموني في الضيق، وحملتموني ما لا أطيق، فكل الذي بكم هو بعض ما بي، وقد تقدم التقصير إلى جنابي، فهذا فراشي قد عاد أنكاثا، وكم من مسجد هو أحسن مني أثاثا، وهذا مُقَدّمي لا يرى فيه قنديل يعلق، ولا باب منه بين العشائين إلا مغلق، قد قصر في خدمتي حتى الساني، وأضحى مائي على ميازيب حياضي حاني، وستوضح الأمر (**القبة العظيمة**) فلها الحق العظيم، ومن لها الأمر على

(60) يشير إلى أن أوقاف قبة أحمد أبو طالب ترجع ولايتها إلى أحفاده من بيت آل أبي طالب الساكنين بالروضة خارج صنعاء، فناظرتها إليها حتى اليوم.

التفصيل والتعميم، ولعلها أن ترجح نظرا محررا، وتعين لكم من النذر قسطاً موفرا. فلما سمعت (**المدارس**) ذكر النذر جرت ساقطة من مكانها، وجرت مدامعها حمراء من أعيانها، ونادت عن قلب مكظوم: يالله ويا للمسلمين، مظلوم مظلوم، وقالت: أما فضلات النذر فنحن أحق بها وأهلها كما هو المشهور، ولقد حقرنا الزمان بالواسطة فما كأن التدريس إلا حرفة ساقطة، حتى دَرَست من العلوم رسومه، ومنطوقه ومفهومه، وهو مناط كل المصالح، ومصير المرجوح من الأمر الراجح، وهذه بأيدينا فتاوى علماء الإسلام، ومصابيح الأنام بأنا نستحق من تلك الفضلات، من غير تفريط ولا إفراط، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط.

فلما سمع المسجد ذكر ذلك الكلام، اطرق واسترجع وحولق.

فخرت (**سقاية السليط**) متعلعلة وما في عينها قطرة، وقالت: يا حسرتا على ما فرطت ويا لها من حسرة، أما أنا فقد أديت الأمانة، وبرئت من كل خيانة، فإنه كل يوم يأتيني الجذينة[61]، فيعود بما به تقر عينه، وهذه (**قبة الهادي عليه السلام**) متلفعة بنقابها، فتكلمت من وراء حجابها، وقالت: لقد سمعت جميع القول، ووقفت على ما به أقضي من الهول، وإني لكم في ضيق الحال مشاركة، وللشكوى مني عين باكية، فقد تعدى هذا التقصير إلي، فهذا فراشي قد طعن في السن وأزدرته العيون، ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا تعقلون، ولقد زار ضريحي يوماً قبيلي، فكسر برمحه قنديلي، ولم أجد له بديلا ولا إلى إطراحه سبيلا، فاقشعر جلد التابوت ونادى وقال مكررا: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنا أيضاً قد سلبت من كسوتي البطائن، ولم يترك منها إلا ما ظهر للمعاين، وأنا كالشمس في الظهور:

ولي نـذور كثـير لـيس يحصـرها ... ولا يحـيط بهـا في النـاس ذو اللسـن

شـهيرة مثـل نـار في ذرى علـم ... شرقـاً وغربـاً وفي شـام وفي يمـن

منوعة الأجناس غير خافية على أحد من الناس، من الحبوب والأنعام، وغير ذلك مما ينتفع به الخاص والعام، وصارت المساجد كلها عالة علي، قال: لا تختصموا لدي،

(61) الجذينة لقب اسم متولي سقاية السليط في ذلك الوقت، وبيت الجذينة لا زال لهم بقية إلى أيامنا.

وقد أجمع رأيهم على تحرير الشكوى، وتعاونوا على البر والتقوى، فأمروا مسجد الطاي أن يكتبها بخطه المبجل غير خوان ولا عجل، فكتب:

الحمد لله الولي العدل ... ولي كل نعمة وفضل
سبحانه مدبر الأمور ... بحكمةٍ ودافع الشرور
وبعد فأفضل الصلاة ... على النبي فائض الصلات
وآله الأعلام والأئمة ... ومن بهم تكشف كل غمة
فهذه شكية المساجد ... ومن بها من ناسك وعابد
أعنى بها المساجد الصعدية ... ذات التقى والدرج العلية
بأنها قد أصبحت حقيرة ... معتلة إلى الشفاء فقيرة
إذ أصبحت حليفة الخراب ... وشارفت حقاً على الذهاب
ولم تزل عن الدروس خالية ... كأنها أعجاز نخل خاوية
أكثرها فراشها القمامة ... قد فُقِد الأذان والإقامة
ولم تفز من الورى بطاعة ... ولم تقم لهم فيها جماعة
وكم لها لا شك من أوقاف ... ظاهرة والأمر غير خاف
ما بين حرث دائم الثمار ... تجيء للأبرار والأشرار
ومستغلٍ صيغ للتجارة ... لم يخل في عصر من الإجارة
وذاك جمٌّ قط لا يستقصى ... ولا يحام حوله ليحصى
كأنه لم يبق فيها عالم ... ولم يقم بالواجبات قائم
يا عجباً أهكذا تهان ... مساجد الله التي تصان
فإنها مجالس العلوم ... بلا وَذِكْر الواحد القيوم
وهكذا في حالها المدارس ... لقد غدت وما بها من دارس
كأنها مهامة القفار ... موحشة في الليل والنهار
وكم بها قد كان من عوالم ... من فاضل وطالب وعالم

وكـم وكـم أعـد مـن أفاضـل طـابوا فكـانوا بهجـة المحافـل
مـن مـدرك محقـق ومفتـي وحـاكم عنـد الشـجار ثبـت
واندرسـت طـوارق الأوامـر بـالعرف والنهـي عـن المنـاكر
لكـن لنـا في الله حسـن الظـن فإنـه جـابر كـل وهـن
وكـل خـير مـن لديـه نسـأل سـبحانه الحكـيم فـيما يفعـل
بفضـله يفـرج الهمومـا عـن خلقـه ويكشـف الغمومـا
فقـد جعلنـا هـذه الشـكية مقرونـة بالحضـرة العليـة
نعني بها إنسـان عـين العصـر يحيى عـماد الـدين عـالي القـدر
نـجل الحسـين البطـل الممجـد طود العلى شـحاك كـل معتـدي
فإنـه واحـد هـذا الـدهر ذو عزمـة في نهيـه والأمـر
عسـاه أن ينظـر في القضـية ويجعـل القسـمة بالسـوية
وإن يـرى إهمالنـا صـوابا ولم يخـف مـن ربنـا عقابـا
فسـوف نشـكو أمرنـا جميعـا إلى قـدير لم يـزل سـميعا
سـبحانه مـن سـامعٍ مجيـب وحـاكمٍ مطلـعٍ قريـب
مستشـفعين بـالنبي المصـطفى وآلـه المطهـرين الحنفـا

انتهى الموجود من تلك المقامة، والذي قصده بعماد الدين في الأبيات الأخيرة هو في الأغلب متولي الوقف السيد **يحيى بن الحسين الجوهرتين** والله أعلم.

مسجد المستشفى

من المساجد العامرة في فناء المستشفى (الأحمدي) الجمهوري شرقي صعدة في حارة درب المام، ويسمى مسجد الخير. وهو حديث العمارة كانت عمارته في أيامنا، أما المستشفى فهو من محاسن الإمام الناصر لدين الله **أحمد بن يحيى حميد الدين** قدس الله روحه في عليين.

مسجد مشبعة

من المساجد العامرة في حارة الجربة، يقال له الآن مسجد النور.

وهو قديم بني في القرن التاسع الهجري، وهو بالقرب من مسجد الذويد، وفي وثيقة للوقف مؤرخة شهر القعدة سنة 1069هـ عليها علامة القاضي **عبد الله بن يحيى الفهد** ما يفيد أن بانيه هو جد الفقيه **محمد بن هادي بن عبد الله الوشلي**.

وفي وثيقة أخرى للوقف أن المسجد المذكور معمور بحافة شارع بلجا بأسفل مدينة صعدة، وكان في أيام القاضي **محمد بن أحمد مشحم** خاصاً بالنساء، فقد ذكره في مقامته باسم مسجد مشبعة، وحكى على لسان المسجد ما لفظه: «فتنهد مشبعة وقال: لو ترك القطا لنام، أما أنا فطال ما نُظِرت بعين الاحتقار، وهُجرت حتى لا أزار، وقطعت رحمي عن الصلاة وعن الصلات، فقد فُقِد درس العلوم وتلاوة الآيات، فلا يتلى فيّ القرآن بصبح ولا عشي، ولو حتى آية الكرسي، لكن قد كان، والله المستعان. والآن قد صرت مألفاً للنسوة الناقصات الدين، كما قال النبي الأمين، وقبل كنت مألفاً للأفاضل، ومظهراً للفضائل، والآن هذه جدراني القائمة كادت أن تقعد، وأخشابي من الركة توشك أن تسجد».

قال الأخ **عبد الله بن حسين المتميز**: حتى قدم الإمام **أحمد بن يحيى حميد الدين** سنة 1351 فأصلحه وجعله للرجال، وذلك مذكور في حزام المسجد، وللمسجد بركة وعليه بير، وله وحائط حكاه في المسودة. قلت: وهو الآن خاص بالنساء، وله وقف أموال ترجع عائداتها إليه، كما تحكيه المسودة وبيانات الوقف.

مسجد المشهد والجبانة

وقد ورد ذكره في مقامة القاضي **محمد بن أحمد مشحم** قريبا.

وهو نسبة إلى المشهد جهة القبلة من مدينة صعدة أمام الخارج من باب نجران على امتداد نظره، وبجانبه كانت تقع (جبانة العيد) وكان لها سور ومحراب، وهما اليوم خراب يباب، هدما بفعل قصف الطائرات المصرية أثناء الحروب والفتن التي تلت انقلاب عام 1382/ 1962م، فالله المستعان. وكان لهذا المشهد قباب عالية مفتوحة

يضم قبور ومدافن الأمراء الأشراف الحمزات الذين تعاقبوا على حكم صعدة. وأول من قبر فيه الأمير شمس الدين **أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة** المتوفى سنة 656هـ، وآخرهم الأمير **أحمد بن محمد بن الحسين** بن القاسم بن الهادي بن الأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، وهو الذي كان يملك صعدة قبل دخول الإمام **شرف الدين** عليه السلام إليها وفتحه لها كان يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر صفر عام أربعين وتسعمائة، وكانت صعدة تمنعت أول الأمر بهذا الأمير وبأصحابه من الأشراف الحمزات، لكن سرعان ما عادت الدائرة عليهم، ولما دخل الإمام **شرف الدين** صعده وقصد جامع جده الإمام الهادي **يحيى بن الحسين** أنشد هذه الأبيات ارتجالا وهو آخذ بحلقة قبة الإمام الهادي:

زرنـــاك في زرد الحديـــد وفي القنـــا والمشـــرفية والخيـــول الشـــزّب
وجحافـل مثـل البحـار تلاطمـت أمـواجهن بكـل أصـيد أغلـب
مـن كـل أروع مـن سـلالة هاشـم وبكـل أشـجع مـن ذؤابـة يعـرب

إلى أن قال يذكر تغلب الأشراف الحمزيين:

مـن بعـد أن حـال القرابـة بيننـا وتحزبـوا حقبـا أشـد تحـزب
فـأذاقهم رب العبـاد نكـالهم في كل معركـة يشـيب لهـا الصـبى
أبـدا عـدو الله لسـت أقيلـه لـو انـه إبنـى أو شـقيقى أو أبي

قال في **سيرة الإمام شرف الدين**: ولم يعش الأمير **أحمد بن محمد** إلا أياما قلائل بعد فتح الإمام **شرف الدين** لمدينة صعده في ذلك العام، إذ وافاه وارد الحمام ليلة الاثنين لخمس بقين من صفر سنة أربعين وتسعمائة، فأستاذنوا الإمام في إدخاله ليقبروه في المشهد المذكور انتهى بتصرف واختصار.

مسجد معاذ بن جبل

من المساجد التي ذكر في كتب التواريخ ابنتى الصحابي الجليل **معاذ بن جبل** لها في صعدة القديمة الواقعة تحت جبل تلمص، وذلك أثناء دخوله اليمن بأمر **النبي** صلى الله عليه وآله وسلم. وممن ذكر ذلك **الحسن بن أحمد الهمداني** في كتابه **الإكليل**.

وحكى مثله **الرازي** في كتابه **تاريخ صنعاء** فقال ما لفظه:

«والمساجد التي بنيت على إثر ناقة **رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم هي: مسجد الجند، ومسجد جامع صنعاء، ومسجد صعدة القديم، ومسجد **فروة بن مسيك المرادي**، ومسجد نجران القديم الذي يسمى مسجد الأخدود»[62] انتهى. قلت: وهو اليوم من المساجد المنسية الدارسة التي لم يعد لها أثراً ولا خبراً.

مسجد المعلاة

نسب إلى الشارع الذي بني فيه، رأيت ذكره في بصيرة حكم للوقف مؤرخة بتاريخ منتصف ربيع الثاني سنة 1346هـ.

قلت: وهذا يدل على أنه كان في التاريخ المذكور لا يزال معمورا، وقد أشارت البصيرة المذكورة أنه يقع ما بين المجزرة القديمة وسمسرة **أحمد بن ناصر مدغة**، فهو على هذا المسجد الدارس خلف محلات عبصة، والله أعلم.

مسجد المنصور

من المساجد العامرة خارج صعدة شرقي سور المدينة.

ونسبته إلى بانيه وعامره في أوائل القرن السابع الهجري الإمام المنصور بالله **عبد الله بن حمزة بن سليمان** بن حمزة بن علي بن حمزة بن الإمام النفس الزكية الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم زاكي التحية والرضوان المتوفى سنة 614 أربع عشرة وستمائة.

قلت: وهو قديم العمارة كما هو ظاهر من بنايته الحالية، وله بئر خاصة به قديمة، وأوقاف واسعة حكتها مسودة الأوقاف، منها (ضيعة بير دام) من مزارع رحبان، وغيرها الكثير. وقد جاء ذكر مسجد الإمام المنصور في كتاب **صلة الإخوان في حلية بركة الزمان** وهي سيرة الفقيه الإمام الرباني **إبراهيم بن أحمد الكينعي** المتوفى بصعدة

(62) راجع تاريخ صنعاء لأحمد بن عبد الله الرازي.

سنة 793 ثلاث وتسعين وسبعمائة وهذا لفظ ما جاء في السيرة المذكورة، نورده لمزيد الفائدة قال السيد **يحيى بن المهدي** ما نصه: «قال القاضي الإمام فخر الإسلام **عبد الله بن حسن الدواري** رحمه الله تعالى **لإبراهيم الكينعي** وقد قصده للزيارة في بيت ذمار: إني رأيت في هذه الجهات من الصالحين وذوي الزهد والتقوى واليقين جمّاً كثيراً من سالكي هذه الطريقة الذين يلبسون المرقعات والشمائل، وكل هذا من بركة قصدك وسرك المبارك أو ما هذا معناه، ونحن في صعدة وبلادها ما نرى أحداً من أهل هذا الزي واللباس والانقطاع إلى الله والمواظبة على العبادة، فنُحب منك ونُعَوِّل عليك لِتَسير إلى بلادنا ليشمل أهلها البركة، فساعده إبراهيم رحمه الله تعالى وسار إلى صعدة الغراء، فصدّق الله فراسة القاضي الإمام وقوّي ظنه، فرشد وسلك هذه الطريقة من أهل صعدة الغراء خلق كثير، ولزموا هذا الزي وتركوا زينة الدنيا ولزموا المساجد، وحَلَّقوا على ذكر الله تعالى وكتب المعاملات في مسجد الإمام المنصور بالله في برّية صعدة، وقدوتهم في العبادة وشيخهم في الزهادة الآن القاضي الأفضل العالم الأكمل **داود بن محمد الجيلاني** الواصل من جيلان لزيارة **إبراهيم الكينعي** وهو إمام أهل الطريقة، وقدوة أهل الحقيقة، له تنويرات ومكاشفات، ويحكى له كرامات جمة، وتصانيف في علوم المعاملة، مع خوف ملازم، وحزن دائم، وقلب بشروط الأدب قائم. وتلميذ **إبراهيم الكينعي علي بن قاسم النّجار الصعدي** في جماعة وعصابة يعبدون الله تعالى ويذكرونه ويمجدونه ببريّة صعدة ومسجد الهدارس بفللة. قال: ووقع في قلب **إبراهيم الكينعي** رحمه الله تعالى مودة شافية ومِقَةٌ كافية في صعدة وفي أهلها، ويثني عليهم الثناء الجميل الحسن، وقد أناخ بها وسكن جسده ببريتها إلى يوم ينفخ في الصور وتبعثر القبور، ويقوم منها إن شاء الله تعالى مبجلاً محبورا وبالنور مغمورا، مع الأئمة السابقين والعلماء الراشدين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. كان رحمه الله تعالى إذا اضطجع على الأرض من غير وسادة ولا فراش تنفس الصعداء بالزفرات والتأوه وقال: يا ليت شعري أين يحط هذا الرأس الله أعلم. ويقول: اللهم، حُطّه في أحبِّ البقاع إليك وقصده مكة، ولهذا جاورها ثلاث سنين رجاءً لذلك، فجاء من المجاورة وانحط بصعدة، فهذا دليل على فضلها وفضل من فيها من الأئمة الهادين، ولا بد من لمعةٍ اتّخذها عند الله حسنة صالحة، أذكر فيها من بصعدة الغراء من الأئمة والعلماء والزاهدين والفضلاء من الأموات والأحياء أعاد الله تعالى من بركاتهم» انتهى بلفظه من صلة الإخوان.

***

وعلى مقربة من مسجد المنصور تقع جهة الشرق «**العراقية**» التي تنسب إلى الأمير الكبير جمال الدين **الهادي بن عز الدين محمد بن شمس** الدين أحمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة قال المؤرخ **ابن فند**: وكان الهادي هذا مالكاً لصعدة وغيرها وسكن العراقية واشتهرت نسبة العراقية إليه قلت: وإلى هذا الأمير كتب عالم وقته بصعدة الفقيه العلامة **مطهر بن محمد بن تريك** الرسالة الموسومة بـ(**عنوان السعادة ومفتاح الإفادة**) في جمادى الأولى من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة يأمره فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وختمها بأبيات رائقة، منها قوله يشير إلى نهوض عمارة صعدة في أيامه:

جمال الهدى سمعاً لنصحي فإنه ... يدل عليه سنة وقرانُ
عليك بفعل الصالحات وكسبها ... فمن يفعل الخيرات فهو معانُ
وسِرْ سيرة المنصور جدك إنها ... لملكك في الدنيا حمى وضمانُ
فعيش الفتى ظل يزول وعمره ... قصير، وإن عوفي وطال زمانُ
وحالاته شتى عليه فتارة ... علو ووقتاً ذلة وهوانُ
ويوماً له ضوء الشهاب ونوره ... وحيناً وقد غطى عليه دخانُ
فيا ملك الأشراف يا ابن محمد ... بِدارا لما تنوي فأنت معانُ
فمثلك من أحيا شريعة جده ... وقامت صلاة واستقام أذانُ
ودارت رحى الإسلام بعد سكونها ... وصالت به كف له وسنانُ
ألم تر يا نجل الإمام عمارة ... بصعدة لما أن بان منك أمانُ
وخففت بعضاً من رعاياك أصبحوا ... وهم لك أصحاب عليك ضنانُ
فكيف إذا أسبلت سربال رأفة ... عليها عنت بصرى لكم وعمانُ
وأضحت قصورا شامخات وحولها ... بساتينها يلهو به الورسانُ
وأصبح من والاك فهو معظم ... عزيز ومن عاداك فهو مهانُ

إلى آخر أبيات القصيدة.

مسجد الناصر

من المساجد العامرة في حارة درب المام على يمين الداخل من باب اليمن.

ونسبته كما ورد في وثائق الوقف إلى الإمام الناصر **أحمد بن الهادي** إلى الحق، وحكى في وثيقة للوقف أن هذا المسجد كان قد اندرس فأثار أساسه وجدد عمارته الفقيه الفاضل بدر الدين **محمد بن قاسم العبدي** في نحو عام 1058هـ فنسب إليه، فيقال له فيما مضى مسجد العبدي. وقد يفهم من مقامة القاضي **محمد بن أحمد مشحم** خلاف ما حكيناه آنفا في تحديد موقعه، إذ يقول في ذكر المسجد المذكور ما لفظه: وأقبل مسجد الناصر الكائن في سوق الصياغة إلخ.

وهذا الفقيه أعني **محمد بن قاسم العبدي** هو كما قال معاصره السيد **الحسن بن صلاح الداعي** في كتابه **شرح الدامغة الكبرى**: «كان والياً على الأجبار بصعدة وجهاتها، وإليه زكاة أهل الهِجَر اليحيوية وجميع واجباتهم، وكان بنظره الدرسة وطلبة العلم وعليه مدارهم وعلى يديه كيلاتهم وما يقوم بهم، وكان طلبة العلم بصعدة كثيرين جداً، وكان لهم كسوة تأتي في السنة من الإمام على الدوام، ولم يزل العلم والعلماء في أيامه في طلب وحال حسن، وعمر مسجد الناصر المعروف الآن بمسجد العبدي وبه قبره، وعمر السمسرتين المعروفتين ووقفهما على المسجد، وإليه تُنسبان أعني السمسرتين. وكان الإمام **المتوكل على الله إسماعيل** عليه السلام يحبه حباً شديداً، وكان إذا وفد على المتوكل خرجت زكوات مكلف المتوكل من أهله وجواريه إلى الفقيه المذكور، ولم يزل قائماً بالمدارس بصعدة محيياً لها حتى توفي» انتهى كلامه.

ونقلت عن خط القاضي العماد **يحيى بن أحمد بن عواض الأسدي رحمه الله** ما لفظه: «هذه المرثية في سيدنا العلامة التقي الزكي الفهامة عز الملة والدين **محمد بن قاسم العبدي** قدس الله روحه لسيدنا العلامة صفي الدين **أحمد بن صالح بن أبي الرجال** حفظه الله:

أجنان عدن جاءك الضيف السري ... من كان أشبه بالفضيل وبالسري

فتهيأي فلقد أتى ضيف له ... حق القرى فتزيني وتعطري

مـن كـان في الـزمن الأخـير أويسـنا ولـه غـداة الخطـب حلـم المنقـري
عبّـــادة قطـــع الزمـــان عبـــادة بـــتلاوة وتركـــع وتفكـــر
لا يعـــرف الفحشـــاء فهـــو منـــزه عـن كـل وصـم في طرائقـه بـري
صـــدقاته سرا عـــلى كـــل الـــورى إن هبـت النكبـاء بـدهر أغـبري
علامـــة قـــرأ العلـــوم محققـــا بـــذكاء فهـــم زنـــده أبـــدا وري
شـــيعي آل محمـــد وصـــفيهم وسراج مفخـرهم وتـاج المفخـر
فلتبكـــه الـــدنيا وأبـــوا الســـماء بنجيـع دمـع في المهـارق أحمـر
وعليـــه رحمـــة ربـــه وســـلامه أبـــدا الحيـــاة وقـــبره والمحشـــر
والله يحشـــره بزمـــرة عصـــبة ســـكنوا بطيبـــة طيبـــن وبـــالغري

هو العلامة المقرر والفهامة المحرر، والورع الذي ورّع نفسه عن الشبهات، والزاهد الذي ترك من دنياه الشهوات، بصري زمانه، وبسطامي أوانه، أبو الفقراء والمساكين وغوث الأرامل والمحتاجين، أبو إسماعيل بدر الإسلام **محمد بن القاسم العبدي**.

وحيـد زمـان سـاد بالـدين والتقـى ولم أر من قـد سـاد في صـفة العبـدي
فيـــا واضـــعيه في الـــتراب تـــدبروا أيوضع بدر الدين مـن داخـل اللحـد
عليـــه ســـلام الله مـــا ذكـــرت لـــه محامـــد لا تحصـــى بحـــد ولا عـــد

كانت وفاته رضوان الله عليه في صعدة المحروسة عشية يوم الأربعاء رابع ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وألف، برد الله مضجعه وجعل الروح والريحان معه، وصلى الله وسلم على محمد وآله» انتهى بلفظه وحروفه. وقبر الفقيه المذكور بجانب مسجد الناصر الآن في حوطة منفصلة غربي المسجد، ودفن بجانبه القاضي العالم المحقق الرئيس **يحيى بن أحمد بن عواض الأسدي** المتوفى سنة 1106هـ وإلى جنبهما دفن القاضي العلامة الزاهد الأديب **إسماعيل بن محمد بن قاسم العبدي** وهو القائل:

مـــولاي حـــالي رازح في صـــعدة رأس الـــبلاد فكيـــف في ســـاقين
فـــانظر لإســـماعيل نظـــرة راغـــب في الستر يوم الكشف عن ســاقين

وقد تقدم له ذكر في ترجمة مسجد بردس، وصنوه هو القاضي العلامة النبراس ضياء الدين **إسحاق بن محمد بن قاسم العبدي الصعدي** المتوفى بعد سنة 1115هـ، وكان من

العلماء المحققين والأدباء المجيدين، وهو مصنف كتاب (**الإحتراس من نار النبراس**) في أصول الدين وعلم الكلام، رد به القاضي **إسحاق** على صاحب **الاحتراس** وهو **إبراهيم الكردي** أحد الأشاعرة الذي زعم أنه نقضا للأساس مؤلف الإمام الأعظم صاحب الجهاد والاجتهاد المنصور بالله **القاسم بن محمد** عليه السلام.

قلت: وقد جدد عمارة مسجد الناصر في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وزاد فيه القاضي العلامة مدير المدرسة العلمية **أحمد بن عبد الواسع الواسعي** رحمه الله، وقد جرت تجديدات بعد ذلك للمسجد في فترات متقطعة، ولم نقف على القائمين عليها والمعتنين بها فالله المستعان.

مسجد النجار

من المساجد العامرة في حارة النجار شرقي مسجد زيدان.

وللمسجد وقف مذكور في مسودة الأوقاف، وحائط تابع له، وفي المقامة التي تقدم نقلها العلامة ابن مشحم ما يدل على أنه حديث العمارة في القرن الثاني عشر.

لكن الثابت تاريخيا أن أصل عمارته قديم، لأن نسبته إلى آل النجار إحدى بيوت صعدة القديمة، وإنما جرى تجديد بنايته في ذلك العصر. ومن مشاهير أهل هذا البيت ناظورة الشيعة في وقته الفقيه العلامة جمال الدين **علي بن محمد بن مقبل** بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد النجاري الخزرجي الأنصاري، مؤلف كتاب (**حدائق الياسمين**) في فروع الفقه، في مجلدين، وكان معاصرا لأيام الإمام المهدي لدين الله **محمد بن المطهر**، ومنهم في القرن التاسع الفقيه العلامة بدر الدين **محمد بن عبد الله النجاري** مفتي صعدة في زمانه.

مسجد النِّزَاري

من المساجد العامرة في حارة سمارة أعلى مدينة صعدة.

والعامر له في آخر النصف الأول من القرن الثامن الهجري هو الفقيه الأجل شرف الدين **حسن بن موسى بن مفلح النزاري**، وقبره بصوح حجرة المسجد، وحكى في إحدى وثائق الوقف أن الفقيه المذكور كان موجودا على قيد الحياة عام 785هـ.

وحكى في بعض كتب التواريخ أن المسجد بني في ضيعة **محمد بن حسن الكشري**

وآخرين، وللمسجد وقف واسع حكاه في المسودة[63]، وقد أشار إلى ذلك القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في المقامة التى نقلناها في ترجمة مسجد المذاهبي آنفا، إذ يقول على لسان المسجد: فقال للمذاهبي بعد أن عرف القصة، وأخذ من حقيقتها بأوفر حصة: لقد أظهرت كامناً وحركت ساكناً، فطال ما صبرنا على قبض الجمر، ولم نتعرض للشكوى على زيد ولا عمر، على أن لي من الوقف الجم الغفير، والمستغل الذي لا يخفى على اللطيف الخبير:

وكيف يلذ العيش لي ويقر بي ... قرارٌ وقد عاث الولاة بفندقي

فلو شاهد المغرور عزمي وهمتي ... لا عملت رمحي كيف شئت وبندقي

ويقصد بالفندق السمسرة المعروف بسمسرة النزاري وهي جهة الشرق من جامع الإمام الهادي عليه السلام، وفي بصيرة شرعية قديمة حررت في أيام الإمام الناصر صلاح الدين **محمد بن علي بن محمد** عليه السلام، وعليها توقيع وعلامة القاضي **عبد الله بن الحسن الدواري**، حكت أن وقفية هذا الفندق نصفه موقوف على مسجد النزاري، والنصف الآخر لجامع الإمام الهادي إلى الحق.

(63) وذكر بعض المطلعين أن لأحد نساء بيت حميد الدين توسعة في الجهة الشرقية للمسجد وزيادة في جهته الجنوبية وذلك بعد سنة 1381هـ والله اعلم.

صورة صومعة مسجد النزاري

وممن عرف واشتهر بالتدريس في مسجد النزاري في القرن العاشر الهجري:

الإمام الناصر لدين الله **الحسن بن علي بن داود** بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل، درّس في العلوم بمسجد النزاري، حكى ذلك القاضي ابن أبي الرجال في تاريخه مطلع البدور، من ذلك سماع (كتاب **العضد**) عليه قبل قيامه بالدعوة الحاصلة سنة 986هـ، وحضر ذلك المجلس علماء الوقت، منهم السيد **عبد الرحمن بن الحسن جحاف**، والسيد **إبراهيم بن المهدي جحاف**، والسيد **أمير الدين بن عبد الله**، والسيد **الطيب بن داود المؤيدي**، والسيد **الحسن بن شمس الدين جحاف** حضر المجلس صغيرا. ومنهم أيضا في القرن الحادي عشر: السيد العلامة الكبير **داود بن الهادي**، قرأ عليه الحافظ **أحمد بن سعد الدين** في مسجد النزاري، ومنهم السيد العلامة جمال الدين **علي بن محمد المنتصر الهادوي** المتوفى سنة 1093هـ، ومنهم الفقيه العلامة الرئيس عماد الدين **يحيى بن صلاح الرتوه الصعدي** المتوفى بها سنة 1107هـ قرأ على العلامة الرتوة في مسجد النزاري السيد العلامة المؤرخ **الحسن بن صلاح الداعي** مؤلف **الدامغة الكبرى والصغرى** وغيرهم الكثير ممن أغفلنا.

وفي سيرة المولى ملك اليمن **محمد بن الحسن بن الإمام القاسم** التي كتبها السيد **يحيى بن صلاح الجوهرتين** أنه أيام ولايته على صعدة كان ينزل ماشيا على أقدامه إلى مسجد النزاري بصعدة، فيسمع هنالك على أستاذه العلامة **عبد القادر بن سعيد الهبل شرح الأزهار** في عصابة من شيع **الزيدية** حتى ختمه، وأسمع البيان **لابن مظفر** سماعا حسنا، وأسمع **البحر الزخار في فقه الأئمة الأطهار** في ذلك المسجد، وعلى تلك الحالة انتهى كلامه. وكان ملك اليمن المولى محمد بن الحسن ممن تولى على صعدة نحو اثني عشر عاما من سنة ست وثلاثين وألف إلى سنة ثمان وأربعين، وله مآثر ومباني ومحاسن أيام ولايته وكذلك أوصى بثلث ما تملكه في صعدة وبلادها إلى عدة مصارف حكاها في مسودة الوقف، ولأدباء صعدة في ذلك الحين مدائح فيه وأشعار فائقة، تعرضنا لذكرها في بعض كتبنا.

مسجد النور

هو المعروف سابقاً بمسجد مشبعة وقد تقدم في حرف الميم.

وفي تاريخ مطلع البدور **ومجمع البحور** أثناء ترجمة الفقيه العالم المقري **سعيد بن داود اليمني الآنسي** المتوفى سنة 1010هـ «أنه ممن انقطع إلى العبادة بمسجد النور بصعدة قال: وكان عالماً كاملاً، جامع القلب، مولعاً بالقرآن، وكان إذا مرّت به الزواجر كثر بكاؤه وإذا ذكر الألفاظ المشجية بكى، حكي عنه أنه قرب له عنب من نوع يسمّى الغريب في صعدة، فقال: ما اسم هذا؟ قالوا: غريب، فقال: غريب يأكل غريب وبكى كثيراً، وله بلاغة فائقة في النظم والنثر» انتهى.

مسجد الهِيْري

من المساجد العامرة شمال سوق صعدة بالقرب من القشلة جهة الغرب منها، وبابه مفتوح جهة السوق ومبنى المقام الذي سكنه الإمام **أحمد بن يحيى حميد الدين** أيام بقائه في صعدة. وهذا المسجد قديم العمارة يعود بنائه إلى قبل ستين وسبعمائة 760هـ. وللمسجد المذكور وقف حكاه في المسودة وله أيضا حائط خاص به.

وتشير وثائق الأوقاف في التعريف بالمسجد المذكور إلى عبارات كهذه: «مسجد الله المعروف بالهيري المعروف بسوق الحدادين بصعدة».

قلت: وهذا موقعه في خطط ومعالم السوق القديم قبل خرابه في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري قريبا من سوق الحدادين، ولا زال خبث الحديد بالقرب من القشلة شاهدا على التعدين الحاصل في هذا السوق. وكان المسجد صغيرا، فجددت عمارته بالعمارة الحديثة الاسمنتية في أيامنا، وكان تمام تلك العمارة في شهر جماد الثاني سنة 1414هـ. وآل الهيري بكسر الهاء والراء بينهما ياء ساكنة، والمنسوب إليهم تسمية المسجد من أهالي صعدة، ولهم ذكر في بصائر الوقف، وقد انقرضوا في أيامنا.

مسجد اليابس

من المساجد العامرة في حارة الدرب وهو إلى الجنوب الشرقي من مسجد العرز، رأيت في بصيرة قديمة قد تهدم أصلها تحكي أوقاف للمسجد المذكور أن عامره والواقف عليه ما تضمنته من الأموال بمزارع رحبان هو الفقيه الفاضل جمال الدين **محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم اليابس** والله أعلم.

ورهطه آل اليابس من بيوت صعدة القديمة، والذي يظهر من خلال وثائق أخرى أن بانيه الفقيه **محمد** المذكور كان من أهل القرن الثامن الهجري، إذ في هذا القرن كان لآل اليابس حضور بارز في وثائق الوقف، واستمر ذلك إلى أواخر القرن التاسع، فلعلهم انقرضوا أو انقرضت تسميتهم، وفي مشجرة أنساب صعدة ألحقهم في النسب إلى بني أمية القرشيين والله أعلم.

قلت: ولهذا المسجد أوقاف طائلة، منها جميع أموال (بير المليح) بالقرب من مدينة صعدة جهة الجنوب، وغير ذلك من الأموال في رحبان والعبدين وفي قاع الصعيد مما حكته مسودة الأوقاف، فهو ثاني أكبر المساجد أوقافا بعد جامع الإمام الهادي عليه السلام، وإلى مثل ذلك أشار القاضي **محمد بن أحمد مشحم** في مقامته بقوله على لسان المسجد المذكور: «على أن لي من الأموال ما يُضرب به الأمثال، ولي في رحبان عدل وشاهد، أنكر المنكر وجحد الجاحد، وأما قبتي اللحيقة فقد صارت من زهاد أهل الطريقة، فإنها تعبد الله في الظلام، وتصلي عريانة والناس نيام». ومع ذلك فقد تهدم المسجد كليا أثناء حرب صعدة إحدى شهور سنة 1428هـ وإلى الآن لم يلق من يعيد بنايته، والله المسئول أن يهيأ من ولاة الوقف من يعمره العمارة الفاخرة على الطراز القديم من مستغلات أوقافه المحروم منها، وهي كما قدمنا الكثير والله ولي العون والتيسير، وبهذا نفرغ من كتابنا تاريخ مساجد مدينة صعدة فله الحمد والمنة، مصليا في الختام على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا.

وكتب الراجي عفو ربه ومغفرته **عبد الرقيب بن مطهر بن محمد** بن

محمد بن إبراهيم بن الحسين بن يحيى بن المطهر بن

إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن الإمام

القاسم بن محمد الحسني

القاسمي الصعدي

الرحباني

غفر الله له ولوالديه.

وكان الفراغ من ذلك بمنزلي الكائن بقرية بير الطحم في شوال

سنة 1434هـ، وجرت بعد ذلك إضافات تحررت وفوائد استجدت،

والله عنده حسن العوائد.

برنامج

الإسناد المسلسل بالعلماء الصعديين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدا دائما متصلا، ما تعاقب الليل والنهار، يفي بجزيل نعمائه، وفواضل هدايته وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة خالصة ألقى بها الله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم المرسلين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين صلاة دائمة إلى يوم الدين.. وبعد:

فإنه لما ثبت وتقرر أن رواية علوم العترة المطهرة في اليمن انتهت إلى الأقطاب الأربعة أعلام الرواية والدراية في زمانهم وهم: الإمام المتوكل على الله **أحمد بن سليمان** عليه السلام المتوفى بخولان صعدة سنة 566هـ، وشيخ الإسلام الحافظ **زيد بن الحسن الخراساني البيهقي** الوارد إلى مدينة صعدة سنة 541هـ، والسيد العلامة تاج العترة **الحسن بن عبد الله** المعروف **بابن المهول الحسني الصعدي** المتوفى بعد سنة 570هـ، والقاضي عالم **الزيدية** ومسندها جمال الإسلام والمسلمين **جعفر بن أحمد بن عبد السلام** بن أبي يحيى الأبناوي البهلولي اليماني المتوفى سنة 573هـ. الذين يروون ذلك بأسانيدهم المعروفة المشهورة، إلى أئمة الهدى ومصابيح الدجى: الإمام **زيد بن علي** عليه السلام، والإمام نجم آل رسول الله **القاسم بن إبراهيم**، وحفيده الإمام الهادي إلى الحق المبين **يحيى بن الحسين بن القاسم** بن إبراهيم، والإمام الناصر لدين الله **الحسن بن علي** الملقب **بالأطروش**، وهم عن آبائهم عن باب مدينة العلم أمير المؤمنين وسيد الوصيين **علي بن أبي طالب** كرم الله وجهه. ومن ذلك ما رواه الإمام الهادي إلى الحق **يحيى بن الحسين** في كتابه الشهير الموسوم **(بالأحكام في معرفة الحلال والحرام)**، فالإمام **أحمد بن سليمان** عليه السلام أحد أقطاب الرواية يروي الكتاب المذكور إلى جده الإمام الهادي عليه السلام بالسند الذي أغلب رجاله من الصعديين.

وهذا السند هو ما أورده في **الطبقات الكبرى**:

يروي كتاب **الأحكام** للإمام الهادي إلى الحق الشيخ الإمام الأجل **إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث** إمام وخطيب جامع الإمام الهادي المتوفى بصعدة سنة 555هـ، عن **عبد الرزاق بن أحمد**، ورواه **عبد الرزاق بن أحمد** عن الشريف **علي بن الحارث** وعن **أبي الهيثم يوسف بن أبي العشيرة**، وهما رواياه عن **الحسن بن أحمد الضهري** إمام مسجد الإمام الهادي، عن **محمد بن أبي الفتح**، عن الإمام **المرتضى لدين الله** عن أبيه المؤلف **الهادي إلى الحق**. ورواه عنه الإمام المتوكل على الله **أحمد بن سليمان** قال: مناولة وهو بخطه.

قال في **الطبقات**: ومن طريقه اتصلت بيوسف بن أبي العشيرة كتب الهادي إلى الحق في الأصول وغيرها وولده **محمد بن الهادي** عليهما السلام.

***

فلما كان الأمر حسبما قدمناه، والإسناد مجتمع إليهم مثلما حررناه، رغبَ الراجي عفو ربه ومغفرته في الخير بإفراد هذا البرنامج(64)، وهو:

(إسناد قراءة مسلسلة بالشيوخ والعلماء الصعديين)

من علماء عصرنا الحالي إلى أن انتهي بذلك الإسناد إلى الأقطاب الأربعة المذكورين آنفا. رجاءً في نيل المثوبة من الله العلي القدير بذكر الصالحين من علماء هذه المدينة، التي هي مؤسسة على التقوى، فهي الحوزة الطالعة في أفقها نجوم الهداية وأنوارها، المشرقة في قطرها شموس الدراية وأقمارها، أفاض الله عليها مواد حفظه وحراسته، وأسبل عليها شآبيب حمايته وكلايته، ومحبةً أيضا في تقييد ما اطلعت عليه في مطالعاتي المتكررة للإجازات والكتب العلمية والمجاميع المخطوطة من متفرقات هذا الإسناد الفريد، إذ قد أبلغت الجهد والجمع لهذا البرنامج حتى اتصل بحمد الله سند القراءة اتصالا صحيحا، متسلسلا جميعه **بالعلماء الصعديين** دون سواهم، ليكون ذلك الإسناد من الشواهد الدالة على كون مدينة صعدة من حواضر مدن الإسلام قديما

(64) البرنامج قال الحافظ أحمد بن سعد الدين: برنامج إسناد نحو الدفتر الذي يحفظ به، كتب ذلك الإمام عز الدين في ديباجة إجازة شيخه العامري له.

وحديثا، وأن مدارس العلم لم تخل منها في وقت من الأوقات، أو في عصر من العصور، ليزيد أهل عصرنا ارتباطا بالعلم والمحافظة على مدارسه وحلقاته العلمية ومشايخه، حرسها الله بالصالحين والعلماء العاملين.

وهذا أوان الشروع، وبالله الثقة وعليه الاعتماد:

الإسناد المسلسل بالصعديين
(1)

اعلم هداني الله وإياك أن ترتيب هذا الإسناد جاء على خمس طبقات، وكل طبقة متصل إسنادها بمن قبلها، وإسناد أولى هذه الطبقات:

أن السيد العلامة النسابة المسند صلاح الدين **صلاح بن الجلال** متتم (كتاب **النكاح من شفاء الأوام**) وصاحب المشجر المعروف بـ(**مشجر الجلال**) المتوفى بصعدة سنة 805هـ قرأ على شيخه السيد الإمام جمال الدين **الهادي بن يحيى بن الحسين** صاحب (**تعليقة اللمع المسماة الشرفية**) المتوفى بصعدة سنة 784هـ، والسيد الهادي: قرأ على والده سيد المذاكرين وفقيه العلماء السيد عماد الدين **يحيى بن الحسين** صاحب (**الياقوتة**) و(**الجوهرة**) المتوفى سنة 729هـ. وعلى الفقيه العلامة المذاكر عماد الدين **يحيى بن الحسن البُحَيْح الصعدي** صاحب (**التعليقة على اللمع**) المتوفى نحو سنة 730هـ. وعلى القاضي العالم عماد الدين **يحيى بن الحسن الأعرج** المتوفى نحو سنة 740هـ. **وثلاثتهم** قرأوا على العالم الكبير والفاضل الشهير كعبة الشرعيين الأمير **المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى** بن أحمد بن يحيى بن يحيى المتوفى سنة 703هـ، وهو قرأ على حامل لواء العلوم ومصنف (**الشفاء**) و(**التقرير**) الأمير **الحسين بن بدر الدين** المتوفى برغافة سنة 662هـ، وعلى القاضي العلامة جلال الدين **محمد بن عبد الله بن معرِّف** صاحب كتاب (**الصفي**) و(**البيان**) المعروف ببيان ابن معرف المتوفى بعد سنة 659هـ، وعلى الشيخ العلامة المفسر محي الدين **عطية بن محمد بن أحمد النجراني** صاحب (**التفسير المعروف بالبيان**) المتوفى سنة 665هـ، **وثلاثتهم** قرأوا على الأمير العالم الشهير سيد المحققين جمال الدين **علي بن الحسين بن يحيى بن يحيى** مؤلف (**اللمع في فقه أهل البيت**) المتوفى نحو سنة 646هـ، وهو قرأ على الشيخ العلامة محي الدين **محمد بن أحمد النجراني** المتوفى سنة 603هـ وعلى الأميرين الجليلين شيخي آل الرسول **شمس الدين وبدره يحيى** المتوفى سنة 606هـ ومحمد

المتوفى سنة 624هـ ابني **أحمد بن يحيى بن يحيى**، والأميران المذكوران ممن أخذوا على عالم الشيعة الزيدية القاضي جمال المسلمين **جعفر بن أحمد بن عبد السلام**، وعلى الإمام المتوكل على الرحمان **أحمد بن سليمان** على الجميع الرحمة والسلام والرضوان.

***

(ح) وقرأ السيد **صلاح بن الجلال** أيضا على الفقيه العلامة المحدث جمال الدين **علي بن إبراهيم بن عطية النجراني** المتوفى بعد سنة 784هـ، وعلى العلامة سلطان العلماء في وقته القاضي فخر الدين **عبد الله بن الحسن الدواري** المتوفى سنة 800هـ، وعلى صنوه القاضي العلامة **علي بن الحسن الدواري** المتوفى نحو سنة 790هـ. **وثلاثتهم** ممن قرأوا على العلامة **البحيبح** المتقدم الذكر، وهو قرأ أيضا على الفقيه العلامة **يحيى بن أسعد بن ذياب**، وهو قرأ على الفقيه العلامة المسند مؤيد الدين **محمد بن أسعد بن المنعم الصعدي**، وهو قرأ على حاكم المسلمين بصعدة القاضي تقي الدين **عبد الله بن محمد بن عبد الله** بن حمزة بن إبراهيم بن حمزة بن أبي النجم مؤلف (**درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية**) المتوفى بصعدة سنة 647هـ، وهو قرأ على أبيه حاكم المسلمين بصعدة القاضي ركن الدين **محمد بن عبد الله بن أبي النجم** المتوفى سنة 613هـ، وهو قرأ على أبيه القاضي العلامة الكبير **عبد الله بن حمزة بن أبي النجم**، وهذا القاضي أخذ عن أعلام وشيوخ الرواية والدراية في زمانه، وهم: الإمام **أحمد بن سليمان** عليه السلام، وشيخ الإسلام **زيد بن الحسن الخراساني البيهقي**، والسيد تاج العترة **الحسن بن عبد الله المهول**، والقاضي شيخ الأئمة **جعفر بن أحمد بن عبد السلام**.

(ح) والسيد **صلاح بن الجلال** أيضا قرأ على شيخه السيد جمال الدين **الهادي بن يحيى**، وهو قرأ على القاضي العالم **يحيى بن حسن الأعرج**، وهو قرأ على الفقيه عفيف الدين **محمد بن أحمد بن موسى النجاري الصعدي**، وهو قرأ على الفقيه المسند مؤيد الدين **محمد بن أسعد بن المنعم** بالسند المتقدم.

***

(ح) وقرأ السيد **صلاح بن الجلال** أيضا على شيخه السيد العلامة **المهدي بن صلاح الجلال** صاحب (**التيسير للروضة والغدير**) وغيرها من المؤلفات المتوفى سنة 776هـ، وهو قرأ على مشايخ عدة، وهم: الإمام المهدي **علي بن محمد** المدفون بصعدة سنة 774هـ، والفقيه العلامة **جار الله بن أحمد الينبعي**، والسيد جمال الدين **الهادي بن يحيى بن الحسين** مصنف

الشرفية، والسيد جمال الدين قرأ على مشايخه المتقدم ذكرهم، منهم والده السيد **يحيى بن الحسين** مصنف **الجوهرة**، وهو قرأ على الفقيه العلامة إمام المذاكرين **محمد بن سليمان بن أبي الرجال** المتوفى بصعدة سنة 730هـ، وهو قرأ على الأمير **المؤيد بن أحمد** بالسند المتقدم.

***

(ح) وقرأ السيد **صلاح بن الجلال** أيضاً على الشيخ العلامة نظام الدين **إسماعيل بن إبراهيم النجراني** المتوفى سنة 794هـ، والشيخ نظام الدين قرأ على الفقيه العلامة النحرير **مطهر بن محمد بن تريك الصعدي** المتوفى سنة 748هـ، وعلى صنوه العلامة المحدث **علي بن إبراهيم النجراني**، وعلى القاضي العلامة بدر الدين **محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم** مصنف (**الذريعة**) في الفقه المتوفى بعد سنة 740هـ، وعلى الفقيه العلامة الفاضل **محمد بن علي المذاهبي**، وعلى الفقيه العالم **علي بن إبراهيم بن علي بن شيبان الصعدي**، وكلهم ممن ترجع قراءتهم إلى العلامة **البحيبح** وشيخه الأمير **المؤيد بن أحمد** بالسند المتقدم إلا العلامة **علي بن إبراهيم شيبان** فانفرد مع ذلك: بالأخذ على الإمام فريد عصره وشامة دهره **علي بن صلاح بن الإمام إبراهيم بن تاج الدين** المتوفى سنة 730هـ، والإمام المذكور قرأ على والده الأمير العالم الخطير **صلاح بن الإمام إبراهيم بن تاج الدين** (**متتم كتاب الشفاء**) المتوفى نحو سنة 710هـ، وهو فقرأ على أعلام سادات عصره: أولهم الإمام المنصور بالله **الحسن بن بدر الدين** مؤلف (**أنوار اليقين في إمامة أمير المؤمنين**) المتوفى سنة 670هـ، وثانيهم صنوه الأمير **الحسين بن بدر الدين** مصنف (**شفاء الأوام**) و(**التقرير**) وغيرها من المصنفات الفائقة، وثالثهم ابن أخيهم الأمير العالم الصدر **الهادي بن تاج الدين**. وكلهم ترجع قراءتهم إلى والدهم الأمير الكبير شيخ آل الرسول بدر الدين **محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى** بالسند المتقدم، إلا الأمير **الهادي بن تاج الدين** فأضاف مع ذلك: الأخذ عن حاكم المسلمين بصعدة القاضي تقي الدين **عبد الله بن محمد بن أبي النجم** مؤلف **درر الأحاديث النبوية**، وهو بالسند المتقدم.

***

(ح) وقرأ السيد **صلاح بن الجلال** أيضا على الفقيه المحدث الحافظ **أحمد بن سليمان الأوزري الصعدي** المتوفى بها سنة 790هـ، وهو في الأغلب أخذ عن الفقيه إمام المذاكرين **محمد بن سليمان بن أبي الرجال**، وهو أخذ عن السيد **صلاح بن الإمام**

إبراهيم بن تاج الدين بسند قراءته المتقدم.

***

وقرأ السيد صلاح بن الجلال أيضا على شيخه السيد الإمام جمال الدين **الهادي بن يحيى** صاحب **الشرفية** المتقدم الذكر، وهو عن الفقيه العلامة بدر الدين **محمد بن أحمد بن حسن بن عواض السفياني**، والفقيه بدر الدين المذكور قرأ على والده **أحمد بن حسن** صاحب (**الشروح الستة**) المنتزعة من شرح القاضي زيد، وعلى الأمير **المؤيد بن أحمد**، وعلى الشيخ **عطية بن محمد النجراني**، وعلى الفقيه **محمد بن أسعد المنعم الصعدي**، أما مشايخه الثلاثة المذكورين فتقدم ذكر إسناد قراءتهم قريبا، بقي قراءة والده الفقيه **أحمد بن حسن بن عواض**، فوالده المذكور قرأ كتب الأخبار عن والده **حسن بن عواض**، وعن الأمير تاج الدين **أحمد بن الأمير بدر الدين**، وعن صنوه الأمير **الحسين بن بدر الدين**، وقراءة الأميرين الأخوين كانت على والدهما الأمير الكبير بدر الدين **محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى**، والأمير **بدر الدين** مع قراءته على الإمام **أحمد بن سليمان** والقاضي **جعفر** المتقدم ذكرها: أخذ أيضا وروى عن السيد العلامة تاج العترة **الحسن بن عبد الله** المعروف بابن **المهول** الوارد من اليمن إلى مقام العلامة **أحمد بن أبي الحسن الكني** بالري في سنة 552 للأخذ عنه، والكني ممن أخذ وقرأ على شيخ الإسلام الحافظ **الحسن بن زيد الخراساني البيهقي**.

***

ومن طبقة تلامذة العلامة البُحَيْبح: الفقيه الفاضل جمال الدين **علي بن محمد بن مقبل** بن عبد الله بن يحيى النجاري الخزرجي الأنصاري، مؤلف كتاب (**حدائق الياسمين الناشئة من عيون الحجج والبراهين**) وهو في مجلدين مبوب على أبواب الفقه، فرغ من تأليف الجزء الأول منه شهر رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وهذا العلامة هو من البيت الشهير بمدينة صعدة، وكان من أعيان شيعة الإمام **محمد بن المطهر** وأحد تلامذته، ولم أقف على تلامذته ولا على سند قراءته عن شيوخه الصعديين، وهي راجعة بلا ريب إلى الأقطاب الأربعة، والله الموفق.

الإسناد المسلسل بالصعديين
(2)

وذلك أن الإمام المؤتمن الهادي إلى الحق أبا الحسن **عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد** شارح **البحر الزخار**، ومؤلف كتاب **المعراج** في أصول الدين وغيرها من المؤلفات الفائقة المتوفى سنة 900 تسعمائة للهجرة عليه وعلى آبائه السلام، قرأ على والده وعلى شيخه القاضي **علي بن موسى الدواري**، قال العلامة **الزحيف** وغيره في ذكر مشايخ الإمام **عز الدين** وطلبه للعلوم: (ابتدأ طلب العلم في وطنه، يعني هجرة فلله قال: ثم قصد صعدة، فقرأ فيها على شيوخ عدة رئيسهم وأشهرهم القاضي العلامة **علي بن موسى الدواري** أخذ عنه أكثر الفنون وصنَّف فيها وما قد تمَّ له من السنين عشرون) انتهى كلامه. قال السيد **داود بن الهادي**: وله عليه السلام إليه أبيات فائقة يطلب منه الإقبال عليه والإسعاد ففعل جزاه الله خيرا والأبيات:

أحافظ آثار النبي محمد وعارف مضمون الأحاديث عن

قال: وهي مرقومة في بعض كتبنا التاريخية بخطه عليه السلام انتهى كلامه، ومن تلامذته أيضا السيد صارم الدين **إبراهيم بن محمد الوزير** قرأ عليه بصعدة وصنعاء في الأصولين والعربية، وللسيد صارم الدين إليه أبيات القصيدة السينية التي أولها:

أما العلوم فقد أقوت مدارسها وقل في الناس واعيها ودارسها

ومنها في ذكر شيخه المذكور:

لأرحَلنّ بكتبي فوق عرمسة من النجائب تنميها عرامسها
إذا استويت عليها وانبرت عنقاً فالأمن قائدها واليمن سائسها
إلى ابن موسى الذي طابت أرومته بحر العلوم وواعيها ودارسها
من للضلالة نافيها ودافعها وللجهالة ماحيها وطامسها
شيخ العلوم ومحييها بصعدته ومَنْ به تنجلي عنها حنادسها
ومن إذا أعْيت الأعلام مسألة لم يوجد النص فيها فهو قايسها

***

قلت: ونبدأ أولاً بذكر:

(سند قراءة والد الإمام عز الدين)

وهو السيد شرف أعلام العترة **الحسن بن الإمام علي بن المؤيد** المتوفى سنة 891هـ، وقراءته كانت على والده الإمام الهادي إلى الحق **علي بن المؤيد بن جبريل** المتوفى سنة 836هـ، وهو قرأ على عدة من العلماء، منهم: القاضي العلامة المحقق **محمد بن حمزة بن مظفر** المتوفى بصعدة سنة 808هـ صاحب التصانيف العديدة في علم التفسير وغيرها منها كتاب (**البرهان**) المشتمل على عشرين فناً من أنواع العلوم، وقرأ أيضا الإمام **علي بن المؤيد** على القاضي سلطان العلماء **عبد الله بن الحسن الدواري** المتقدم الذكر، وقرأ أيضا على العلامة **ناجي بن مسعود الحملاني**. فمشايخ الإمام **علي بن المؤيد** من العلماء الصعديين ثلاثة، كما تقدم ذكرهم، كلهم يرجع سند قراءتهم إلى العلامة **يحيى بن الحسن البحيبح**.

أما شيخه العلامة **ناجي الحملاني** فقرأ على الفقيه العلامة المذاكر **علي بن يحيى الوشلي الصعدي** صاحب التعليق على اللمع الموسوم (**بالزهرة**) المتوفى بصعدة سنة 777هـ، **والوشلي** قرأ على العلامة **البحيبح** تحقيقا، وهو أبرز تلامذته، فانتهت قراءة الجميع إلى العلامة **البحيبح**، وهو فبالسند المتقدم.

قلت: والظاهر أن والد الإمام **عز الدين** وهو السيد **الحسن بن الإمام علي بن المؤيد** قرأ أيضا على الفقيه **محمد بن ناجي الحملاني** المتوفى سنة 840هـ إذ هو من طبقة مشايخه وخال بعض إخوته أيضا، إذ كان الإمام **علي بن المؤيد** متزوجا بابنة شيخه العلامة **ناجي بن مسعود الحملاني** فليعلم ذلك. قلت: والعلامة **محمد بن ناجي بن مسعود الحملاني** له عدة شيوخ، منهم والده **ناجي بن مسعود**، والسيد **صلاح بن الجلال**. أما الأول وهو والده **ناجي بن مسعود** فتقدم سند قراءته قريبا، أما الثاني وهو السيد **صلاح بن الجلال** فقد أجاز للعلامة **محمد بن ناجي** المذكور جميع ما ذكر من مسموعاته ومجازاته عن شيوخه المتقدم سند قراءتهم على جهة التفصيل أول هذا البرنامج فقال: (أجزت ذلك للفقيه العلامة **بدر الدين** سليل العلماء الراشدين على الشروط المعتبرة عند العلماء وذلك في جمادى الأولى سنة ست وثمانين وسبعمائة) انتهى بلفظه وحروفه.

(سند قراءة الدواري شيخ الإمام عز الدين)

وهو خاتمة العلماء المحققين في وقته القاضي جمال الدين **علي بن موسى بن علي الدواري** المتوفى سنة 881هـ، وكان يعرف بطبلخانة العلم، وقراءته كانت على السيد الإمام جمال الدين **علي بن محمد بن أبي القاسم** مصنف **تجريد الكشاف**، أما شيوخه من العلماء الصعديين فالأغلب أنه قرأ على صنوه حاكم المسلمين القاضي العلامة **يحيى بن موسى الدواري** المترجم له عند **السخاوي** في **الضوء اللامع**، وكان موجودا على رتبة القضاء سنة 840هـ، وهو قرأ على والده القاضي **موسى بن علي بن موسى** بن علي بن سليمان الدواري، مصنف كتاب (**الإيضاح الكاشف لمعاني المصباح**)، ومصنف **الإيضاح** قرأ على والده القاضي العلامة **علي بن موسى الدواري** الحاكم بصعدة أيام الإمام **يحيى بن حمزة**، وهو أخذ عن الإمام **يحيى بن حمزة** عليه السلام مصنف **الانتصار**، وعن الفقيه العلامة إمام المذاكرين **محمد بن سليمان بن أبي الرجال** المتوفى بصعدة سنة 730هـ، وهو بسنده المتقدم، وقرأ أيضا على والده القاضي **موسى بن علي الدواري** صاحب (**التعليق على اللمع**)، وهو قرأ على والده القاضي العلامة عفيف الدين **علي بن سليمان الدواري** صاحب كتاب (**مصباح الشريعة المحمدية المختار من علوم أئمة الزيدية**) الذي صرح في الكتاب المذكور بالرواية عن الشيخ العلامة **عطية بن محمد النجراني**، وعن القاضي **محمد بن عبد الله بن معرف**، فهما من مشايخه، وقراءته كانت عليهما، والعلامة **ابن معرَّف** قد صحت قراءته على الأمير **علي بن الحسين** صاحب **اللمع**، وهو قرأ على ابن عميه الأميرين الكبيرين، وهما قرأ على أعلام الرواية والدراية في عصرهم. قلت: وهذا السند فيه فائدة عزيزة الوجود ولله الحمد والمنة.

***

ومن طبقة شيوخ الإمام عز الدين عليه السلام الصعديين: القاضي العلامة حاكم المسلمين بصعدة جمال الدين **علي بن محمد بن علي الهاجري الصعدي الدواري** المتوفى سنة 874هـ شارح **الأزهار** المترجم له في **المطلع** وغيره، وله شرح أيضا على **التذكرة**، وتلميذه هو الفقيه العلامة المحقق في الفروع **حسين بن محمد الذويد**، وهو أحد شارحي **الأزهار** أيضا، وله شرح أيضا على **التذكرة** للنحوي، ولم أقف على تاريخ وفاته، وهي في نحو عشر الثمانين وثمانمائة والله أعلم.

ومنهم الفقيه العلامة **يحيى بن جابر بن حجاج الصعدي البصري**، وكان فقيها

مجودا، شرح **التذكرة** النصف الأول منها، قال مترجموه: وهو زميل السيد **عبد الله بن الهادي بن إبراهيم الوزير** المتوفى مع أمه بصنعاء الفاضلة مهدية بنت القاضي **عبد الله بن الحسن الدواري** في الفناء الأعظم سنة 840هـ، ذكر في **المطلع والطبقات** انه تزامل معه أثناء قراءته بصعدة على مشايخه، وهم: السيد **صلاح بن الجلال** المتقدم ذكره في أول هذا البرنامج، والقاضي **أحمد بن حابس** شيخ أهل وقته في علم الفرائض خصوصا، وإليه انتهى إسناد كتبها، والفقيه العلامة بدر الدين **محمد بن عبد الله النجاري** مفتي صعدة في زمانه، وقرأ السيد **عبد الله بن الهادي** المذكور أيضا على خاله القاضي **أحمد بن عبد الله بن الحسن الدواري** مؤلف **(التلفيق بين اللمع والتعليق)** المتوفى محرما سنة 809هـ، وهؤلاء الأربعة المشايخ هم المتصدرون في أيامهم للتدريس في العلوم بمدينة صعدة، وشيخهم جميعا القاضي **عبد الله بن الحسن الدواري**، وهو بسنده المتقدم.

ومنهم أيضا الشيخ الإمام العالم شرف الدين **إسماعيل بن أحمد بن عبد الله** بن إبراهيم بن عطية بن محمد النجراني الصعدي ثم الصنعاني، وكان هذا الشيخ **شرف الدين النجراني** رحمه الله تعالى محققا في علم التفسير والأصول والفرائض وأخبار الناس وفي علم الأنساب متفردا في ذلك لا يشق له غبار، وسكن صنعاء وبها في الأغلب وفاته بعد سنة 860هـ إلا أن من شيوخه الصعديين ما وقفت عليه بخط السيد **علي بن داود بن الهادي** في ذكر سماع كتاب **الكشاف** ولفظه: سماع سيدنا **أحمد بن محمد بن عقبة** على القاضي العلامة **محمد بن أحمد بن مرغم**، بحق سماعه له على الشيخ العلامة **إسماعيل بن أحمد النجراني**، بحق سماعه له على الفقهيين الإمامين **علي بن أحمد** يعني عقبة، **ويحيى بن الحسن القرشي**، على الشيخ العلامة **إسماعيل بن إبراهيم بن عطية النجراني**، وهو سمعه على الفقيه العلامة **مطهر بن محمد بن تريك** انتهى المنقول من تلك الوجادة، والمذكورون فيها من الشيوخ الصعديين إلا العلامة **ابن مرغم** فهو من علماء صنعاء وكان يعرف بعالم اليمن في وقته، وتأخرت وفاته إلى سنة 931هـ وقد أخذ عنه جملة من علماء صعدة، رحلوا إليه للقراءة إلى وادي السر مشارق صنعاء، أجلهم السيد **المرتضى بن قاسم القطابري** الأصل، والقاضي **عبد الله بن علي الذويد**، والفقيه **أحمد بن محمد عقبة**، والعلامة **يحيى بن محمد بن حرمل الصعدي**، والفقيه العلامة **محمد بن يحيى بن بهران**، وغيرهم الكثير.

ونذكر أبرز العلماء الصعديين من طبقة الإمام عز الدين فهم أهل تحقيق ورواية وإسناد، وإنما أضاع اتصال قراءاتهم عدم التدوين، منهم الفقيه العلامة **علي بن عبد الله**

بن سليمان الرقيمي صاحب (**التحفة في الأخبار النبوية**)، و(**حاشية الأزهار**) المعروفة بحاشية الرقيمي، وكان عالما فاضلا، وهو ممن زامل الإمام **عز الدين** في القراءة ونزل معه إلى حرض لسماع الحديث على العامري، وكانت وفاته سنة خمس وتسعمائة، وقبره يلي محراب الجامع بيسنم جامع الإمام **عز الدين بن الحسن** المعروف بجامع **ابن حجاج**، وله تلامذة ومشايخ بصعدة، فمن شيوخه الفقيه بدر الدين **محمد بن علي بن جعفر بن قدَايِد الصعدي**(65)، ومن تلامذته الفقيه العلامة **أحمد بن محمد بن حسن** بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن عقبة، المعروف بالذيبني، هكذا وقفت عليه بخطه، ومولده بصعدة ربيع الآخر سنة 879هـ ونشأ بساقين مغارب صعدة، وله شرح على **التذكرة**، عاقت عن إتمامه محاجزات الأيام ووارد الحِمَام إذ توفي بصنعاء عشية السبت خامس عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وتسعمائة، وله ترجمة في المطلع وفي المستطاب أيضا، وهو في الأغلب ممن له سند قراءة متصل بآبائه، فأحسبه قرأ على والده العلامة **محمد بن الحسن عقبة** المتوفى بصعدة سنة 916هـ، وهو عن والده العلامة **الحسن بن أحمد عقبة** المتوفى بصعدة سنة 856هـ، وهو عن أخيه العلامة المحدث **علي بن أحمد عقبة** المتقدم ذكره في الوجادة قريبا، قال مترجما له في المطلع: كان رحمه الله كما قال بعض العلماء الجلة فيه: إمام العلوم، ترجمان المظنون منها والمعلوم، فنيت كهولته وشيخوخته في طاعة خالقه، ومضى من الشرع الشريف على حقائقه، توفي رحمه الله في شهر ذي الحجة سنة أربعين وثمانمائة، وقبر شرقي جامع ساقين، وقبره مشهور مزور، وهو أول من نزل بساقين من هذا البيت المبارك انتهى كلامه.

ومنهم الفقيه العلامة **محمد بن يحيى مرغم** وكان من أعيان علماء شيعة صعدة أيام دعوة الإمام **عز الدين**، والظاهر أن من شيوخه القاضي **علي بن موسى الدواري**، وأخذ عنه ولده العلامة **يحيى بن محمد مرغم**، المتوفى سنة 909هـ.

ومنهم القاضي العلامة شمس الدين **أحمد بن علي بن محمد بن علي الهاجري الدواري الصعدي** رحمه الله، وهو من تلامذة والده حاكم المسلمين بصعدة القاضي **علي بن محمد**

(65) يغلب في الظن أن العلامة ابن قدايد الصعدي هذا قرأ على الشيخ الفقيه إبراهيم بن حسن بن حسين النحوي رحمه الله، الذي يروي كتب الحديث عن شيوخه وهم السيد العلامة الحافظ يحيى بن علي بن المرتضى والمشايخ الثلاثة الفقهاء الصعديين المحدثين علي بن أحمد بن محمد بن عقبة، ومحمد بن سليمان الشقري، وصالح بن سليمان الآنسي، وكل شيوخه المذكورين يروون عن الشيخ المحدث أحمد بن سليمان الأوزري المتوفى بصعدة سنة 790هـ، والله أعلم (مؤلف).

شارح **الأزهار**، ورأيت أن العلامة المحدث **يحيى بن أبي بكر العامري**، أشركه في الإجازة في كتب الحديث مع الإمام **عز الدين بن الحسن** والعلامة الرقيمي، وقد ترجم له في المطلع وقال: ولعله شارح (**المدخل في علم المعاني والبيان**) تصنيف عضد الدين الأيجي، وكان فراغه من تسويده في أواخر شهر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة بالجراف قبلي مدينة صنعاء، قلت: وإنما انتقل إلى صنعاء، للسبب الذي ألمح إليه العلامة **ابن فند** في **مآثر الأبرار** أنه انتقل من أهلِ صعدة للسكنى بمدينة صنعاء في أيام **محمد بن الناصر** حلل كثيرة تقارب من مائة حلّة، وذلك لعدله وحسن صحبته لهم، ومما وقفت عليه في نسخة قديمة من كتاب **مآثر الأبرار** ما لفظه: ولنذكر ما قاله سيدنا القاضي العلامة **أحمد بن** سيدنا القاضي العلامة حاكم المسلمين **علي بن محمد الهاجري** في تسمية هذه القصيدة (يقصد بسامة العلامة **ابن الوزير**) وذكر ناظمها:

هذي القصيدة تدعى أعذب الخبر ... في ذكر ما أبدت الدنيا من الغير
من نظم أوحد واري الزند ذي همم ... في العلم والمجد والعليا من صغر
هذا الذي حاز أوصاف الكمال معاً ... عن خبرة قلت هذا ليس من خبر
نجل العرانين من أبناء حيدرة ... حلو الشمائل سبط السادة الغرر

ومنهم العلامة المؤرخ الأديب الكبير **محمد بن علي بن يونس بن فند المعروف بالزحيف** المتوفى بصعدة سنة 920هـ ولم أقف على شيوخه الصعديين، إلا أنه من أقران تلامذة القاضي **علي بن موسى الدواري**، وفي مرتبتهما علما وإسنادا وقراءة، فليعلم ذلك. ويلحق به أو يكاد القاضي العلامة **عبد الله بن علي بن يحيى الذويد** المتوفى سنة 934هـ وهو في زمانه أحد القضاة المعتبرين في إمضاء الأحكام في صعدة وفلله ونواحيها، معتبر عند أئمتها، وكان ممن تفرد بإقراء **التذكرة** في تلك الأزمان، يفد إليه العلماء للقراءة فيها وفي غيرها، ترجم له بهذه الألفاظ العلامة المقرائي في كتابه **مكنون السر**، والظاهر أنه شيخ كثير من علماء صعدة في وقته، منهم السيد **أحمد بن الإمام عز الدين** وولده **يحيى**، والسيد **داود بن المهدي بن الإمام عز الدين**، والفقيه **محمد بن يحيى بن بهران**، وغيرهم. أما هو فأخذ فيما أحسب عن العلامة **الحسين بن محمد الذويد**، وهو أخذ عن شيوخه الصعديين منهم القاضي جمال الدين **علي بن محمد الهاجري الدواري**، وهو أخذ عن شيوخه الصعديين المنتهي قراءتهم إلى مشايخ السيد **صلاح بن الجلال** المتقدم ذكرهم والله أعلم.

***

الإسناد المسلسل بالصعديين
(3)

وذلك أن القاضي العلامة حاكم المسلمين بصعدة شمس الشريعة **أحمد بن يحيى بن أحمد حابس الدواري الصعدي** شارح (**الكافل**) ومصنف (**المقصد الحسن**) و(**تكميل شرح الأزهار**) المتوفى بصعدة سنة 1061هـ، له عدة من الشيوخ الصعديين، منهم السيد العلامة الكبير **داود بن الهادي بن أحمد** بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن المتوفى سنة 1035هـ شارح (**المعيار**) و(**الأساس**) وغيرها من المؤلفات، وقرأ أيضا على أبيه القاضي العلامة حاكم المسلمين بصعدة **يحيى بن أحمد حابس** المتوفى سنة 1040هـ. ولكل منهما طريق في إسناد قراءته؛ نأتي على ذكرها فنقول:

فصل في سند قراءة السيد داود بن الهادي

فهو رضوان الله عليه قرأ على عدة من أكابر العلماء الصعديين، منهم الإمام المتوكل على الله **عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين** المتوفى سنة 1017هـ، ومنهم السيد العلامة **محمد بن الإمام أحمد بن عز الدين** (جامع فتاوى جده الإمام عز الدين) المتوفى سنة 1013هـ، ومنهم خاله السيد العلامة النحوي **الطيب بن داود بن المهدي** المعروف بسبيويه لتحقيقه في النحو وفنونه الثلاثة المتوفى سنة 1024هـ، ومنهم القاضي العلامة الخلاصة **أحمد بن صلاح الدواري** مصنف (**تعريف أولي الألباب في الثقة والمجروح من الأصحاب**) المتوفى سنة 1018هـ، ومنهم السيد العلامة **أحمد بن يحيى بن أبي القاسم الرغافي** المتوفى سنة 1015هـ، ومنهم القاضي العلامة حاكم المسلمين بصعدة **عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران** المتوفى سنة 1016هـ. هؤلاء الستة هم مشايخ السيد **داود بن الهادي**:

فشيخه الأول:

وهو الإمام **عبد الله بن علي المؤيدي** فقرأ على الإمام الهادي **أحمد بن عز الدين** المتقدم الذكر، وقرأ أيضا على السيد العلامة عماد الدين **يحيى بن أحمد بن الإمام عز الدين** المتوفى بعد 940هـ، وعلى ولده السيد المدرة **محمد بن يحيى بن أحمد** المتوفى سنة 965هـ، وهذان

السيدان هما اللذان عناهما الإمام شرف الدين **يحيى بن شمس الدين** عليه السلام بقوله:

إذا كنت في مدح الأفاضل تبتدي ... فلا تبتدي إلا بيحيى بن أحمد
هو السيد المفضال والعلم الذي ... له في ذرى العليا أشرف مقعد
ومن نجله علامة ومطهر ... محمدنا يا حبذا من محمد

وقراءة السيد عماد الدين وولده محمد المذكورين كانت على والدهما السيد العلامة النحوي **أحمد بن الإمام عز الدين بن الحسن** مصنف كتاب (**أحوال الإمامة**) المتوفى في الفناء الأعظم أوائل شهور سنة 941هـ، وهو فقرأ على الفقيه **عبد القادر بن محمد الذماري**، وعلى والده الإمام **عز الدين بن الحسن** وهو بسنده المتقدم.

وشيخه الثاني:

وهو السيد **محمد** رحمه الله فقرأ على والده الإمام الهادي **أحمد بن عز الدين بن الحسن** بن الإمام عز الدين بن الحسن المتوفى سنة 987هـ، والإمام عليه السلام قرأ على من قرأ[66] على علامة عصره وأعجوبة زمانه القاضي عز الدين **محمد بن يحيى بن بهران الصعدي** المتوفى بصعدة سنة 957هـ مصنف (**المعتمد**) و(**متن الكافل**) و(**تخريج البحر**) و(**شرح الأثمار**) و(**التكميل الشاف**) في التفسير وغيرها من المصنفات في شتى الفنون، وهو كانت قراءته على عدة من الشيوخ الصعديين، منهم السيد العالم الكبير **المرتضى بن قاسم القطابري** الأصل نزيل صنعاء والمتوفى بها سنة 931هـ، ومنهم الفقيه العلامة **يحيى بن محمد بن إبراهيم حرمل الصعدي** المتوفى بصعدة في الفناء الأعظم أواخر سنة 940هـ[67].

قلت ومن طبقة مشايخ العلامة **محمد بن يحيى بن بهران**: الإمام الناصر لدين **الحسن بن عز الدين** المتوفى سنة 929هـ وولده الإمام **مجد الدين بن الحسن** المتوفى سنة 942هـ ويعتبر **ابن بهران** في مقام المتلقي عنهما والآخذ عليهما، وبالأخص عن الإمام

(66) الواسطة بينهما هو العلامة الفقيه محمد بن علي بن عمر الضمدي، ولا يمنع أنه قرأ على ابن بهران مباشرة، فالموانع مرفوعة، لكن ما ذكرته هنا هو ما وقفت عليه في مطالعاتي.

(67) يغلب في الظن أن من مشايخ العلامة ابن حرمل الصعدي: السيد العلامة علي بن صلاح بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد، والقاضي عبد الله بن علي بن يحيى الذويد المتقدم ذكره ومن في طبقتهما من علماء صعدة في أوائل القرن العاشر الهجري.

الحسن بن عز الدين، وهو قرأ على والده الإمام **عز الدين بن الحسن** عليه السلام.

وشيخه الثالث:

وهو خاله السيد **الطيب بن داود بن المهدي بن الإمام عز الدين** رحمه الله فقرأ على الإمام الناصر لدين الله **الحسن بن علي بن داود** بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد المتوفى أسيرا بتركيا سنة 1025هـ[68].

وشيخه الرابع:

وهو العلامة **أحمد بن صلاح الدواري** فقرأ على السيد المفتي **محمد بن عز الدين بن صلاح** بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد المتوفى بصعدة سنة 973هـ مؤلف **(الحاشية على الحاجبية)** المعروفة **بحاشية السيد** في النحو[69]، وقرأ **الدواري** أيضا على الإمام **الحسن بن علي بن داود**.

وشيخه الخامس:

وهو السيد العلامة **أحمد بن يحيى بن أبي القاسم الرغافي**[70]، لم أقف على مشايخ قراءته، وكان ممن تولى القضاء للإمام **أحمد بن عز الدين**.

---

(68) والمحقق منه أن قراءة الإمام الحسن بن علي بن داود كانت في جهات الشرف وصنعاء على مشايخ هناك ذكروا في ترجمته في الطبقات، ولكن قراءته في أول الطلب كانت على علماء مدينة صعدة، فيغلب في الظن أن منهم السيد المفتي صاحب الحاشية وغيره والله أعلم.

(69) والمحقق منه أن السيد المفتي محمد بن عز الدين صاحب الحاشية أخذ على مشايخ العلم بصعدة، وغالب الظن أنه قرأ على الإمام مجد الدين بن الحسن أو على من قرأ عليه، وكان هذا الإمام في علوم العربية نسيج وحده، وله شرح على الموشح، وقراءته كانت على مشايخ عدة، وأكثر قراءته على والده الناصر الحسن بن عز الدين المتوفى سنة 929هـ، وعلى حي الفقيه العلامة وجيه الدين عبد القادر بن حسين الذماري المتوفى بعد سنة 907هـ، وهما قرأ على الإمام عز الدين بن الحسن. **ومن طبقة مشايخ السيد المفتي**: عمه السيد العلامة المقام جمال الدين علي بن صلاح بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد، وكان مقامه بمدينة صعدة وبها توفي سنة 941هـ، وهو الذي فزع إليه أتباع الإمام الوشلي لما توفي، فطلبوا منه القيام، فلم يسعدهم إلى ذلك، فاجتمعوا إلى الإمام شرف الدين فبايعوه.

(70) وقد ذكر في ترجمته أنه دخل من رغافة أيام طلبه للعلم إلى مدينة صعدة، فالظاهر أنه زامل القاضي عبد العزيز بهران في القراءة على مشايخه، ومنهم والده القاضي محمد بن يحيى بهران.

وشيخه السادس:

وهو العلامة **عبد العزيز بن محمد بهران**، فقرأ على أبيه القاضي علامة عصره **محمد بن يحيى بهران** المتقدم الذكر. (ح) وقرأ العلامة **عبد العزيز** أيضا: على القاضي **عبد الله بن محمد الدواري**، وعلى القاضي حاكم المسلمين **أحمد بن محمد حابس**، وعلى السيد المقام العلامة **داود بن المهدي بن الإمام عز الدين** المتوفى سنة 981هـ.

وكل من تقدم مِنْ مشايخه تنتهي قراءتهم إلى الإمام **عز الدين بن الحسن** ومن في طبقته وطبقة مشايخه المتقدم ذكر سند قراءتهم.

فصل في سند قراءة والد القاضي أحمد بن يحيى حابس

وهو القاضي العلامة حاكم المسلمين عماد الدين **يحيى بن أحمد بن محمد** بن أحمد بن علي بن أحمد بن مقبل حابس الدواري الصعدي، المتوفى كما أسلفنا سنة 1040هـ، وقراءته كانت على أبيه القاضي حاكم المسلمين **أحمد بن محمد حابس** (أحد مشايخ القاضي **عبد العزيز بهران** المتقدم ذكره آنفا)، وهو قرأ على اثنين.

الأول: والده القاضي حاكم المسلمين **محمد بن أحمد بن علي بن حابس** المذكور في **مآثر الأبرار** في ترجمة الإمام **الوشلي** وكان موجودا سنة 923هـ.

والثاني: على عمه حاكم المسلمين أيضا بصعدة القاضي **علي بن أحمد بن حابس**، وهو الذي جرت بينه وبين الإمام **شرف الدين** المراجعة في مسألة الخيارات التي يذكرها علماؤنا في حواشي **شرح الأزهار** وغيرها، وكان موجودا سنة 949هـ، وهما قرأ على مشايخهما الصعديين المنتهية قراءتهم إلى الإمام **عز الدين بن الحسن** وإلى من في طبقته وطبقة مشايخه من علماء المدينة الصعدية، حسبما تقدم بيانه.

***

الإسناد المسلسل بالصعديين
(4)

وذلك أن القاضي العلامة الحافظ الضابط **محمد بن أحمد بن يحيى بن جار الله مشحم الصعدي** الأصل ثم الصنعاني مؤلف كتاب (**بلوغ الأماني في أسانيد كتب الآل المطهرين بالنص القرآني**) وغيرها من المؤلفات المتوفى سنة 1181هـ، قرأ بصعدة على أبيه وجده القاضي **يحيى بن جار الدين مشحم**، وجده المذكور قرأ على حاكم المسلمين بصعدة في أيامه القاضي العلامة **عبد الله بن يحيى الفهد** المتوفى سنة 1087هـ، وهو قرأ على القاضي شمس الشريعة **أحمد بن يحيى بن أحمد حابس**، بسند قراءته المتقدم.

(ح) وقرأ أيضا القاضي **محمد مشحم** على القاضي العلامة **الحسن بن شاور**، وهو قرأ على والده القاضي العلامة **أحمد بن علي شاور** صاحب كتاب (**جواهر الأخبار في رواية آل النبي الأطهار**) المتوفى سنة 1105هـ، وهو قرأ على الإمام الناصر **إبراهيم بن محمد حوريه المؤيدي** المتوفى سنة 1083هـ صاحب التصانيف المفيدة التي منها (**تنقيح الأنظار شرح هداية الأفكار**) في الفروع أربعة مجلدات، و(**الإصباح على المصباح**) في أصول الدين، و(**المسائل المهمة في المختلف من أقوال الأئمة**) وغيرها، وهو قرأ على السيد الإمام الجهبذ **صلاح بن أحمد بن المهدي** شارح (**الهداية**) و(**الفصول**) المتوفى سنة 1044هـ، وقرأ أيضا على القاضي **أحمد بن يحيى حابس**، وعلى السيد **داود بن الهادي**، أخبرني بقراءته على الأخير سيدي **عبد الرحمن شايم** رحمه الله.

(ح) وقرأ القاضي **محمد مشحم** أيضا على القاضي العلامة **أحمد بن عبد الله طشي** المتوفى سنة 1168هـ، وهو قرأ على القاضي **يحيى بن جار الله مشحم** بالسند المتقدم؛ وقرأ أيضا على والده القاضي **عبد الله بن علي بن قاسم طشي**[71] المتوفى بعد سنة 1115هـ، ووالده القاضي العلامة **علي بن قاسم طشي** المتوفى بصعدة سنة 1069هـ هو أول من ذكر من أهل هذا البيت بالعلم، وأصلهم من غراز قبيلة جنوبي صعدة، وهو في الأغلب قرأ على القاضي شمس الشريعة **أحمد بن يحيى حابس**، قال أثناء ترجمته في **شرح الدامغة**: كان القاضي **علي بن قاسم** حاكما معتبرا أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل يقضي في جانب من المحكامة مع

(71) والظاهر أنه ممن أخذ عن القاضي يحيى بن أحمد الأسدي، والقاضي عبد الله بن يحيى الفهد.

القاضي العلامة **الحسن بن يحيى حابس** والقاضي **عبد الله بن يحيى الفهد** انتهى.

(ح) وقرأ القاضي محمد مشحم أيضا على السيد العلامة **إسماعيل بن إبراهيم بن الهادي حطبة** المتوفى سنة 1158هـ، وهو قرأ على ثلاثة هم علماء المدينة الصعدية في أيامهم وهم: القاضي **يحيى بن حسن سيلان**، والعلامة **أحمد بن علي الحبشي**، والعلامة **محمد بن قاسم الخباط**.

فشيخه الأول:

وهو العلامة **يحيى بن حسن سيلان الصعدي** ثم الصنعاني المتوفى بعد سنة 1142هـ فكانت قراءته على أبيه القاضي العلامة المحقق **حسن بن يحيى بن عبد الله سيلان** صاحب **حاشية شرح غاية السؤل** في أصول الفقه وغيرها من المؤلفات المتوفى سنة 1111هـ، وهو قرأ على الفقيه العلامة المدقق الضليع **صديق بن رسام** المتوفى سنة 1079هـ وعلى الإمام **إبراهيم بن محمد حوريه المؤيدي**، وهما قرأ على السيد **داود بن الهادي**، وهو فبالسند المتقدم.

وشيخه الثاني:

وهو العلامة المحقق **أحمد بن علي بن عبد الله بن عبد القادر الحبشي** صاحب **(التقريب في المنطق)** وغيره من المؤلفات المتوفى بصعدة سنة 1135هـ، فقرأ على الفقيه **صديق بن رسام**، وعلى القاضي **حسن بن يحيى سيلان**، وعلى القاضي **يحيى جار الله مشحم**، والثلاثة قرأوا على مشايخهم بسند قراءتهم المتقدم.

وقرأ أيضاً الحبشي على رابع؛ وهو العلامة المحقق محب آل **محمد علي بن صلاح الطبري** نسبا الصعدي بلدا مؤلف **(مغني ذوي العقول في معرفة قواعد الأصول)** وغيره من المصنفات المتوفى بصعدة سنة 1097هـ[72]، وهو قرأ على القاضي **عبد الله بن يحيى الفهد**، وهو قرأ على القاضي أحمد بن يحيى حابس بالسند المتقدم.

---

(72) ومن طبقة مشايخ العلامة علي بن صلاح الطبري: القاضي أحمد بن يحيى حابس، والفقيه عبد القادر بن سعيد الهبل، ويغلب في الظن أنهم جميعا من مشايخه، والعلامة الهبل أصله من خولان صنعاء، وهو معدود من أهل صعدة، فقد سكنها أكثر من 40 عاما، وتتلمذ عليه فيها الكثير، وبها توفي سنة 1090هـ فليعلم ذلك.

وشيخه الثالث:

وهو الفقيه الفاضل **محمد بن قاسم بن سليمان بن محمد الخبَّاط الصعدي** المتوفى بها شعبان عام 1130هـ، فقرأ على القاضي العلامة رئيس علماء صعدة في أيامه عماد الدين **يحيى بن الحاج أحمد بن عواض الأسدي** المتوفى سنة 1106هـ، وعلى القاضي العلامة **عبد الله بن يحيى الفهد**، وهما من أجل تلامذة القاضي شمس الشريعة **أحمد بن يحيى حابس**، وقراءتهما وغيرهما عليه كانت بمدينة صعدة، فهذا سند للقراءة متصل إلى **القاضي جعفر** أغلبه من الفقهاء.

(ح) وقرأ العلامة الخباط أيضا على المولى جمال الدين **علي بن أحمد بن الإمام القاسم** متولى صعدة في أيامه المتوفى بها سنة 1121هـ، وهو قرأ على مشايخه، وهم: العلامة **صديق بن رسام** في النحو والصرف والبيان والتفسير، وقرأ في الفقه على القاضي العلامة المحقق **يحيى بن الحاج أحمد عواض الأسدي**، وقرأ في أصول الدين على القاضي شمس الشريعة **أحمد بن يحيى حابس**، وأخذ عن والده المولى **أحمد بن الإمام القاسم** المتوفى سنة 1066هـ.

(ح) وقرأ أيضا على الفقيه العلامة الأصولي **علي بن صلاح الطبري**.

(ح) وقرأ أيضا على السيد **الحسن بن المهدي النوعة**، وهو في الأغلب ممن قرأ على والده السيد العلامة الرئيس المفضال **المهدي بن الهادي النوعة** مصنف كتاب (**الإقبال تاج أرباب الكمال**) المتوفى سنة 1073 وقيل اثنتين وسبعين وقبره بصرح مسجد الإمام الداعي بساقين.

(ح) وقرأ على الفقيه العلامة **يحيى بن صلاح الرتوة** المتوفى سنة 1107هـ.

(ح) وقرأ على القاضي **يحيى بن عبد الهادي حابس**، وهو قرأ على **الحسن بن يحيى سيلان**، وهو بالسند المتقدم.

(ح) وقرأ على القاضي **أحمد بن علي شاور** بالسند المتقدم.

(ح) وقرأ على القاضي **يحيى بن جار الله مشحم**، بالسند المتقدم. وكل من تقدم من مشايخه تنتهي قراءتهم إلى السيد **داود بن الهادي** وتلميذه القاضي **أحمد بن يحيى حابس**.

***

ومن المتوسطين لهذه الطبقة عدة من العلماء: منهم السيد الإمام صفي الدين **أحمد بن إبراهيم بن محمد حوريه المؤيدي** المتوفى بالعشة سنة 1099هـ، فهو ممن قرأ على

والده الإمام **إبراهيم بن محمد**[73] وهو بالسند المتقدم قريبا.

(ح) وقرأ أيضا على القاضي **الحسن بن يحيى حابس** المتوفى سنة 1079هـ، وهو قرأ على عدة من المشايخ الصعديين، أولهم صنوه القاضي **أحمد بن يحيى حابس** بسنده المتقدم، وثانيهم السيد النسابة **محمد بن الإمام عبد الله بن علي المؤيدي** المعروف بأبي علامة صاحب المشجر المسمى (**روضة الألباب**) المتوفى بمدينة صعدة أواخر سنة 1044هـ، وهو عن والده، وعن القاضي **عبد العزيز بن محمد بهران** بسند قراءة كل منهما المتقدم قريبا.

ومنهم: السيد العلامة **الحسن بن صلاح بن محمد الداعي** من ذرية الإمام **يحيى بن المحسن**، وهو مؤلف (**شرح الدامغة الكبرى والصغرى**) المتوفى بناحية باقم سنة 1120 عشرين ومائة وألف، وقراءته رحمه الله كانت على مشايخ العلوم في أيامه بمدينة صعدة وهم: السيد العلامة **علي بن محمد المنتصر** المتوفى سنة 1093هـ، والقاضي العلامة الفروعي **عبد القادر بن سعيد بن صلاح الهبل** المتوفى بصعدة سنة 1090هـ، والقاضي **يحيى بن الحاج أحمد بن عواض الأسدي**، والقاضي **يحيى بن صلاح الرتوه** المتوفى سنة 1107هـ، والقاضي **عبد الهادي بن أحمد بن يحيى حابس** المتوفى سنة 1094هـ.

وتنتهي قراءة جميع مشايخه المذكورين إلى القاضي **أحمد بن يحيى حابس**.

ومنهم: القاضي العلامة الأديب الضياء **إسحاق بن محمد بن قاسم العبدي** مؤلف كتاب (**الاحتراس من نار النبراس**) المتوفى بعد سنة 1115هـ، وهو من مفاخر علماء صعدة، وله مشايخه فيها قبل ترحله وتطوافه في البلدان[74]، منهم الفقيه **إسماعيل بن علي بن صلاح الطبري**، والفقيه **إسماعيل** قرأ على والده **علي بن صلاح**، وهو قرأ فيما أحسب على القاضي **أحمد بن يحيى حابس** المتقدم سند قراءته.

***

(73) ويغلب في الظن أن من مشايخ الإمام إبراهيم أيضا: الفقيه العلامة محمد بن الهادي بن أبي الرجال ويعتبر من علماء صعدة لسكونه فيها المدة الطائلة وبها توفي سنة 1053هـ وهو قرأ على السيد العلامة أحمد بن الهادي الديلمي القطابري الذي اشتهر على ألسنة الفقهاء تسميته بالباقر لتبقره في العلم المتوفى بساقين أحد شهري ربيع سنة 1042 والله أعلم.

(74) وغالب الظن أن القاضي إسحاق العبدي ممن قرأ على القاضي يحيى بن أحمد بن عواض الأسدي فهو رئيس العلماء بصعدة في أيامه.

الإسناد المسلسل بالصعديين
(5)

وذلك أن شيخي السيد العلامة النحرير شرف الأعلام **الحسن بن محمد الفيشي الهادوي اليوسفي** المتوفى تاسع المحرم سنة 1439هـ، وشيخي العلامة الزاهد وجيه الإسلام **عبد الرحمن بن محمد النجم** المتوفى برحبان صعدة تاسع شهر الحجة الحرام سنة 1428هـ، قرأوا رحمهما الله تعالى وأعاد من بركاتهما على عدة من علماء المدينة الصعدية، فمن أجل مشايخهما علماً وفضلا وعلو إسناد اثنان، نكتفي بذكرهما مراعاة للاختصار، **الأول**: السيد إمام العترة مفتي اليمن الأكبر المولى **مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي** المتوفى رمضان سنة 1428هـ. **والثاني**: سيدنا الفقيه العلامة المحقق عماد الإسلام **يحيى بن حسين بن إسماعيل سهيل** المتوفى عاشر ذي الحجة سنة 1408هـ، وعن الاثننين المولى **مجد الدين** وسيدنا **يحيى سهيل**: أخذ جلة أهل عصرنا بمدينة صعدة ومن وفد إليها للعلم من نواحيها، وهم أكثر من أن يحصون عددا، ويدخل في طرق قراءة مشايخهما تفاصيل عديدة، وفي ضمنها الجم الغفير من العلماء والمشايخ والقراءات في القرن الرابع عشر، وهي إن شاء الله في بعض كتبنا منشورة، وإنما هذه عجالة اقتصرنا فيها على ما يفيد اتصال سند القراءة، إذ هو مطلوبنا في هذا البرنامج دون غيره، والله الموفق.

فصل في سند قراءة سيدنا يحيى بن حسين سهيل

فهو رضوان الله عليه قرأ بمدينة صعدة على عدة من مشايخها:

من أجلهم وأشهرهم السيد العلامة الجهبذ **محمد بن إبراهيم حوريه المؤيدي** حبيس قصر غمدان المتوفى بصعدة سنة 1381هـ. وهو قرأ على عدة من المشايخ الأعلام بضحيان وهجرة فلله، أجلهم وأشهرهم: (1) السيد العلامة الجهبذ **علي بن يحيى بن أحمد العجري** المتوفى سنة 1319هـ، قرأ عليه في عامة كتب النحو وأصول الفقه. (2) السيد العلامة المتأله **يحيى بن الحسن طيب** المتوفى أواخر عام 1319هـ. (3) السيد العلامة الكبير **الحسين بن محمد أمير الدين الحوثي** المتوفى سنة 1329هـ قرأ عليه في كتب أصول الدين وكتب التفسير ولازمه فوق عشر سنين، وعدد مقرءواته عليه تنيف على الأربعين كتابا في السير والتواريخ والفضائل والزهديات. (4) الإمام الهادي **الحسن بن يحيى القاسمي** المتوفى سنة 1343هـ قرأ عليه في الحديث

وشطرا من كتب الأمهات. (5) القاضي العلامة **محمد بن عبد الله الغالبي** المتوفى سنة 1334هـ. (6) صنوه القاضي العلامة **إبراهيم بن عبد الله الغالبي** المتوفى سنة 1327هـ. وكل مشايخه الستة ممن أخذوا قراءة وإجازة عن السيد العلامة فخر الآل الكرام **عبد الله بن أحمد البصير العنثري** الآتي ذكر سند قراءته قريبا مستوفى إن شاء الله، وكانت قراءة العلامة **ابن حوريه** على مشايخه المذكورين بهجرة ضحيان لمدة عشرين سنة قال: وبيدي من كل مشايخي المذكورين إجازة عامة انتهى.

(ح) وقرأ سيدنا **يحيى سهيل** أيضا على السيد العلامة فخر الدين **عبد الله بن أحمد حوريه المؤيدي** المتوفى برحبان سنة 1361هـ، وترجع سند قراءته إلى شيخه السيد **محمد بن إبراهيم حوريه** المذكور آنفا.

(ح) وقرأ سيدنا يحيى سهيل أيضا على ثالث وهو الفقيه العلامة **إبراهيم بن علي مشحم** الملقب الضوء، وهو قرأ على القاضي العلامة شيخ الإسلام **عبد الله بن علي الغالبي** الآتي ذكره، وقرأ الفقيه **إبراهيم مشحم** أيضا على مشايخ بصعدة، أحسب أن منهم القاضي العلامة **أحمد بن علي مشحم** بسنده الآتي قريبا.

(ح) وقرأ سيدنا **يحيى سهيل** أيضا على رابع:

وهو سيدنا العلامة شرف الأعلام **الحسن بن محمد بن علي سهيل** المتوفى بصعدة سنة 1387هـ، وهو: قرأ على الفقيه العلامة الكبير **إبراهيم بن يحيى سهيل** المتوفى سنة 1329هـ، وهو قرأ على العلامة **أحمد بن محسن سهيل** المتوفى سنة 1317هـ، وهو قرأ على القاضي العلامة حاكم المسلمين في أيامه صفي الدين **أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن صلاح مشحم** المتوفى شوال سنة 1292هـ، وهو أخذ عن السيد العلامة **علي بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الملقب الهاشمي** المتوفى رمضان سنة 1262هـ، وهو قرأ على حي والده السيد العلامة **أحمد بن إبراهيم الهاشمي**[75] المتوفى سنة 1244هـ، وهو قرأ على والده السيد **إبراهيم بن أحمد الهاشمي** وعلى القاضي العلامة **زيد بن علي القارح** المتوفى بعد سنة 1200هـ، وشيخه العلامة القارح قرأ على القاضي العلامة **أحمد بن عبد الله طشي** المتوفى سنة 1168هـ، وهو قرأ على القاضي **يحيى بن جارالله**

(75) وهو المترجم له في نيل الوطر، والصحيح في نسبه هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود، فليلعم ذلك (مؤلف).

مشحم، وهو قرأ على العلامة حاكم المسلمين القاضي **عبد الله بن يحيى الفهد** المتوفى سنة 1087هـ وهو قرأ على حاكم المسلمين بصعدة القاضي شمس الشريعة **أحمد بن يحيى حابس**، وهو بسنده المتقدم في الطبقة التي قبل هذه.

***

وكذلك قرأ شيخنا **الحسن بن محمد الفيشي** على والده سيدي العلامة **محمد بن أحمد الفيشي** المتوفى سنة 1388هـ، وهو قرأ على سيدنا العلامة **إبراهيم بن محمد بن إبراهيم سهيل** صاحب (**نظم مفردات مغني اللبيب**) المتوفى سنة 1359هـ وهو قرأ على عدة من مشايخ صعدة، وهم: والده العلامة **محمد بن إبراهيم سهيل** المتوفى سنة 1355هـ، وعمه العلامة **عبد الله بن إبراهيم سهيل** المتوفى سنة 1365هـ، وسيدنا **يحيى بن حسين سهيل** المتوفى سنة 1408هـ، وصنوه سيدنا العلامة **عبد الرحمن بن حسين سهيل** مؤلف (**بغية الأماني والأمل**) في التراجم المتوفى سنة 1359هـ، والمشايخ المذكورون آنفا إلا سيدنا **عبد الرحمن سهيل** فقرأوا على الفقيه العلامة الكبير **إبراهيم بن يحيى سهيل** المتوفى سنة 1329هـ، وهو قرأ على السيد الإمام **عبد الله بن أحمد البصير العنثري** وعلى الفقيه **أحمد بن محسن سهيل** المتوفى سنة 1317هـ، وكلاهما قرأ على شيخ الإسلام القاضي **عبد الله بن علي الغالبي**. وقرأ الفقيه **أحمد بن محسن سهيل** أيضا على القاضي **أحمد بن علي بن يحيى مشحم**، وهو قرأ بالسند المتقدم قريبا. وفي إجازات القاضي شيخ الإسلام **عبد الله بن علي الغالبي الصنعاني** ثم **الضحياني** أنه يروي (**حاشية سيلان على الغاية**) وسائر مؤلفاته عن السيد العلامة الكبير الحافظ **عبد القادر بن أحمد الكوكباني** وكان السيد الحافظ المذكور استقر بمدينة صعدة نحو العامين يفيد الطالبين وينشر العلوم، وذلك سنة 1169 وسنة إحدى وسبعين، فروى الحاشية المذكورة عن حاكم المسلمين بصعدة في تلك الأيام القاضي عماد الدين **يحيى بن الحسن بن أبي النجم**، وهو عن ولد المؤلف، وهو عن والده المؤلف **ابن سيلان** بسند قراءته عن الإمام **إبراهيم حوريه** والفقيه **صديق بن رسام**، فتأمل فهذه فائدة في الإسناد تضاف إلى ما تقدم.

وكذلك قرأ القاضي العلامة النحرير صلاح الدين **صلاح بن أحمد بن عبد الله فليته** المتوفى سنة 1429هـ على شيخه العلامة شرف الأعلام **الحسن بن محمد سهيل** بسند قراءته السابق إلى القاضي شمس الشريعة **ابن حابس**.

(ح) وقرأ سيدنا شرف الأعلام **الحسن بن محمد سهيل** على السيد العلامة **عبد الله بن حسين بن علي الشهاري** المتوفى بصعدة سنة 1362هـ، وهو قرأ على والده السيد العلامة **الحسين بن عبد الله الشهاري** المتوفى سنة 1318هـ وهو عن مشايخه.

(ح) وقرأ أيضا سيدنا شرف الأعلام على السيد العلامة المتأله **القاسم بن عبد الله بن علي بن أحمد الهاشمي** المتوفى سنة 1335هـ، وهو قرأ على السيد العلامة **محمد بن يحيى شريف** المتوفى شهر رمضان سنة 1340هـ وهو قرأ على خاله السيد العلامة **أحمد بن إبراهيم بن محمد الهاشمي** وهو بسند قراءته الآتي قريبا إن شاء الله.

وكذلك قرأ سيدي العلامة مفتي لواء الشام **إسماعيل بن أحمد المختفي** المتوفى سنة 1428هـ على سيدنا العلامة **محمد بن الحسن (أحسن) بن إبراهيم المتميز** المتوفى سنة 1398هـ، وهو قرأ على القاضي شيخ القراء **محمد بن أحمد الطاهري**، وعلى الفقيه العلامة **يحيى بن إبراهيم المتميز** المتوفى سنة 1351هـ، وكلاهما أخذ عن إمام علوم القرآن **إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل المتميز** المتوفى سنة 1330هـ، وهو قرأ بصعدة على والده الفقيه **أحمد بن إسماعيل المتميز** المتوفى سنة 1308هـ، وهو عن مشايخه.

وكذلك قرأ سيدي العلامة النحرير وجيه الإسلام **عبد الرحمن بن محمد بن حسين شايم**[76] **المؤيدي** الحسني المتوفى شهر رمضان سنة 1436هـ على القاضي العلامة الخلاصة **محمد بن يحيى مرغم** المتوفى سنة 1380هـ، وهو قرأ على السيد العلامة **محمد بن إبراهيم بن محمد الهاشمي** المتوفى سنة 1357هـ، وهو قرأ على أخيه السيد العلامة الرئيس **أحمد بن إبراهيم الهاشمي** المتوفى سنة 1342هـ، وهو قرأ على عدة من علماء صعدة منهم والده العلامة السيد الرئيس **إبراهيم بن محمد الهاشمي** المتوفى سنة 1308هـ، ومنهم القاضي العلامة صفي الدين **أحمد بن علي بن يحيى مشحم** المتوفى سنة 1292هـ وكان المذكوران هما حاكما الشريعة بمدينة صعدة في أيامهما، وهما أخذا عن السيد العلامة **علي بن أحمد الهاشمي** المتوفى رمضان سنة 1262هـ، بالسند المتقدم قريبا إلى حاكم المسلمين بصعدة القاضي شمس الشريعة **أحمد بن يحيى حابس**، وهو بسنده المتقدم.

---

(76) ولجامع هذا البرنامج منه إجازة عامة، كتب عليها بخطه.

قلت: ومن طبقة مشايخ السيد **إبراهيم بن محمد الهاشمي** المتوفى سنة 1308 والقاضي **أحمد بن علي مشحم** المتوفى سنة 1292هـ: القاضي العلامة الأوحد الحافظ المتقن **عبد الوهاب بن صلاح بن علي** بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم الحداد المشهور بالكستبان المتوفى بصعدة ربيع الأول سنة 1260 عن خمس وسبعين سنة من مولده لأن مولده محرم غرة سنة 1184هـ وهو صاحب التصانيف في الفقه والحديث وغيرهما، وهو قرأ على من قرأ[77] على حاكم المسلمين بصعدة القاضي العلامة **يحيى بن الحسن بن أبي النجم** المتوفى سنة 1171هـ، وهو قرأ على **يحيى بن الحسن سيلان**، وهو قرأ على والده مؤلف الحاشية العلامة **حسن بن يحيى سيلان**، وهو قرأ على الفقيه **صديق بن رسام** والإمام **إبراهيم بن محمد حوريه**، وهما قرأ عن السيد **داود بن الهادي** والقاضي **أحمد بن يحيى حابس**.

***

فصل في سند قراءة المولى مجد الدين المؤيدي

فهو قدس الله روحه في عليين قرأ على والده عالم العترة في وقته **محمد بن منصور المؤيدي** المتوفى سنة 1360هـ، وهو قرأ على السيد الإمام طود العلوم فخر الآل الكرام **عبد الله بن أحمد البصير العنثري المؤيدي**[78] **الضحياني** المتوفى بها عام 1315هـ، وهذا العلامة **العنثري** هو محيي المدينة الضحيانية بالعلم في أيامه هو وشيخه القاضي العلامة المرشد المصلح شيخ الإسلام **عبد الله بن علي بن علي الغالبي الصنعاني ثم الصعدي**، فإنه هاجر من مدينة صنعاء عندما ظهر فيها الجور والظلم، وفارقها إلى مدينة صعدة لمبايعة الإمام **أحمد بن هاشم** وذلك سنة 1264هـ فاستقر بمدينة صعدة أياما، ثم تنقل في بعض جهاتها، إلى أن وصل مدينة ضحيان غرة سنة 1266هـ فاستوطنها، وبها استقر عاكفا على إحياء العلوم وتدريسها إلى أن فاضت

(77) لعله قرأ على ولده القاضي الحسن بن يحيى بن أبي النجم المتوفى سنة 1224هـ.

(78) قال ولده العلامة عبد الكريم بن عبد الله العنثري في ترجمته: بدأ في طلب العلم مهاجرا إلى مدينة صعدة، فأتقن فيها غيب القرآن الكريم في مدة قصيرة، فينظر من هم مشايخه في صعدة، فإن مولده سنة 1234هـ ومهاجرته إليها في أواخر عشر الأربعين ومائتين وألف؛ فلعله أخذ فيها عن القاضي أحمد بن علي مشحم أو أحد تلامذته، وبهذا يتصل إسناد جديد للقراءة من هذا الطريق (مؤلف).

روحه الطاهرة عاشر جمادى الأولى سنة 1276هـ وبها دفن رضوان الله عليه[79].

فالقاضي شيخ الإسلام الغالبي:

هو بحقٍ أول من أسس مدينة ضحيان كهجرة علمية شهيرة في أواخر القرن الثالث عشر، وقد اصطحب في خروجه من صنعاء أمهات الكتب والنسخ المقرؤءة التي أغلبها إما قرئت على مؤلفيها، أو بخطوهم، أو نسخت برعايتهم أو في عصرهم، وقد تخرج على يديه وعلى يد تلميذه المولى **عبد الله بن أحمد العنثري** الجم الغفير من العلماء السادة الأعلام، والفقهاء الجلة الكرام، إذ وفد إلى المدينة الضحيانية في أيامهما للتزود وطلب العلوم والمهاجرة فيها الكثير من أهل النواحي الجماعية والخولانية، ومن مدينة صعدة وبرط وحوث، ومن سائر الجهات، وقد ذكر جملة ذلك السيد **عبد الكريم بن عبد الله العنثري** في كتابه المسمى (**عقد الجمان في تعداد علماء ضحيان وما تفرع منها إلى سائر البلدان**)، فليرجع إليه من أراد الإطلاع على تراجمهم، وسنكتفي هنا بذكر أسمائهم مراعاة للإختصار.

أما تلامذة شيخ الإسلام الغالبي من الصعديين

فأولهم جوهرة سادات بني المؤيد سيدي **عبد الله بن أحمد البصير العنثري**، ومنهم ولده القاضي العلامة **محمد بن عبد الله الغالبي** المتوفى سنة 1334هـ، ومنهم السيد العلامة عماد الإسلام **يحيى بن علي القاسمي المؤيدي** المتوفى غرة سنة 1305هـ، ومنهم السيد العلامة حاكم صعدة ورئيسها **إبراهيم بن محمد الهاشمي** المتوفى سنة 1308هـ، ومنهم السيد العلامة العماد **يحيى بن أحمد شريف حوريه المؤيدي**، ومنهم السيد العلامة **يحيى بن أحمد العجري المؤيدي** المتوفى سنة 1313هـ، وكذلك السيد **قاسم بن علي الهاشمي** المتوفى سنة 1316هـ، والسيد العلامة **علي بن حسين الداعي** المتوفى بعد سنة 1319هـ، وكذلك الشيخ الفاضل العارف **عمير بن عيظه عريج الطلحي** الذي استشهد

(79) ولقائل أن يقول: لكن شيخ الإسلام الغالبي ليس من أهل صعدة، وإنما هاجر إليها واستوطنها، فأقول له بل مهاجرته وإحيائه للعلوم في صعدة وبلادها تجعله على الشرط، مع إن إسناد القراءة قد مضى متصلا من غير هذا الطريق، وما هنا إلا مزيد فائدة لمعرفة اتصال قراءات العلماء في القرن الرابع عشر الهجري والله الموفق.

في حوادث سنة 1286هـ، ويقال أنه الذي حث شيخ الإسلام **الغالبي** على المهاجرة من صنعاء والخروج إلى صعدة. وكذلك أخذ عن شيخ الإسلام **الغالبي** من أهل مدينة صعدة: القاضي العلامة صفي الدين **أحمد بن علي مشحم** المتوفى سنة 1292هـ والفقيه العلامة **محمد بن إبراهيم مشحم** الملقب الضوء، وكذلك العلامة الفاضل صاحب الخط الباهر **محمد بن صلاح مشحم**، والعلامة **عبد الرحمن بن أحمد مشحم**، والفقيه **أحمد بن محسن سهيل** وغيرهم.

***

ومن طبقة تلامذته أيضا: القاضي العلامة الفاضل فخر الإسلام **عبد الله بن علي بن أحمد** بن علوي الشاذلي الأنصاري الخزرجي التهامي ثم الصعدي المتوفى بهجرة فلله سنة 1305هـ. وهو جد القضاة آل الشاذلي بضحيان والهجرة، وعليه قرأ ولده القاضي **محمد بن عبد الله الشاذلي** المتوفى سنة 1351هـ، وعليه قرأ السيد العلامة **علي بن قاسم شرويد المؤيدي** المتوفى سنة 1358هـ وعليه قرأ المولى العلامة جمال الدين **علي بن محمد العجري** المتوفى سنة 1407هـ، وهذا العلامة العجري هو كبير العلماء في وقته وعصره، وله المصنفات العديدة والمؤلفات السديدة، منها (كتاب فتاويه)، ومنها تفسير القرآن الكريم الموسوم بـ(مفتاح السعادة)، وعليه قرأ بضحيان الجم الغفير مما لا يحصون، هم جلة من بقي من العلماء في أيامنا في عموم البلاد الصعدية.

أما تلامذة المولى فخر الآل العنشري المؤيدي

المتوفى كما **أسلفنا سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف**، فهم جملة وافرة، قد بلغوا في إحصائي لهم في بعض كتبي أكثر من خمسين عالما، وأجلهم المولى العلامة **الحسين بن محمد** الملقب **الحوثي** لانتقاله من حوث إلى ضحيان والمتوفى بها سنة 1329هـ. ومنهم الإمام الهادي **الحسن بن يحيى بن أحمد القاسمي** المتوفى بباقم سنة 1343هـ وصنوه السيد العلامة **أحمد بن يحيى القاسمي** المتوفى سنة 1337هـ، ومنهم المولى العلامة **أحمد بن يحيى بن أحمد العجري المؤيدي** مصنف (**ذروة المجد الأثيل**) وغيرها من المؤلفات المتوفى بصعدة سنة 1347هـ وأصناه الثلاثة سيدي العلامة الجهبذ جمال الدين **علي بن يحيى العجري** المتوفى في أوائل شبابه سنة 1319هـ، وصنوهم السيد العلامة فخر الإسلام **عبد الله بن يحيى العجري**

المتوفى 1340هـ وصنوهم السيد العلامة **محمد بن يحيى العجري** المتوفى 1328هـ، ومنهم القاضي العلامة الكبير عز الإسلام **محمد بن عبد الله بن علي الغالبي** المتوفى 1334هـ، وصنوه القاضي العلامة الرباني **إبراهيم بن عبد الله الغالبي** المتوفى سنة 1327هـ، ومنهم السيد العلامة **يحيى بن الحسن طيب** المتوفى سنة 1319هـ، ومنهم السيد العلامة **عبد الله بن إسماعيل القطابري** المتوفى 1313هـ، والسيد العلامة **حسين بن علي الطويل** المتوفى سنة 1318هـ ومنهم السيد العلامة **حسن بن إسماعيل** ثورة المتوفى سنة 1358هـ ومنهم السيد العلامة **حسين بن محمد شمس الدين الحرجي** المتوفى سنة 1318هـ.

ومنهم السيد العلامة **الحسن بن الحسين عدلان** المتوفى سنة 1329هـ وصنوه السيد **يحيى بن الحسين عدلان** المتوفى سنة 1350هـ. ومنهم أولاده الكرام سيدي العلامة **عبد الله بن عبد الله العنثري** المتوفى سنة 1354هـ والسيد العلامة **عبد الكريم بن عبد الله العنثري** المتوفى سنة 1329هـ والسيد العلامة **عبد الرحمن بن عبد الله العنثري** المتوفى سنة 1360هـ ومنهم السيد العلامة **أحمد بن إبراهيم الهاشمي** المتوفى سنة 1342هـ والفقيه العلامة **إسماعيل بن أحمد المتميز** المتوفى سنة 1330هـ والفقيه العلامة **إبراهيم بن يحيى سهيل** المتوفى سنة 1329هـ ومنهم السيد العلامة **محمد بن يحيى الصعدي** المتوفى سنة 1351هـ والسيد العلامة **صلاح بن أحمد ستين**، والسيد **علي بن حسين فايع** المتوفى بعد سنة 1350هـ والسيد **هاشم حمران الأكبر**، والسيد العلامة **الحسن بن علي الحمران** المتوفى سنة 1335هـ والسيد العلامة **عبد الله بن يحيى عواض الصعدي**، والسيد **محمد شخضم**، والسيد **عبد الله بن يحيى الداعي**، والسيد **علي بن حسين الداعي**، والسيد **أحمد بن حسن القاسمي**، والسيد **محمد بن أحمد شمس الدين**، والسيد **علي الديلمي**. هؤلاء أجل تلامذته من أهل ضحيان وقطابر وهجرة فلله ومن مدينة صعدة، أما الآخذين عنه من بقية النواحي فقرأ عليه:

الفقيه **ضيف الله بن حسن المراني**، **وأحمد بن عيظه المعاذي**، **ومصلح نايل المجزي**، **وعلي بن حسين المراني**، **ومحمد بن حسين قشاقش**، **ومصلح بن معوض المجزي**، **وعبد الله بن علي الحذيفي**، والفقيه **سليمان بن أحمد قطران**، **وعبد الرحمن عاطف**، **وأحمد بن عبد الرحمن الرصاص**، **وعبد الرحمن بن محمد المغلس**، والسيد العلامة المؤرخ **محمد بن حيدر النعمي المتوفى سنة 1351هـ**، والفقيه **إبراهيم بن أحمد النعمان** من أهل المخلاف السليماني، هؤلاء جملة من أخذوا عنه قراءة، وقد ترجم لأغلب من ذكرناهم من تلامذته هنا ولده السيد **عبد**

الكريم العنشري في كتابه (**عقد الجمان**) كما أسلفنا.

وآخر تلامذة المولى العنشري وفاةً :

هو سيدي العلامة المولى **محمد بن منصور المؤيدي** وذلك أنه توفي بصعدة عاشر جمادى الأولى سنة ستين وثلاثمائة وألف، وقبره بالقرضين مقبرة صعدة رحمه الله رحمة الأبرار، وله مشايخ غير من ذكرنا، وتلامذة أيضا أخذوا عنه واستجازوا منه، إلا أن أجل الآخذين عنه قراءة وإجازة هو ولده المولى مفتي اليمن الأكبر مجد الدين بن محمد بن منصور رأس هذه الطبقة الخامسة من إسناد هذا البرنامج، فالمولى مجد الدين رضوان الله عليه يروي عن والده وغيره من مشايخه قراءة وإجازة بأسانيدهم إلى **القاضي محمد بن أحمد بن مشحم** وغيره من علماء أهل الطبقة الرابعة، وهم بأسانيده المتقدمة إلى **السيد داود بن الهادي وتلميذه القاضي أحمد بن يحيى حابس** رأسي الطبقة الثالثة، وهما بسند قراءتهما إلى **الإمام عز الدين بن الحسن وشيخه القاضي علي بن موسى الدواري** رأسي الطبقة الثانية، وهما بسند قراءتهما إلى **السيد صلاح بن الجلال**، وهو بسند قراءته عن مشايخه المتقدمين وهم أهل الطبقة الأولى من إسناد هذا البرنامج المتصلة أسانيد قراءاتهم حسبما أوردنا أول هذا البرنامج بأقطاب الرواية والدراية، وهم: الإمام المتوكل على الله **أحمد بن سليمان** عليه السلام، وشيخ الإسلام الحافظ **زيد بن الحسن الخراساني البيهقي**، والسيد العلامة تاج العترة **الحسن بن عبد الله** المعروف **بابن المهول الحسني الصعدي**، والقاضي عالم **الزيدية** ومسندها جمال الإسلام والمسلمين **جعفر بن أحمد بن عبد السلام** بن أبي يحيى. وقد ساق المولى مجد الدين الرواية إليهم في كتابه (لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار) بأسانيد وطرق عدة إلى هؤلاء الأقطاب الأربعة وغيرهم من أهل طبقتهم، فليرجع إلى ذلك من أراد الإحاطة والاستقصاء، وهم يروون بسندهم المتصل بالإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام المنسوبة إليه مدينة صعدة الحالية، فتراهم يقولون صعدة الهادي، لاعتبار أنه أول من خطها وبنى جامعها المقدس. وهو عليه السلام بسنده عن آبائه إلى جده أمير المؤمنين وباب مدينة علم الرسول الأمين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين:

ديـــن تحملـــه يحيـــى وحققـــه أفضـــت إليـــه بـــه آبـــاؤه الأول

فقد حاز أهل هذه المدينة الصعدية بذلك شامل الفخار الديني والدنيوي بانتساب

مدينتهم واتصال إسناد قراءتهم إلى هذا الإمام العلوي الفاطمي، فلسان حالهم يقول:

قد اقتدينا بأجل مذهب ... يعزى إلى خيرة أبناء النبي
أبي الحسين ذاك يحيى الهادي ... أفضل داع قام للجهاد
مؤيدا دين الإله الواحد ... مبددا لكل غاو جاحد
أحيا علوم الآل في قطر اليمن ... وقام فيه بالفروض والسنن
واتصل المن بهذه المنن ... والحمد لله على مر الزمن
فنحن في أمن به عن الفتن ... في الدين مذ قفونا هديه الحسن
مصنف الأحكام والمنتخب ... وكم له من نكتٍ ونخب
ومن علوم جمة غزيرة ... مفيدة طالبها منيرة
ومن جوابات على الأعادي ... أزال فيها الغي بالرشاد
قد شيد العدل وللجبر نفا ... وقطع الخصم الألد صلفا
وعن سؤال الجاهلين قد شفا ... بسبعة في اللفظ عدت أحرفا(80)
صلى عليه الله مع آبائه ... وزاده الجزيل من إجزائه
خلف أولادا كراما نجبا ... المرتضى والناصر المهذبا
أئمة أحيوا الجهاد بعده ... وحفظوا مذهبه وعهده
ونكلوا بما نحا التطريفا ... وباطنيا كافرا سخيفا
وقرمطيا حلل الحراما ... وأسقط الصلاة والصياما
ومجبرا قد أفحش المقالا ... ونسب الإغراء والضلالا
إلى إله الخلق جل عما ... قالوه زورا وهراء وظلما

***

(80) يشير إلى جوابه على النقوي عند وصوله إلى صنعاء وقد اجتمع علماؤها وتقدم رئيسهم يحيي النقوي لمناظرة الإمام الهادي فقال له: ممن المعاصي يا سيدنا ؟ فقال عليه السلام: ومَنِ العاصي؟ فانقطع النقوي، فلامه أصحابه فقال: إني إن قلت: الله كفَرتُ، وإن قلت: العبد، خرجت من مذهبي!

فصل في خاتمة هذا البرنامج

وهو في ذكر مشاهير أعلام المشايخ الصعديين في أثناء القرن الرابع عشر الهجري وتلامذتهم المعدودين، إذ قد انتقلت مشيخة العلم والتدريس في علومه وفنونه بعد وفاة المولى **عبد الله بن أحمد العنثري** رحمه الله إلى تلامذته أقطاب التحقيق وجهابذة العلوم المتقدم ذكرهم، ثم إلى تلامذتهم من بعدهم وهؤلاء هم علماء عصرنا الحاضر، فلنذكر في ذلك ما يعرِّف بما أجملناه هنا، ولو على سبيل الاختصار، فنبدأ بذكر:

1ـ (تلامذة المولى الحسين بن محمد الحوثي) المتوفى سنة 1329هـ

وهم جماعة وافرة قرأوا عليه بمدينة ضحيان، فإنه تصدر فيها رضوان الله عليه بعد شيخه المولى **عبد الله العنثري** لتدريس العلوم، والقيام بأمور الطالبين لها من سائر البلدان، فأحفى في ذلك وأوفى، وأجل الآخذين عنه وأشهرهم:

ولده المولى **الحسن بن الحسين الحوثي** المتوفى سنة 1388هـ، والسيد العلامة **عبد الله بن يحيى العجري**، والسيد العلامة **عبد الله بن عبد الله العنثري**، وصنوه السيد **عبد الكريم بن عبد الله العنثري**، وصنوهم السيد **عبد الرحمن بن عبد الله العنثري** وقد تقدم ذكر تواريخ وفياتهم، ومنهم السيد العلامة **إسماعيل بن عبد الله الهاشمي** المتوفى برحبان سنة 1361هـ، وصنوه سيدي العلامة المتأله **قاسم بن عبد الله الهاشمي** المتوفى 1335هـ، رحلا إليه من رحبان وحققا عليه في العلوم حتى بلغا الغاية، ومنهم السيد العلامة **أحمد بن عبد الله بن قاسم حوريه المؤيدي** المتوفى برازح سنة 1351هـ، ومنهم السيد العلامة **محمد بن يحيى الصعدي** المتوفى سنة 1351هـ، والسيد العلامة **محمد بن إبراهيم حوريه المؤيدي** وقد تقدم، ومنهم السيد العلامة **علي بن محسن أبو علامة** المتوفى سنة 1369هـ، ومنهم السيد العلامة **علي بن أحمد اللبلوب** المتوفى بساقين سنة 1341هـ، ومنهم السيد العلامة **عبد الله بن سليمان العزي** المتوفى سنة 1369هـ وهو من ذرية الإمام القاسم بن محمد، ومنهم السيد العلامة **يحيى بن صلاح ستين** المتوفى سنة 1385هـ، وغيرهم الكثير.

2. (تلامذة الإمام الهادي الحسن القاسمي)
المتوفى سنة 1343هـ

وهو صاحب الإجازات المسماة (سبيل الرشاد في طرق الإسناد)، وله أيضا المؤلفات والرسائل والجوابات، والتي منها (المسائل النافعة) في الفروع، و(التحفة العسجدية) في علم الكلام، و(الفوائد التامة) في الأصول وغيرها، وكان تصدره للتدريس في ضحيان وفي هجرة المزار بوادي فلله قبل الدعوة التي كانت منه سنة 1322هـ، ولما رجع من الحرجة بذل نفسه للتدريس أيضا ببلدة باقم حيث توفي بها في التاريخ المتقدم عن ثلاث وستين سنة، فالآخذ عنه هم الجم الغفير، قد ذكر بعضهم ولده المولى **عبد الله بن الإمام** في السيرة التي كتبها لوالده المذكور، وهم كالتالي: وزيره أيام الدعوة السيد العلامة **الحسن بن الحسين عدلان** المتوفى بحبس شهارة سنة 1329هـ، والسيد الجهبذ **علي بن يحيى العجري**، والسيد المحقق **يحيى بن حسن طيب**، والسيد صاحب **عقد الجمان عبد الكريم بن عبد الله العنثري**، هؤلاء الأربعة أعظم من استفاد عليه، ومنهم السيد العلامة **الحسن بن قاسم حوريه** المتوفى سنة 1330هـ، وولده العلامة **أحمد بن حسن حوريه**، والسيد العلامة **يحيى بن الحسين عدلان** المتوفى سنة 1359هـ، والسيد العلامة **محمد بن حسن شايم** المتوفى سنة 1345هـ، والسيد العلامة **علي بن قاسم شرويد المؤيدي** المتوفى سنة 1358هـ، والسيد **عبد الرحمن بن عبد الله العنثري**، والسيد **عبد الله بن يحيى العجري**، والسيد **محمد بن إبراهيم حوريه المؤيدي**، والسيد **محمد بن يحيى الصعدي**، والسيد **الحسن بن إسماعيل ثورة**، وقد تقدم ذكرهم، والقاضي العلامة **محمد بن عبد الله الشاذلي** المتوفى سنة 1351هـ، والقاضي العلامة **سالم بن سالم الرغافي** المتوفى سنة 1359هـ، والقاضي **ضيف الله بن حسن المراني**، والقاضي **عبد الله بن علي الحذيفي**، والقاضي **مصلح بن نايل الحذيفي**، والقاضي **هادي بن هادي الدرابة** المتوفى سنة أربع أو ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف.

ومنهم أولاده العلماء المبرزون: **المولى عبد الله بن الإمام** المتوفى سنة 1375هـ وسيأتي له ذكر منفرد، **وصنوه المولى أحمد بن الإمام** المتوفى أيضا سنة 1375هـ، صاحب المصنفات العديدة التي منها (العلم الواصم)، **وصنوهما محمد بن الإمام** المتوفى سنة 1359هـ، **وعبد العظيم بن الإمام** المتوفى سنة 1371هـ، **وتاج الدين بن الإمام** المتوفى سنة 1366هـ، وغيرهم الكثير من العلماء الأعلام والشيعة الكرام.

3ـ (تلامذة ولده المولى عبد الله بن الإمام) المتوفى سنة 1375هـ

فهو أحد شيوخ الآل المفيدين للعلوم، وله التصانيف الفائقة والتي منها (**الجواهر المضيئة مختصر الطبقات**)، و(**الجداول**) في تراجم الزيدية وغيرها الكثير، وأغلب تلامذة والده الإمام الهادي ممن أخذوا عنه لأنه تصدر في أيامه للتدريس معه في ناحية باقم، واستقام بعد وفاة والده هناك للتعليم والإفادة نحو أربعين عاما، إلى تاريخ وفاته سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف. فجملة تلامذته جم لا يحصى وعدد غير مستقصى، من أجلهم السيد العلامة المعمر **أحمد بن محمد القاسمي** المتوفى سنة 1397هـ، والسيد العلامة **الحسن بن الحسين مجلي الرغافي** المتوفى سنة 1369هـ، والفقيه **أحمد بن علي جران الضحياني** المتوفى سنة 1383هـ، والسيد **داعي بن زابن الداعي**، والقاضي **سالم بن سالم الرغافي**، والسيد **يحيى بن صلاح ستين**، وأصناه **تاج الدين ومحمد وعبد العظيم** أبناء الإمام **الحسن** هؤلاء ممن أخذوا عنه وعن والده الإمام **الحسن القاسمي**.

ومن تلامذته أيضا: صنوه **الحسن بن الإمام** المتوفى سنة 1380هـ، وصنوه **علي بن الإمام** المتوفى سنة 1368هـ، وصنوه **صلاح بن الإمام** المتوفى سنة 1362هـ، وولده **محمد بن عبد الله بن الإمام الحسن القاسمي** المتوفى سنة 1371هـ، والقاضي العلامة **محمد بن هادي بن هادي الدرابة** المتوفى سنة 1399هـ، وقد أجاز الكثير من أهل وقته، منهم سيدنا الحسن بن محمد سهيل، ورحل إليه سنة إحدى وسبعين سيدي العلامة الحسن بن محمد الفيشي إلى باقم للقراءة فاعتذر لكبر سنه، وأجازه إجازة عامة.

4ـ (تلامذة المولى الحسن بن الحسين الحوثي) المتوفى سنة 1388هـ

وكان رضوان الله عليه عالم **أهل البيت** في أيامه بالبلاد الصعدية، وهو صاحب **الحاشية** المعروفة على **الشافي**، وله غيرها من المؤلفات، وكان تصدره للتدريس والإفادة للعلوم في مدينة ضحيان منذ عشر الخمسين وثلاثمائة وألف، ودخل مدة إلى مدينة صعدة وأُخِذ عنه، ثم بعد سنة 1382 وقيام الجمهورية هاجر إلى ظهران الجنوب وقرأ عليه هناك الكثير، وبه توفي ودفن رحمه الله في التاريخ المذكور.

ولنذكر من وقفنا عليه من تلامذته أولهم: صنوه سيدي العلامة **يحيى بن الحسين الحوثي** المتوفى سنة 1378هـ، وصنوه سيدي العلامة **أمير الدين بن الحسين الحوثي** المتوفى سنة 1394هـ، ومنهم المولى **مجد الدين بن محمد المؤيدي**، ومنهم سيدنا شرف الأعلام **الحسن بن محمد سهيل**، ومنهم سيدنا **محمد بن الحسن المتميز**، ومنهم السيد العلامة **عبد الله بن أحمد بن محمد القاسمي** المتوفى سنة 1399هـ، ومنهم السيد العلامة **الحسين بن عبد الله الحرجي** المتوفى برازح سنة 1399هـ، ومنهم القاضي العلامة **صلاح بن إبراهيم الغالبي** وصنوه القاضي **عبد الرحمن الغالبي** المتوفى سنة 1374هـ، ومنهم السيد العلامة **عبد الله بن محمد بن سليمان العزي** المتوفى سنة 1369هـ، ومنهم المولى العلامة **علي بن محمد العجري** المتوفى سنة 1407هـ، وقد تقدم له ذكر مستوفى آنفا، ومنهم السيد **المؤيد بن عبد الكريم العنثري** المتوفى بعد سنة 1382هـ، ومنهم السيد وزير الأوقاف **يحيى بن عبد الله الضحياني** المتوفى سنة 1400هـ، ومنهم القاضي **عبد العزيز بن أحمد الغالبي** المتوفى سنة 1361هـ، ومنهم القاضي **عبد الرحمن بن محمد الغالبي**، ومنهم السيد **محمد بن صلاح ستين**، وصنوه سيدي العلامة **يحيى بن صلاح ستين** المتوفى سنة 1385هـ.

هؤلاء الطبقة الأولى من تلامذته، أما الذي يليهم فمنهم أولاده:

سيدي العلامة **أحمد بن الحسن الحوثي** المتوفى سنة 1417هـ، وأصناه سيدي العلامة **عبد المجيد بن الحسن الحوثي** المتوفى سنة 1391هـ، وسيدي العلامة **عبد العظيم بن الحسن الحوثي** المتوفى سنة 1428هـ وسيدي العلامة **الحسين بن الحسن الحوثي**، وسيدي العلامة **عبد الرحمن بن الحسن الحوثي**، وأولاد إخوته وهم: سيدي العلامة **عبد الله بن يحيى الحوثي** المتوفى سنة 1427هـ، وصنوه سيدي العلامة **الحسين بن يحيى الحوثي صاحب دعوة الإرشاد** المتوفى سنة 1435هـ، وصنوه سيدي العلامة **محمد بن يحيى الحوثي** المتوفى سنة 1440هـ، ومنهم سيدي المولى الكبير حليف القرآن وقرينه **بدر الدين بن أمير الدين الحوثي** مصنف (**التيسير في التفسير**)، و(**تحرير الأفكار**)، و(**الإيجاز في الرد على فتاوي الحجاز**) وغيرها من المؤلفات النافعة المتوفى في تارريخ 19 شهر ذي الحجة سنة 1431هـ، ومنهم سيدي العلامة المحدث **محمد بن الحسن العجري** صاحب (**الصحيح المختار من علوم العترة الأطهار**) **وغيرها من المؤلفات** المتوفى سنة 1436هـ وغيرهم الكثير مما لم يحضرني فأغلب علماء المدينة الضحيانية من تلامذته وطلابه، ولا زال في ذريته من العلماء الأفاضل في أيامنا ما هو كرامة له باقية، نسأل الله أن يلحق الخلف منهم بما كان عليه السلف، إنه سميع الدعاء

مجيب الدعوات.

5ـ (تلامذة سيدنا الحسن بن محمد سهيل) المتوفى سنة 1387هـ

ويعرف في أيامه بشيخ المشايخ لكثرة من أخذ عنه بمدينة صعدة من أهل وقته، ومن أجل الآخذين عنه رأسا هذه الطبقة الخامسة من الإسناد وهما: المولى **مجد الدين بن محمد المؤيدي**، وسيدنا العلامة **يحيى بن الحسين سهيل**. وتلامذته بعد ذلك على طبقتين، فهناك المتقدم وهناك المتأخر.

ولنذكرهم إرسالا بدون ملاحظة ذلك، فمن أجل تلامذته العلامة **عبد الرحمن بن حسين سهيل** مؤلف (**بغية الأماني والأمل**) المتوفى سنة 1359هـ، ومنهم سيدنا العلامة **محمد بن الحسن المتميز** المتوفى سنة 1398هـ، ومنهم القاضي **الحسين بن علي حابس** المتوفى سنة 1369هـ، ومنهم السيد **الحسن بن يحيى غالب المؤيدي** المتوفى سنة 1375هـ، ومنهم الفقيه **أحمد بن محمد مرق** المتوفى سنة 1377هـ، ومنهم القاضي الخلاصة **محمد بن يحيى مرغم** المتوفى سنة 1380هـ، ومنهم الفقيه الفلكي **أحمد بن إسماعيل سهيل** المتوفى بعد 1359هـ، ومنهم الفقيه **أحمد بن إسماعيل الضوء** المتوفى بعد 1366هـ، ومنهم الفقيه العلامة **عبد الله بن إسماعيل الحشحوش** المتوفى سنة 1391هـ، ومنهم سيدنا **سنين بن علي الشعبي الخولاني** المتوفى بعد سنة 1388هـ، ومنهم سيدي العلامة الولي **الحسن بن علي المصطكا** المتوفى برحبان سنة 1415هـ، ومنهم السيد العلامة **الحسين بن محمد شايم حاكم سحار في أيامه** المتوفى سنة 1382هـ، وولده السيد **عبد الله بن الحسين شايم** المتوفى سنة 1381هـ، ومنهم السيد العلامة **عبد الله بن إسماعيل الهاشمي أحد الحكام** المتوفى سنة 1397هـ، ومنهم السيد العلامة الحاكم **الحسن بن علي الحجازي** المتوفى سنة 1405هـ، ومنهم القاضي العلامة **صلاح بن أحمد فليته** المتوفى سنة 1429هـ، ومنهم السيد العلامة مفتي لواء الشام **إسماعيل بن أحمد المختفي** المتوفى سنة 1428هـ، ومنهم سيدنا علي بن إسماعيل المتعيش، وسيدنا محمد بن أحسن المتميز، ومنهم السيد العلامة **صلاح بن الحسن نور الدين** المتوفى سنة 1404هـ، ومنهم السيد العلامة **إبراهيم بن علي الشهاري** المتوفى سنة 1422هـ، والعلامة الخلاصة **محمد بن قاسم الأكوع** المتوفى بصعدة سنة 1390هـ وغيرهم الكثير والكثير

مما لم نحط بأسمائهم.

6ـ (تلامذة المولى الأكبر مجد الدين بن محمد المؤيدي) المتوفى سنة 1428هـ

وهو مولى الفضائل والمفاخر مفتي اليمن الأكبر عالم العترة وحافظها ونحريرها وحجتها الإمام المجدد لتراث آل الرسول والقاموس المحيط بعلمي المعقول والمنقول سر (التحفة الفاطمية)، وغاية (الزلف الإمامية)، مطلع (فلق البرهان المنير)، وموجه (رسالة التحذير) ذو المؤلفات العديدة والرسائل المفيدة، انفرد في البلاد اليمنية بمقامه ومكانته العلمية حيث لم يوجد له نظير ولا مماثل، ونشأت في رياض علومه جم من العلماء المشهورين، فهو إمام أهل العصر ومجتمع أسانيد العلوم كما في لوامع أنواره، وله شهرة وصيت بالغ وصل إلى أقصى النواحي والبلدان، وكان يفيد العلوم ويدرسها أينما حل وارتحل، وتعمر رحمه الله ستا وتسعين عاما، فلذلك أخذت عنه عدة طبقات، وبذل الإجازة العامة لمعظم أهل عصرنا، منهم كاتب الأحرف فقد تحصّل له بحمد الله على إجازة منه عامة، كتبت بخط أحد أولاده على هامش نسختي من كتاب (الجامعة المهمة لأسانيد الأئمة) [81] بعد أذنه بذلك، ولما توفي قدس الله روحه مغرب سادس شهر رمضان الكريم من شهور سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وألف، ودفن بمدينة ضحيان[82]، رثاه الكثير من العلماء وطلبة العلم، حتى قيل لي أنها بلغت مائة قصيدة أو اكثر. ومن أكابر من رثاه **سيدي العلامة النحرير عبد الرحمن بن حسين شايم** بقصيدة جاءت بمثابة النعي، وهي من أوائل القصائد المتداولة ولي عليها جواب، ومنهم **شيخي السيد العلامة البليغ الحسن بن محمد الفيشي اليوسفي** بعث بقصيدة في رثائه من وادي نجران حيث كان حينها نازلا هناك، ولم يحضر تشييع المولى مجد الدين، واستهل قصيدته تلك بهذا المطلع:

مَنْ ذاك بعدك في (مقام الهادي) إذ كنتَ أنـتَ إمـام ذاك النـادي

---

(81) من مؤلفات المولى مجدالدين المؤيدي وهو كتاب نسخة إجازته التي بذلها لمعظم أهل العصر، لخص فيه ما أورده موسعا في كتابه لوامع الأنوار.

(82) وكان أوصى أن يدفن بصعدة عند والده، كما جاء بخطه في بعض كتبه.

حمل الرسالة واصطفاك لحملها بالعدل والتوحيد والإرشاد
ولذا غدوت زعيم آل محمد ولسانهم في النشر والإعداد

إلى آخر أبيات القصيدة، وما قاله فيها جلية أمر واضحة للعَيان، فإنه كان في مقام الأئمة السابقين، وإمام ذلك النادي الهادوي صيانة وحياطة وهداية، ولا يخبرك عن صدق ذلك مثل طلابه وتلامذته الملازمين له والمطلين على أحواله وأخباره عن قرب، ويعجبني في ذلك أيضا قول تلميذه الأخص وملازمه المختص شيخنا العلامة الحسن بن محمد الفيشي حيث يقول من قصيدة أيام طلبه على يديه مادحا إياه:

فلا وربك لم أنظر له مثلا ولن يرى في سوى المهدي مخبره
أحيا وأحمى وأسخى كل أونة علما وسرحا وجودا عم كوثره

وكان كاتب هذه الأحرف تجاوز الله عنه ممن أدلى بدلوه في تلك المراثي، فنظم عدة قصائد مشجية، وجمعها في كراس مفرد، منها قصيدة دالية من بحر الكامل، وهي كالجواب على قصيدة شيخنا العلامة الحسن الفيشي، فإنه لما كان غائبا عن الديار الصعدية في وادي نجران، ولم يتسن له حضور التشييع كما أسلفنا، قلتُ مستفتحا في الجواب على قصيدته بقولي:

أهلا بنظم من وراء الوادي أشجى القلوب وفت في
من عالم أولى العلوم حقيقها وأفاض سيل بلاغة وسداد
ذي رفعة وزهادة علوية طار المديح بها وسار الحادي
يرثى إماماً قلّ في توديعه نظم الرثاء وشق ثوب حداد
يرثى إماماً للعلوم وللتقى والعدل والتوحيد والإرشاد
يرثى إماماً عبّ من تياره ذاك الغمام وسال ذاك الوادي
أعزز على دين النبى محمد فقدان ذاك الكوكب الوقاد
إن القلوب على جلالة قدره والعلم تبكى واحد الآحاد
بل قمة شماء بل أكرومة من آل بيت المصطفى الأمجاد
الهادوي أرومة وعقيدة والقاسمى بهجر كل معادي

أمضى السنين مدافعا ومحاميا عن حوزة شُرُفَت به ونوادي
من مثل مجد الدين يا ذا الورى إن كان منكم ناطق بسداد
لهفى عليه ولهف كل موحد ينمى لزيد في هدى وجهاد
ما كان أمضى فكره ويراعه فرد العلوم وجهبذ النقاد
إن (اللوامع) وهى نور محابر أضحت لعالمها كتاب رشاد
جادت يد المولى بها، ففصولها في مقتضى الإصدار والإيراد
فيها أسانيد العلوم قوائل ما ذلك الإسناد من إسنادي
يروي نظيم الدر من آبائه ويقول كالمنصور للأضداد:
(كم بين قولي عن أبي عن جده وأبو أبي فهو النبى الهادي)
(والله ما بينى وبين محمد إلا امرؤ هاد نماه هادي)

***

عذرا أبا الحسنين إني قاصر عما رثاك به عميد النادي
فهى الفرائد كنت أنت حشوتها في سمعه وجرت على الإنشاد
إذ كان لازمك الأخص تتلمذا والنابه الزاكى على الوراد
فاعذر محبك في كساد قصيده فالقلب منه غير ذات كساد
ما كان قصدي بالرثاء تعرضا لسوى المثوبة فهى كل مرادي
فلكل تأبين عوارف منحة وجزاء عارفتى هدى بفؤادي
ما كنت أقدر أن تصلنى نفحة مرت على الأغوار والأنجاد
ترتادني وأكون منها خاليا كلا ورب روائح وغوادي
فالقلب في غليانه، والنظم في أوزانه، ينزو بغير سناد
متوثباً نحو المفارق بلدة يشكو إليه حرارة الأكباد
مولاي إن الخطب يعظم والأسى إذ لم تكن من حاضري الأشهاد
إذ شيعوا المولى الرضا في موكب ماجت شوارعه من الأعداد

وكـأن صـعدة في صـدى تهليلـة حشـرٌ تنبـه بعـد طـول رقـاد

إلى أبيات آخرها قوله:

ولقـد أقـول لعصـبة زيديـة الخطب وحّـد شـملهم في نـادي
الـدهر أبـلى حلـة، والعلـم أنـ ـهض بلغـة، والجهـل بالمرصـاد
لا تخـذلنكم أمـور فجـة عن دس أهـل الفسـق والإلحـاد
فـالآل والقـرآن لـن يتفرقـا ثقـلان حتـى سـاعة الميعـاد
ما غاب منهم كوكـب في مغـرب إلا بـدا في الشـرق نـور بـاد
صـلى علـيهم ربنـا مـا حركـت ريـح الصـبا غصـن القنـا الميـاد
وعلى أبيهم خير من وطئ الثرى نـور الوجـود وغايـة الإيجـاد

وقد طال المجرى بذلك، لكنه قد عرض ولي فيه غرض، وثنائي عليهما مفترض، قال شيخنا الحسن بن محمد الفيشي في الترجمة التي أفرد بها شيخه المولى مجد الدين وقد طبعت في آخر كتاب التحف شرح الزلف ما لفظه:

وإليك نبذة بسيطة حول تلامذته الآخذين عنه المتسجيزين منه.

وهم السادة العلماء النجباء عبد المجيد، توفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف بنجران رضي الله عنه، عبد الرحيم، وأحمد، وعبد العظيم، وعبد الله، والحسين، وعبد الرحمن، ومحمد بن عبد العظيم **أنجال عالم العصر المولى الحسن بن الحسين الحوثي. والسيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين الحوثي**، وأخواه الشهيدان عبد الكريم وحميد الدين، **والسيد العلامة محمد بن يحيى الحوثي، وأخواه: العلامة حسين وعبد الله أبناء يحيى بن الحسين الحوثي، والسيد العلامة بدر الأعلام الولي محمد بن أحمد الحسيني الحوثي أبو علي**، وأخوه شرف الدين العلامة الحسن بن أحمد أبو علي، وهذا لقب هذا البيت الكريم على العموم، والسيد الشهيد جمال آل محمد الولي علي بن عبد الله ساري الحسيني الحوثي، استشهد في شهر رمضان عام أربعمائة وألف بحادث سيارة بين منى ومزدلفة، عقيب العمرة والزيارة، **والسيد العلامة إبراهيم بن علي الشهاري، والقاضي العلامة علي بن إسماعيل الحشحوش المتعيش**، والقاضي العلامة الحسين بن علي

حابس، والقاضي العلامة الحسن بن صالح جَرَّان، والقاضي العلامة عبد الله بن إسماعيل الحشحوش، والقاضي العلامة محمد بن يحيى مرغم توفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف رضي الله عنه، والقاضي العلامة صفي الدين أحمد بن محمد مرق توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف رضي الله عنهم، **والقاضي العلامة صلاح بن أحمد فليته، والقاضي العلامة علي بن يحيى شيبان**، والسيد العلامة عبد الكريم بن محمد العجري المؤيدي المتوفى سنة 1405هـ، والسيد العلامة حسن بن علي الحمران توفي بضحيان سنة أربع وأربعمائة وألف رضي الله عنه، **والسيد العلامة إسماعيل بن أحمد المختفي، والسيد العلامة صلاح بن محمد الهاشمي**، وولداه العلامة إبراهيم ومحمد ابنا صلاح، وأخوه العلامة قاسم بن محمد، والسيد العلامة محمد بن قاسم بن عبد الله الهاشمي، والسيد العلامة صلاح بن حسن نور الدين، وأخواه علي وأحمد، والسيد العلامة عماد الدين نجم العترة يحيى بن عبد الله راوية توفي بالحرم الشريف بعد أداء الزيارة والعمرة في شهر صفر سنة (1414هـ) وقبر في الحجون، والسيد العلامة شرف الآل الحسن بن علي بن عباس توفي سنة 1415هـ، والسيد العلامة علي بن قاسم الطالبي المؤيدي، **والسيد العلامة عبد الله بن إسماعيل الضحياني، والسيدان العالمان الحسن وأحمد ابنا قاسم الحسيني الحوثي** استشهد السيد العلامة الحسن بن قاسم الحوثي هو وولده النجيب عز الدين بالخميس من الحجاز بحادث سيارة حال عودهما من العمرة والزيارة سنة أربعمائة وألف، وقبرا هنالك رضي الله عنهما، **والسيد محمد بن صلاح بن الإمام الهادي القاسمي، والسيد العلامة القاسم بن أحمد بن الإمام المهدي، والسيد العلامة محمد بن الحسن العجري**، والسيد العلامة محمد بن علي النواري، والسيد العلامة محمد بن حسين القطابري، والقاضي العلامة يحيى بن محمد جبران جعفر، والقاضي العلامة عبد الرحمن بن قاسم مَشْحَم، والقاضي العلامة حسن بن يحيى سهيل، والقاضي العلامة عبد الرحمن بن محمد النجم، والقاضي العلامة صلاح بن حسين الأعجم، والقاضي العلامة سالم بن جبران الجماعي، والقاضي العلامة عبد الله بن محمد العنسي، والسيدان العالمان عبد الرحمن ويحيى ابنا أحمد المؤيدي، والسيد العلامة عبد اللطيف بن علي بن قاسم شِرْويد المؤيدي، والسيد العلامة علي بن عبد الله حورية المؤيدي، والسيد العلامة أحسن بن عبد الله عِدْلان

المؤيدي، والسيد العلامة الحسن بن يحيى بن غالب المؤيدي، والسيد العلامة عبد الرحمن بن علي الحمزي الصنعاني، والسيد العلامة محمد بن يحيى المطهر، والسيد العلامة محمد بن أحمد حطبة.

والسادة العلماء: الحسن، ومحمد، وسراج الدين أبناء عزالدين بن الحسن عدلان المؤيدي، والسيد العلامة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المؤيدي، **والسيد العلامة عبدالرحمن بن حسين بن محمد بن مهدي شايم المؤيدي، والولد العلامة محمد بن عبد الله بن يحيى عوض،** والولد العلامة يحيى بن محمد بن إسماعيل القاسمي الجحافي الساكن ببلدة مبين حجة، والسيد العلامة أحمد بن الحسين الحاكم، والسيد العلامة عبد الله بن يحيى بن محمد الصعدي، وأخوه محمد، والسيد العلامة عبد الوهاب بن علي المؤيدي، والسيد العلامة قاسم بن إبراهيم شمس الدين، والولد العلامة عبد الرحمن بن محمد شمس الدين من أولاد شمس الدين بن الإمام مجد الدين بن الحسن المؤيدي، والسيد العلامة إسماعيل بن عبد الكريم شرف الدين، والسيد العلامة محمد بن أحمد الهادي، والسيد العلامة عبد الصمد بن عبد المجيد الحوثي، والسيد العلامة علي بن محمد الحوثي والسيد العلامة يحيى بن أحمد الحوثي وأولاد المؤلف النُّجَباء الحسن والحسين، وعلي وإبراهيم وإسماعيل أبناء مجد الدين، ومحمد وعبد الله ابنا الحسين ابن مجد الدين، ومحمد وعبد الوهاب، وعبد الله وأحمد ابنا الحسن بن مجد الدين بارك الله فيهم، وفتح عليهم بالعلم النافع والعمل به.

والقضاة الأولياء الصعديون: قاسم بن علي القارح، وأحمد وإبراهيم ابنا إسماعيل يعقوب، **وعبد الرحمن يعقوب، والقاضي العلامة حسن بن أحمد المتميز، والقاضي العلامة عبد الله بن أحمد الذَويد.** وقد أجازني وجميع زملائي أعلا الله مقامه إجازة عامة في مؤلفاته ومروياته، واستجاز منه المولى العلامة أمير الدين بن الحسين الحوثي وأولاده، وأولاد أخيه نجم العترة الحسن الحوثي وأولاد أخيهما يحيى بن الحسين الحوثي السابق ذكرهم، والسيد العلامة الأوحد محمد بن محمد المنصور، والسيد العلامة الولي حمود بن عباس المؤيد الصنعانيان، والسيد العلامة الأمجد محمد الرضي الحسيني الجلالي من العراق، والسيد العلامة البحاثة إسماعيل بن عبد الملك المروني، والسيد العلامة محمد بن الحسين حميد الدين، والسيد العلامة عبد الله بن زيد المداني،

والسيد العلامة محسن بن أحمد أبو طالب، والقاضي العلامة علي بن حزام العمراني. وممن أخذ عنه واستجاز منه: السيد العلامة جمال الآل علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين، وأخوه السيد العلامة يحيى بن عبدالكريم الفضيل، وحضر للدرس عليه بالطائف جماعة منهم: السيد العلامة محمد بن علي بن محمد المرتضى المدائري، والسيد العلامة أحمد بن عبد الله شرف الدين، والسيد العلامة محمد بن علي المطاع، والسيد العلامة محمد بن إبراهيم بن الهادي شرف الدين، والسيد العلامة محمد بن أحمد الكحلاني، والسيد العلامة عبد الرحمن بن العباس بن أحمد ووالده المذكور، متمم الروض النضير وأجازه.

وممن أخذ عنه قراءة وإجازة السادة العلماء الكرام: يحيى وقاسم وعبد الرحمن وولده عبد الإله بن عبد الرحمن أبناء صلاح بن يحيى عامر، وأحمد بن يحيى حجر، وعبد الله بن محمد الحملي، وصلاح بن علي شايم، ومحمد بن عبد الله الحجازي، وقاسم بن عبد الله الحجازي، وعبد الله بن قاسم الصيلمي، وعبد الملك بن محمد بن أحمد زيد، وإسماعيل بن حسن العزي، ومحمد بن حسن العزي، وأبو عبد الله الحسين بن علي الأدول الهمداني الشعيبي وأخوه الحسن بن علي الأدول الهمداني الشعيبي المهاجرون الآن بنجران، والشريف الحسين بن ربيع الله بن محمد دكام، والشريف أحمد بن محمد طالب، وولده الحسين بن أحمد طالب، والشريف علي بن محمد بن ربيع الله، والشريف حسن بن محمد الهندي، هؤلاء الأشراف الكرام لازموا القراءة بوطنهم نجران وغيرهم من طلبة العلم هنالك، والولد العلامة الهمام محمد بن ناصر بن حسين الحذيفي، والقاضي العلامة يحيى بن ضيف الله مشحم، والجمالي علي بن عيضه دَنْقُوَه، ومسعود بن مسعود كعوات، وسالم بن عبد الله عمران، وصالح ابن حسين المِرْقِي الهمداني، ومحمد بن يحيى العنسي، وجمعان الحكيمة.

وفي سودان من ضواحي مدينة صعدة: القاضي العلامة الولي يحيى بن قاسم الحشحوش وولداه النجيبان قاسم بن يحيى وعبد الوهاب، والمقبلون على طلب العلم الشريف النجباء: عبد الله بن علي الشهاري، وعلي والحسن والحسين أبناء العلامة إبراهيم بن علي الشهاري، وعبد الرحيم بن يحيى المؤيدي، وإبراهيم بن علي الدولة، وعبد العظيم بن قاسم العزي، وغالب بن حسن العزي، وعبد الكريم بن يحيى

العزي، ومحسن بن عبد الرحمن العزي، وإسماعيل العزي وعلي بن محمد الهدوي، وعبد الله ومحمد وعبد الرحمن أبناء العلامة الحسن بن صالح جران، والفضلاء الكرام الأخيار من بني معاذ قبيلة سحار: أحمد بن ناصر وأخوته يحيى وعبدالله وعلي أبناء الحاج الفاضل العابد الولي ناصر بن عبد الله الرشا، وأحمد بن علي طاوس، وعلي بن أحمد حاجب، ومحمد بن عبد الله الوبلان، ومحمد راجي ناشر، وعبدالله حسين ناشر، ومحمد بن أحمد هبرة، وأخوه علي، ومحمد سرور، ويحيى بن عبد الله، ومحمد بن علي الثلاثة آل دعه، ومحمد بن علي الشامي، والفقهاء الفضلاء عبد الله بن ضيف الله المراني، وأولاده: صلاح وولده يحيى بن صلاح، ومحمد وعبد الله ومحمد بن ضيف الله المراني، والقاضي عبد الله بن محمد بن أحمد العنسي، والقاضي محسن بن يحيى العنسي، والقاضي محمد بن يحيى العنسي من جبل برط. هؤلاء الذين حضروا حال التحرير، وغيرهم كثير بارك الله فيهم، ورزقهم العلم والعمل، وكثر حملة العلم الشريف، وحماة الدين الحنيف، وما القصد بهذا إلا الحفظ والترغيب، كما يعلم المطلع الخبير، هذا وكثير من هؤلاء قد بلغوا الرتبة العالية، ومنهم المشارف، ومنهم من هو في أوائل الطلب انتهى ما أردنا نقله من الترجمة المذكورة. وبهذا ينتهي شوط القلم فيما أردنا رقمه وزبره في هذا البرنامج الفريد من نوعه، والجديد في أسلوبه وطريقته، ولو لم يكن له إلا أنه قد ضم في طيه ذكر أعيان علماء صعدة ومشاهيرهم وأعلامهم، لعدة قرون من أواخر القرن السادس الهجري إلى أوائل القرن الخامس عشر الهجري، ولم يشذ بحمد الله إلا النادر القليل، ممن لم نطلع على سند قراءاتهم، فإذا تحصّل الإطلاع والوقوف على شيء منها تم الإضافة والإلحاق والله ولي العون والتوفيق.

حرر بتاريخه في العشر الأواخر من شهر القعدة الحرام سنة اثنتين

وأربعين وأربعمائة وألف وكتب **عبد الرقيب بن مطهر بن**

محمد بن محمد بن إبراهيم بن حسين بن يحيى بن

المطهر وفقه الله لما يرضيه وختم له

بالحسنى وصلى الله على محمد

وآله وسلم تسليما.